جامعـــة الأزهـــر الشـــريف
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
قسم التفسير وعلوم القرآن

شبهات المستشرقين حول تعدد القراءات القرآنية

دراســـة نقديــــة

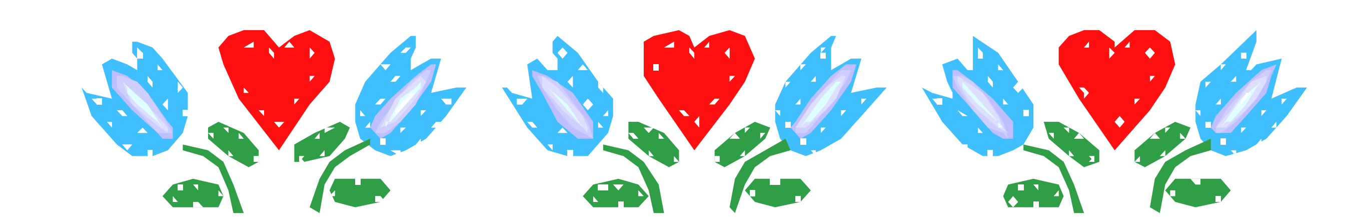
بحث مقدم للحصول على درجة التخصص (الماجستير) فى التفسير وعلوم القرآن

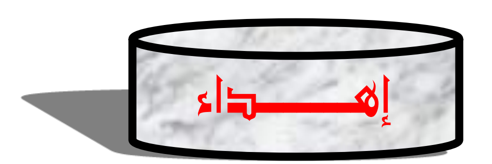
إعداد الباحث
أحمـد إمـام عبد العزيـز عبيـد

إشـــــراف

أ.د/ سيـــد يوسف اللبـــان	أ.د/ نبيل محمد الجوهري
أستـــاذ التفسـير وعلوم القـــرآن المتفرغ بالكلية	أستـــاذ ورئيـس قســـم التفسـير وعلوم القرآن بالكلية

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م





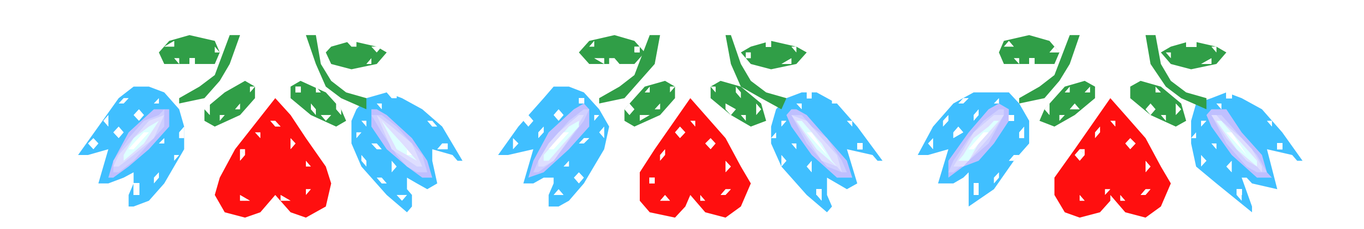
إلى من حملتنى جنينا، وأرضعتنى وليداً، وربتنى صغيراً، وسهرت على طويلاً.

وإلى من تعهدنى بحفظ كتاب الله ــ تعــالى ــ حتــى حفظته ، وألحقنى بالأزهر الشريف أنهل من معينه ، ثم اختار لى كلية أصول الدين حتى تخرجت منها.

إلى أمى وأبى الحبيبين أهدى هذه الرسالة.

وأرجو من الله –تعالى– أن تكون دفاعــاً عــن كتابــه، وسبباً فى نيل شفاعة نبيه ﷺ لى ولوالدى.

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾



شكـــر وتقديـــر

إني أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى:

أستاذى الدكتور/ **سيــد اللبـان**   أستاذى الدكتور/ **نبيل الجوهري**

على ما قدماه لي من : عون ، ونصح ، وإرشاد ، أفادنى كثيراً فى بحثى هذا ، فإليهما – بعد الله تعالى – يرجع الفضل فيما أنجزتـــه فـــى بحثى هذا ، فجزاهما الله– تعالى– عنى خير الجزاء، ووفقنى وإياهما لما يحبه ويرضاه .

مقدمـــــة

وتحتوى على:

١-أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢-مناهج البحث العلمى المستخدمة فى هذه الدراسة.

٣-خطة البحث لهذه الدراسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تبرز أهمية هذا الموضوع ؛ حيث يتعلق بالقراءات القرآنية ، وهى بدورها تتعلق بالقرآن الكريم ، وقد حاول المستشرقون كثيراً فى بحوثهم أن يشككوا فى القرآن الكريم ومصدره.

وكان بحثهم فى القراءات القرآنية لهذا السبب ، فقد تحدثوا عن أسباب تعدد القراءات ، وحاولوا بكافة الطرق أن يرجعوا ذلك إلى أسباب بشرية خارجة عن إرادة الله – تعالى – ، فأولاً : ادعوا أن سبب ذلك خلو الكتابة العربية وقت كتابة المصاحف من الإعجام والشكل، وثانياً : ادعوا أن سبب ذلك إضافة بعض الصحابة – رضى الله عنهم – زيادات تفسيرية على النص القرآنى ، وثالثاً: ادعوا أن سبب ذلك إرادة تنزيه الله – تعالى – ورسله والصالحين عما لا يليق بهم ، ورابعاً: ادعوا أن سبب ذلك الحرية فى قراءة النص القرآنى .

ثم نتيجة لذلك ادعوا أن هناك محاولات بذلت من المسلمين لتوحيد النص القرآنى ، سواء المكتوب منه أو المقروء ، ورغم ذلك فإن هذه المحاولات – من وجهة نظرهم – لم تنجح ، إذ ظلت الاختلافات موجودة.

كل ذلك كان داعياً لى أن أبحث فى هذا الموضوع ، وأنقد هذه الآراء التى لا تمت إلى الحقيقة بصلة ، وأبين زيفها وعوارها ، وخاصةً أن لهذه الآراء آثار على كثير من المسلمين الذين يعتبرون هؤلاء المستشرقين أساتذة لهم ، لا يخطئون أبداً ، فيأخذون أراءهم ويدسونها بين المسلمين ، وذلك مثل الدكتور/ مصطفى مندور الذى تابع أستاذه بلاشير فيما ذهب إليه من أن الحرية كانت سبباً فى تعدد القراءات القرآنية فيقول فى فصل تحت عنوان (القراءة بحسب المعنى): "هنالك على الأخص نقطة وقع عليها اتفاق كثيرين هى : أن القرآن ربما قرئ بأوجه كثيرة ، ولكن الأساس هو أن يحترم المعنى" [1] .

([1]) انظر تاريخ القرآن للدكتور/ عبد الصبور شاهين صـ٨٤.

مناهج البحث العلمى المستخدمة فى هذه الدراسة:

أولاً: المنهج التحليلى : حيث قمت بتحليل آراء المستشرقين إلى عناصرها الأولية ، وشرحها شرحاً مبسطاً ؛ حتى يتسنى لى الرد عليها ونقدها .

ثانياً : المنهج النقدى : حيث قمت بنقد آراء المستشرقين بعد تحليلها وسلكت فى نقدى عدة مسالك :

١ـ **النقد الإجمالى** : حيث قمت بالرد على الفكرة ذاتها ، مثل الرد على زعمهم فى أن الخط العربى الذى كتب به الصحف ، كان سبباً فى تعدد القراءات .

٢ـ **النقد التفصيلى** : حيث قمت بالرد على الأمثلة أو الأدلة التى ذكرها المستشرقون على زعمهم

٣ـ **النقد بطريق المخالفة** : حيث قمت ببيان الحق فى بعض الأمور ؛ حتى يتبين الباطل .

خطة البحث لهذه الدراسة:

قسمت هذه الدراسة إلى : مقدمة ، ومدخل ، وبابين ، وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها الحديث عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، ومنهج البحث فيه ، وخطة هذا البحث .

وأما المدخل فقد قسمته إلى مبحثين ، تناولت فى الأول منهما : التعريف بالقراءات القرآنية وبيان تقسيمها إلى متواترة وغيرها ، وفى الثانى: الحديث عن أهم كتابات المستشرقين المترجمة إلى العربية التى تتعلق بالقراءات القرآنية.

وأما الباب الأول فقد خصصته للحديث عن مزاعم المستشرقين حول أسباب نشأة القراءات القرآنية.

وقسمته إلى أربعة فصول ، تناولت فى كل فصل منها الحديث عن سبب من هذه الأسباب – من وجهة نظرهم – ، فالأول : طبيعة الخط العربى الذى كتب به الصحف ، والثانى: إضافة زيادات تفسيرية على النص القرآنى ، والثالث : إرادة تنزيه الله – تعالى – ورسله والصالحين عما لا يليق بهم ، والرابع : الحرية فى قراءة النص القرآنى.

وأما الباب الثانى فقد خصصته للحديث عن مزاعم المستشرقين حول محاولات توحيد النص القرآنى وتقييمهم لمدى نجاحها .

وقسمته إلى فصلين :

الأول : **محاولات توحيد النص المكتوب .**

الثانى : **محاولات توحيد النص المقروء .**

وأما الخاتمة فقد خصصتها للحديث عن أهم نتائج البحث .

والله أسأل أن أكون قد وفقت فى هذا البحث ، وأن يهدينى لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، إنه ولىٌّ ذلك والقادر عليه ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المدخــــــل

ويحتوى على مبحثين :

الأول : **تعريف القراءات القرآنية وبيان تقسيمها إلى متواترة وغيرها .**

الثانى : **التعريف بأهم كتابات المستشرقين المترجمة إلى العربيــة التــى تتعلق بالقراءات القرآنية.**

المبحث الأول: تعريف القراءات القرآنية وبيان تقسيمها إلى متواترة وغيرها

أولاً: تعريف القراءات القرآنية:

القراءات لغة : جمع قراءة، وهى مصدر للفعل قرأ ، قرأ يقرأ قراءةً وقرآنـــاً ، فكلاهمـــا مصدر للفعل قرأ ، وهى على وزن فعاله ، وهذا اللفظ يستعمل لمعنى الجمع والضـــم ، ومنـــه قولهم "ما قرأت الناقة جنيناً" أى لم تضم رحمها على ولد ، أو ما جمعت وضمت فى رحمهـــا جنينا [٢] .

القراءات اصطلاحاً: لها تعريفات عديدة

١- تعريف الإمام الزركشى قال : "هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فـــى كتبـــة الحـــروف ، أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرها" [٣] .
٢- تعريف الإمام ابن الجزرى : "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة" [٤] .
٣- تعريف الإمام القسطلانى قال : " فليعلم أن علم القراءات هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم فى اللغة ، والإعراب ، والحذف والإثبـــات ، والتحريـــك والإســـكان ، والفصل والاتصال ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع" [٥] .
٤- تعريف طاش كبرى زاده : " هو علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى مـــن حيـــث وجوه الاختلافات المتواترة . وقد يبحث فيه أيضاً عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير متواترة الواصلة إلى حد الشهرة" [٦] .
٥- تعريف الشيخ الدمياطى : "علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله ، واختلافهم فى الحذف والإثبات ، والتحريك والتسكين ، والفصل والوصل ، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال ،

---

(٢) انظر لسان العرب للإمام ابن منظور ج١ صـــ١٢٨، والقـــاموس المحـــيط للإمـــام الفيـــروز آبـــادى ج١ صـــ٦٢، ومختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر الرازى ج١ صـــ ٢٢٠، ومناهل العرفان فـــى علـــوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـــ ٤١٢ ، والأحرف السبعة والقراءات وما أثيـــر حولهـــا مـــن شـــبهات للدكتور/ شعبان محمد إسماعيل صـــ ٢٧ ، وعلم القراءات نشأته ـــ أطواره ـــ أثره فى العلوم الشـــرعية للدكتور / نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل صـــ ٢٦، والقراءات وأثرها فى علوم العربية للدكتور / محمد سالم محيسن ج١ جـــ٩.

(٣) البرهان فى علوم القرآن ج١ صـــ ٣١٨.

(٤) منجد المقرئين صـــ٣.

(٥) لطائف الإشارات لفنون القراءات ج١ صـــ ١٧٠.

(٦) مفتاح السعادة ج٢ صـــ ٦.

وغيره من حيث السماع" (٧) .

ويلاحظ أنه شبيه بتعريف الإمام القسطلانى السابق.

٦- تعريف الشيخ الزرقانى : "هو مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره فى النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه ، سواء كانت هذه المخالفة فى نطق الحروف أم فى نطق هيئاتها" (٨) .

يتضح مما سبق ـ كما يرى الدكتور / نبيل آل إسماعيل ـ أن للعلماء فى تعريف القراءات مذهبين :

الأول : يعتبر أن القراءات ذات مدلول واسع ، فهى تشمل الحديث عن ألفاظ القرآن المتفق عليها والمختلف فيها ، ومن أصحاب هذا المذهب الإمام : ابن الجزرى ، والشيخ الدمياطى ، وغيرهما.

الثانى : يرى أصحابه أن مفهوم القراءات مقصور على ألفاظ القرآن المختلف فيها، وممن ذهب هذا المذهب : الإمام الزركشى ، والشيخ الزرقانى .

وكلا المفهومين وارد ومراد ، فلا تنافى بينهما ، فلفظ القراءات يطلق تارة ويراد به العلم المشهور، كمعرفة القراء من الصحابة ومن بعدهم ، وكتب القراءات وأسماء مؤلفيها ، إلى غير ذلك مما يسمى علم الدراية ، ويطلق تارة أخرى ويراد به أوجه الخلاف فى اللفظة القرآنية من حيث النطق بها وهو ما يسمى بعلم الرواية . والضابط فى التمييز بين المفهومين هو السياق(٩) .

وخلاصة هذه التعريفات ـ كما يقول الدكتور/ شعبان إسماعيل ـ أن علم القراءات يدور حول أمرين:

الأمر الأول : كيفية أداء الكلمات القرآنية ، سواء أكان ذلك متفقاً عليه بين الناقلين بهذه الكيفية ، أم مختلفاً فيه.

الأمر الثانى : النقل الصحيح عن الأئمة ، الذين تلقوا هذه الكيفية بالأسانيد الصحيحة المتصلة إلى رسول الله ﷺ .

---

(٧) اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر صـ٦.

(٨) مناهل العرفان فى علوم القرآن ج١ صـ ٤١٢.

(٩) انظر علم القراءات نشأته ـ أطواره ـ أثره فى العلوم الشرعية صـ٢٦.

ولذلك كان من شروط القراءة : التلقى عن أهل العلم ، ولا يكفى الأخذ من الكتب [١٠].

ثانياً: أنواع القراءات من حيث التواتر وعدمه:

تنقسم القراءات من حيث التواتر وعدمه إلى :

١- قراءات متواترة

٢- قراءات شاذة.

(١) القراءات المتواترة:

وضع العلماء للقراءات المتواترة ثلاثة شروط :

يقول الإمام ابن الجزرى : "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهى القراءة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها ، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين ، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة" [١١].

إذن فشروط القراءة المتواترة ثلاثة :

١- موافقة وجه صحيح فى اللغة العربية : أى موافقة القراءة للقواعد النحوية والآراء النحوية ، المستفادة من النطق العربى الفصيح[١٢].

٢-موافقة أحد المصاحف التى أرسلها عثمان بن عفان ﷺ للأمصار ولو احتمالاً . بمعنى أن تكون القراءة موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية تحقيقاً ، كقراءة ابن عامر (قالوا اتخذ الله ولداً) فى البقرة بغير واو (وبالزبر وبالكتاب المنير) بزيادة الباء فى الإسمين ونحو ذلك فإن ذلك ثابت فى المصحف الشامى . أو موافقة له احتمالاً أى تقديراً كقراءة مالك يوم الدين بألف حيث رسمت فى جميع المصاحف بغير ألف فتحتمل قراءة الألف تقديراً كما كتب (مالك الملك) فتكون الألف حذفت اختصاراً[١٣].

---

(١٠) انظر الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات صـ ٢٧ ، ٢٨.

(١١) النشر فى القراءات العشر ج١ صـ ٩.

(١٢) انظر مقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد أحمد مفلح القضاة ، والدكتور/ أحمد خالد شكرى، والدكتور/ محمد خالد منصور صـ ٦٩.

(١٣) انظر النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج١ صـ ١١.

وقد تكون القراءة مخالفة للرسم لكنها أتت على الأصل ككلمتى (الصراط والمصيطرون) بالصاد المبدلة من السين ، حيث عدلوا عن السين التى هى الأصل لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعتدلان ، ولو كتب ذلك بالسين على الأصل لفات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والأصل، ولذلك كان الخلاف المشهور فى (بسطة) الأعراف دون (بسطة) البقرة لكون حرف البقرة كتب بالسين وحرف الأعراف بالصاد[١٤] .

وأيضاً مخالفة الرسم فى حرف مبدل أو مدغم أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعانى فإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه[١٥] .

٣- صحة سند القراءة مع شهرتها ، وهذا رأى الإمامين ابن الجزرى ، ومكى بن أبى طالب ، وغيرهما[١٦] .

أما جمهور القراء، والأصوليين، والفقهاء فيشترطون التواتر[١٧] .

"ووجه الفرق بين الفريقين بالنسبة للركنين الآخرين سوى التواتر أن الركنين الآخرين عند القائلين بالتواتر، هما ركنان لازمان للتواتر، بمعنى أن القراءة المتواترة لابد فيها من تحقق الشرطين الآخرين بطريق التبع . بخلاف القائلين : بأن التواتر ليس شرطاً فى صحة القراءة فإن الركنين الآخرين يعتبران ضروريين لاعتبار صحة القراءة فكون القراءة وردت بطريق الآحاد لا يكفى لاعتبار صحة القراءة بالحرف المروى . وحينئذ يظهر: أن الخلاف بين الفريقين خلاف مؤداه واحد ، ذلك أن الفريقين يشترطان التواتر لاعتبار إثبات القراءة وبيان ذلك : أن القائلين بالتواتر يعتبرون الشرطين الآخرين بمنزلة تحصيل الحاصل وتابع لتواتر الرواية ، وكذلك الحال بالنسبة للقائلين بصحة السند مع الاشتهار، مع موافقة الوضع العربى والرسم العثمانى ، فإن هذين الشرطين يعطيان الرواية الصحيحة المشتهرة قوة التواتر فيأتلف الكلام حينئذ ولا يختلف" [١٨] .

وبناءً على ذلك يمكن الجمع بين الرأيين ، فمن يشترط التواتر يجعل الشرطين الآخرين

---

(١٤) انظر السابق ج ١ صـ ١٢.

(١٥) انظر السابق ج ١ صـ ١٢ ، ١٣.

(١٦)انظر السابق ج١ صـ ١٣ ، ١٤، ومقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد أحمد مفلح القضاة، والدكتور / أحمد خالد شكرى، والدكتور/ محمد خالد منصور صـ ٧٠.

(١٧)انظر مقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد أحمد مفلح ، الدكتور/ أحمد خالد شكرى، والدكتور/ محمد خلد منصور صـ ٦٩.

(١٨) السابق صـ٧٠.

مكملين له ، ومن يشترط صحة السند مع الشهرة يجعل الشرطين الآخرين رافعَين للقراءة إلى درجة التواتر.

على أن الجميع متفق على أن القراءات السبع متواترة ، وكذلك الثلاث المكملة للعشر متواترة أيضاً على خلاف فيها ، بين من يذهب إلى أنها مشهورة ، ومن يذهب إلى أنها متواترة ، والصحيح تواتر العشر كلها[19].

(٢) **القراءات الشاذة** : ما لم تتوافر فيها الشروط السابقة.

وهى أربعة أنواع :

النوع الأول : ما صح سنده، وخالف الرسم أو العربية ، أو لم يشتهر الاشتهار المذكور سابقاً.
وهذا النوع لا يقرأ به ولا يجب اعتقاده ، مثل قراءة "مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفَارِف خُضْرٍ وَعَبَاقِرِى حِسَانٍ" ، وقراءة "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفَسِكُمْ" بفتح الفاء.

النوع الثانى : ما لم يصح سنده ، كقراءة "فاليوم ننحيك ببدنك" بالحاء المهملة ، وقراءة "لتكون لمن خلَفَك آية" بفتح اللام والفاء.

النوع الثالث : ما زيد فى القراءات على وجه التفسير، كقراءة "وله أخ أو أخت من أم" بزيادة لفظ من أم .

النوع الرابع : ما نسب إلى قائلة من غير أصل مثل القراءات التى نسبت إلى الإمام أبى حنيفة رحمه الله تعالى[20].

---

(١٩) انظر النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج١ صـ ٤٤، ٤٥ ، ٤٦ ، ومنجد المقرئين له أيضاً صـ٥٧ وما بعدها، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ ٤٤١ وما بعدها، ومقدمات فى علم القراءات للدكتور / محمد أحمد مفلح القضاة، والدكتور/ أحمد خالد شكرى ، والدكتور / محمد خالد منصور صـ٧١، والجمع الصوتى الأول للقرآن، أو المصحف المرتل عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته للدكتور/ لبيب السعيد صـ ١٣٣، ١٣٤، وعلم القراءات نشأته ـ أطواره ـ أثرة فى العلوم الشرعية للدكتور/ نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل صـ ٣٦ ، ٣٧.

(٢٠) انظر النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج١ صـ ١٣ ، ١٤ ، والإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى ج١ صـ٢٠٨، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ ٤٣٠، ٤٣١، والجمع الصوتى الأول للقرآن أو المصحف المرتل عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته للدكتور/ لبيب السعيد صـ ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ومقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد أحمد مفلح القضاة ، والدكتور/ أحمد خالد شكرى ، والدكتور/ محمد خالد منصور صـ ٧٣ ، ٧٤، وعلم القراءات نشأته ـ أطواره ـ أثرة فى العلوم الشرعية للدكتور / نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل صـ ٤١ ، والأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات للدكتور / شعبان محمد إسماعيل صـ ٦٣ ، ٦٤، ٦٥.

المبحث الثاني: التعريف بأهم كتابات المستشرقين المترجمة إلى العربية التي تتعلق بالقراءات القرآنية وهي ثلاثة:

(١)كتاب مذاهب التفسير الإسلامى لأجنتس جولدتسيهر:

وهو كتاب يقع فى حوالى ٤١٦ صفحة ، وقد ترجمة الدكتور/ عبد الحليم النجار ، كما علق على بعض الفقرات فيه ، وترك البعض الأخر للقارئ .

يقول : "ولكنى إذ أستميح القارئ العربى مقدرته ، أؤكد له أنى لم أقصر فى إعطائه صورة صادقة من كتاب مذاهب التفسير الإسلامى ، كما وضعه جولدتسيهر وأنه يستطيع على هذا الأساس . أن يقبل أو يرفض ما يشاء من أقواله وأحكامه . وحسبى هذا دقة فى العرض ، وأداء للأمانة" [٢١] .

وقد تناول جولدتسيهر فى هذا الكتاب الحديث عن : المرحلة الأولى للتفسير، ثم التفسير بالمأثور، ثم التفسير فى ضوء العقيدة مذهب أهل الرأى ، ثم التفسير فى ضوء التصوف الإسلامى ، ثم التفسير فى ضوء الفرق الدينية ، ثم التفسير فى ضوء التمدن الإسلامى ، وكان حديثه عن القراءات القرآنية من خلال حديثه عن المرحلة الأولى للتفسير ، وهى تقع فى حوالى سبعين صفحة ، وقد تناول فيها الحديث عن :

أولاً: ***أسباب تعدد القراءات ـ من وجهة نظرة ـ*** ، **وهى** :

١- طبيعة الخط العربى الذى كتب به المصحف .

٢- إضافة زيادات تفسيرية على النص القرآنى .

٣- إرادة تنزيه الله ـ تعالى ـ ورسله والصالحين عما لا يليق بهم .

٤- الحرية فى قراءة النص القرآنى .

وهو بهذا يحاول التشكيك فى القرآن عن طريق التشكيك فى القراءات ، محاولاً إسنادها إلى مصدر بشرى لا إلهى.

ثانياً : ***محاولات توحيد النص القرآنى ـ من وجهة نظره ـ*** ، ***وتقييمه لمدى نجاحها*** ، **وهى**:

١- محاولات توحيد النص المكتوب ، حيث تكلم عن محاولات توحيد النص المكتوب فى عهد عثمان ، وأنه مع ذلك لم تنجح هذه المحاولة.

٢- محاولات توحيد النص المقروء ، منذ عهد النبىﷺ ، وحتى مرحلة القراءات السبع وما بعدها .

---

(٢١) مذاهب التفسير الإسلامى لجولدتسيهر الصفحة الثالثة من مقدمة الدكتور / عبد الحليم النجار.

(٢) **كتاب القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره لبلاشير** :

وهو كتاب يقع فى حوالى ١٨٩ صفحة ، وقد نقله إلى العربية : رضا سعاده .

يقول : "إن ما قلناه هو أقل ما يمكن قوله عن هذا العمل ، ولقد قمنا بنقل جميع الحقائق والأفكار نقلاً أميناً إلى اللغة العربية ؛ لوضعها فى متناول القراء الذين يجهلون اللغات الأجنبية كما عملنا على إيضاح هذا النقل ، بشروحات وزوائد هامشية استدعتها الترجمة وهى غير موجودة فى النص الأصلى الفرنسى . وقام الدكتور الشيخ محمد على الزغبى بالرد على بعض القضايا ، والتعليق على عدة نقاط وردت فى هذا البحث ، أخذنا من تعليقاته ما هو موضوعى بحت وعملنا على اختصاره وتكثيفه ليكون منسجماً مع المبنى العام للنص ، فاسحين المجال أمام رجال الفكر والدين ، للتعليق ما شاؤوا حتى على الشروحات والتعليقات الواردة نفسها" [٢٢] .

وقد تناول فى هذا الكتاب الحديث عن المصحف : بنيته ، وتكوينه ، ثم الرسالة القرآنية فى مكة ، ثم رسالة القرآن فى المدينة ، ثم الواقعة القرآنية وعلوم القرآن ، ثم التفسير القرآنى أصوله وأغراضه ، ثم القرآن والسنة مصدرا العقيدة والشريعة فى الإسلام ، ثم القرآن فى الحياة الإسلامية والمجتمع الإسلامى.

وكان حديثة عن القراءات القرآنية من خلال حديثة عن المصحف بنيته وتكوينه ، وقد تناول الحديث عن :

أولاً: **أسباب تعدد القراءات ـ من وجهة نظره ـ ، وهى** :

١- طبيعة الخط العربى الذى كتب به المصحف .

ومن الملاحظ أنه لم يذكر أسباباً أخرى لتعدد القراءات سوى ذلك ، وهو بهذا أيضاً كجولدتسيهر يحاول التشكيك فى القرآن ، عن طريق التشكيك فى القراءات ، محاولاً إسنادها إلى مصدر بشرى لا إلهى .

ثانياً : **محاولات توحيد النص القرآنى ـ من وجهة نظرة ـ وتقييمه لمدى نجاحها** ، **وهى** :

١- محلات توحيد النص المكتوب ، حيث تحدث عن النص المكتوب فى عهد النبى ﷺ ، ثم فى عهد عثمان ، ثم فى خلافه عبد الملك بن مروان .

٢- محاولات توحيد النص المقروء ، حيث تحدث عن مرحلة القراءات السبع ، وما قبلها وما بعدها.

---

(٢٢) القرآن نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره صـ٩ ، ١٠.

(٣) مقدمة كتاب المصاحف لآرثر جفرى :

وهى منشورة مع كتاب المصاحف للإمام ابن أبى داود ، وتقع فى حوالى ١٠ صفحات، تحدث فيها أولاً عن منهج المستشرفين فى أبحاثهم ، عن طريق جمع الآراء والظنون والأوهام والتصورات بأجمعها ليستنتجوا بالفحص والاكتشاف ما كان منها مطابقاً للمكان والزمان وظروف الأحوال معتبرين المتن دون الإسناد[٢٣] .

ثم قام بعد ذلك بعرض بعض نتائج أبحاث المستشرفين حول القرآن فى عدة نقاط:

١- لما قبض النبى ﷺ لم يكن فى أيدى قومه كتاب .

٢- اختلاف مصاحف الصحابة .

٣- أخذ مصاحف بعض الصحابة مقاماً يعتد به فى الأمصار.

٤- جمع عثمان الناس على حرف واحد .

٥- خلو مصحف عثمان من النقط والإعجام .

٦- قوة اختيار بعض القراء .

٧- ترجيح وتعميم قراءة حفص .

وكان حديثه عن القراءات القرآنية فى هذه المقدمة ، حيث تناول الحديث عن :

أولاً : أسباب تعدد القراءات القرآنية ـ من وجهة نظره ـ ، وهى :

١- طبيعة الخط العربى الذى كتب به المصحف.

ومن الملاحظ أنه كبلاشير لم يذكر أسباباً أخرى لتعدد القراءات سوى ذلك ، وهو بهذا كسابقيه يحاول التشكيك فى القرآن عن طريق التشكيك فى القراءات ، محاولاً اسنادها إلى مصدر بشرى لا إلهى .

ثانياً : محاولات توحيد النص القرآنى ـ من وجهة نظره ـ وتقييمه لمدى نجاحها ، وهى :

١- محاولات توحيد النص المكتوب ؛ حيث تحدث عن النص المكتوب فى عهد النبى ﷺ ، ثم فى عهد أبى بكر ﷺ ، ثم فى عهد عثمان ﷺ .

٢- محاولات توحيد النص المقرء ؛ حيث تحدث عن مرحلة القراءات السبع ، وما قبلها وما بعدها .

---

(٢٣) انظر مقدمة كتاب المصاحف صـ٤.

الباب الأول

مزاعم المستشرقين حول أسباب نشأة القراءات القرآنية

ويحتوي على أربعة فصول

الفصل الأول : طبيعة الخط العربي الذى كتب به المصحف.

الفصل الثاني : إضافة زيادات تفسيرية على النص القرإني .

الفصل الثالث : إرادة تنزيه الله ـ تعالى ـ ورسله والصالحين عما لا يليق بهم.

الفصل الرابع : الحرية في قراءة النص القرإني.

الفصل الأول

طبيعة الخط العربي الذى كتب به المصحف

مزاعم جولدتيسهر بهذا الخصوص:

يقول جولد تسيهر: "وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي، الذى يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة ، تبعاً لاختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط . بل كذلك في حالة تساوى المقادير الصوتية ، يدعو اختلاف الحركات الذى لا يوجد في الكتابة الأصلية ما يحدده ، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها . وإذاً فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة ، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نص لم يكن منقوطاً أصلاً، أو لم تتحر الدقة في نقطة أو تحريكه" [٢٤].

فهو هنا يرى أن السبب الأول في هذه الاختلافات (تعدد القراءات) ؛ إنما يرجع إلى خصوصية الخط العربي .

وهذا بدوره يرجع إلى أمرين :

الأول : اختلاف النقاط الموضوعة فوق هذا الهيكل أو تحته.

الثاني : اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، والذى يؤدى بدوره إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة؛ مما ينشأ عنه الاختلاف في دلالتها.

وبعد ذلك لا يترك الأمر هكذا ، بل يدعِّم هذا الرأي بذكر أمثلة له ، فيقول : " ولبيان هاتين الحقيقتين قد تكفي بعض أمثلة فحسب ، أولاً للاختلاف في تحلية الهيكل المرسوم بالنقط: الآية ٤٨ من سورة الأعراف : ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ، قرأ بعضهم بدلاً من تستكبرون بالباء الموحدة ، تستكثرون بالثاء المثلثة" [٢٥].

فهو هنا يرى أن سبب وجود قراءتين في هذه الآية ، الأولى : تستكبرون بالباء الموحدة والثانية : تستكثرون بالثاء المثلثة؛ إنما هو عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط .

ويقول : "والآية ٥٧ من هذه السورة أيضاً: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، وقرئ أيضا نشراً بالنون بدل الباء"[٢٦].

---

(٢٤) مذاهب التفسير الإسلامى صـ ٨، ٩.

(٢٥) السابق صـ ٩.

(٢٦) السابق نفس الصفحة.

فهو هنا يرى أن سبب وجود قراءتين في هذه الآية ، الأولى: بشراً بالباء ، والثانية : نشراً بالنون ؛ إنما هو عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط .

ويقول : "والآية ١١٤ من سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بالياء المثناه التحتية؛ وفي قراءة – من الغريب أنها قراءة حماد الرواية–: "أباه" بالباء الموحدة"[٢٧].

فهو هنا يرى أن سبب وجود قراءتين في هذه الآية ، الأولى : إياه بالياء ، والثانية : أباه بالباء ؛ إنما هو عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط .

ويقول : "وفي الآية ٩٤ من سورة النساء وردت حالة كثيرة الإفادة، إذ تنطبق الظاهرة المذكورة آنفاً على كل حرف تقريباً من أحرف كلمة فيها : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِناً﴾؛ فبدلاً من "فتبينوا" قرأ جماعة من ثقات القراء: "فتثبتوا" والهيكل المرسوم "فتبينوا" يتحمل الوجهين، وعلى كل حال لا تسبب هذه الاختلافات وما شابهها فرقاً من وجهه المعنى العام ولا من جهة الاستعمال الفقهي" [٢٨].

فهو هنا يذكر مثالاً ، يختلف عما سبق من الأمثلة هذا المثال ، الاختلاف فيه ليس في حرف واحد اختلف في نقطه، وإنما هو في كل حرف تقريباً من حروف الكلمة، ويرى أن السبب في وجود قراءتين في هذه الآية، الأولى: فتبينوا بالباء ثم الياء ثم النون، والثانية: فتثبتوا بالثاء ثم الباء ثم التاء؛ إنما هو عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط؛ حيث أن هيكله (فتبينوا) يحتمل الوجهين، ثم يقرر بعد ذلك أن الاختلافات السابقة لا تسبب فرقاً من وجهة المعنى العام، فالمعنى فيها متفق، كما لا تسبب فرقاً من جهة الاستعمال الفقهي ، فلا يترتب عليها اختلاف فقهي، بعكس ما سيورده من أمثلة يوجد بها هذا الفرق، وتدخل تحت نفس القسم من عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط.

أما الأمثلة التي يسبب الاختلاف فيها فرقاً فيذكرها قائلاً : " ولكن مثل هذا الفرق يوجد في الموضع التالي : آية ٥٤ من سورة البقرة : يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بنى إسرائيل عجلاً من ذهب وعبادتهم إياه، فهو يقول: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ

---

(٢٧) السابق نفس الصفحة.

(٢٨) السابق صـ ٩، ١٠.

﴿فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ أي فليقتل بعضكم بعضاً، (أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم)، وهذا ينطبق في الواقع على ما جاء في سفر الخروج فصل ٣٢ فصلة ٢٧، الذى هو مصدر الكلمات القرآنية، وربما كان مفسرون قدماء معتد بهم (ذكر قتادة البصرة المتوفي ١١٧هـ=٧٣٥م حجة على ذلك) قد وجدوا هذا الأمر بقتل أنفسهم، أو بقتل الآثمين منهم أمراً شديد القسوة، وغير مناسب مع الخطيئة، فآثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة: "فاقتلوا" بنقطتين من أسفل، بدل التاء المثناة من أعلى، فقرأوا" "فأقيلوا أنفسكم" بمعنى حققوا الرجوع عما فعلتم، أي بالندم على الخطيئة المقترفة. وهذا المثال يدل فعلاً على أن ملاحظات موضوعية قد شاركت في سبب اختلاف القراءة، خلافاً للأمثلة السابقة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم" [٢٩].

فهو هنا يرى أن سبب وجود قراءتين في هذه الآية، الأولى: "فاقتلوا" بالتاء، والثانية: "فأقيلوا" بالياء؛ إنما هو عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط؛ حيث أن هيكله (فاقيلوا) يحتمل الوجهين، وهذا المثال ليس كسابقه، بل المعنى فيه مختلف على كلا القراءتين تماماً، فمعناه في الأولى: فليقتل بعضكم بعضاً، وفي الثانية: فحققوا الرجوع عما فعلتم، وهو ينسب القراءة الثانية إلى قتادة، ويطابق بين القراءة الأولى، وبين ما جاء في سفر الخروج الذى يزعم أنه مصدر الكلمات القرآنية، ثم يخلص من ذلك إلى أن ملاحظات موضوعية قد شاركت في سبب اختلاف القراءة، خلافاً للأمثلة السابقة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابسات فنية ترجع إلى الرسم.

ثم يقول بعد ذلك: "ويبدوا أن نفس هذه الظاهرة توجد في آيتي ٨،٩ من سورة الفتح. وهنا يخاطب الله محمداً ﷺ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ فبدلاً من "وتعزروه" بالراء المهملة، الذى معناه وتساعدوه، قرأ بعضهم: "وتعززوه" بالزاي المحجمة بمعنى: وتعظموه. وأنا لا أستبعد أن يكون من دواعي تغيير النص على هذا الوجه خشية تصور أن الله ينتظر من الناس مساعدة أو معونة نعم ورد في القرآن أحياناً – دون اعتراض من القراء – معنى أن الله سينصر من ينصره (آية ٤ من سورة الحج، آية ١٧ من سورة محمد، وراجع: وينصرون الله ورسوله" في الآية ٨ من سورة الحشر) ولكن ربما سمع لفظ: نصر، المرادف للمساعدة والمعونة، والمستعمل في جميع المواضع المشار إليها،

---

(٢٩) السابق صـ١٠، ١١.

بفهم معنى النصر الأدبي (بالطاعة والامتثال)، دون أن يصور تصويراً جهيراً معنى المساعدة المادية كما يصوره لفظ: عزر المستعمل هنا (والمتفق مع لفظ: عازر العبري). وقد كان مجرد إضافة نقطة واحدة كافية في إزالة ذلك الإبهام: فانتقل المعنى من تقديم المعونة لله إلى تعظيم الله. وهو تصرف في النص سنتناوله من قرب في مساق هذا الفصل" [٣٠].

فهو هنا يرى أن سبب وجود قراءتين في هذه الآية، الأولى: "وتعزروه" بالراء المهملة، والثانية: "وتعززوه" بالزاي المعجمة؛ إنما هو عدم تحلية الهيكل المرسوم بالنقط، ويرى أن القراءة الأولى (بالراء) معناها: تساعدوه، وهو متفق مع لفظ عازر العبري مما يقتض أن ينتظر الله من الناس مساعدة أو معونه، وهذا دعا إلى تحلية الراء بنقطة من أعلاها حتى تصير (وتعززوه) بالزاي (القراءة الثانية)، فينتقل المعنى من تقديم المعونة لله إلى تعظيم الله.

ثم يقول بعد ذلك: "وكثير عدد القراءات التي يدور اختلافها حول هذا الرسم (ب) هل يحلى بنقطتين من أعلى أو من أسفل؟ فهو على الأول تاء فوقية لخطاب المذكر، وعلى الثاني ياء تحتية للغائب المذكر، وفي كلتا الحالتين لا يكاد ينال المعنى تغيير ذو بال" [٣١].

فهو بهذا يختم حديثه عن القسم الأولى، وهو اختلاف تحلية الهيكل المرسوم بالنقط بمثال عام، وهو الهيكل (ب)، الذى يرى انه كثر اختلاف القراء فيه، هل يحلى بنقطتين من أعلى أو من أسفل؟ وينتج عنه اختلاف لا يضر المعنى.

بعد انتهاء جولد تسيهر من عرض القسم الأول، يتحدث عن القسم الثاني، وهو اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة قائلاً: "وبهذا ندخل في دائرة اختلاف الحركات في المحصول الواحد للحروف الصامتة، حيث ينشأ من ذلك أيضاً اختلاف نحوى فحسب. ويقول في الهامش: "تقدم فرصة ممتازة لمثل هذه الاختلافات في القراءة مجموعة هذا اللفظ: إن فهل هي إن المؤكدة المكسورة أو المفتوحة، أو أن المصدرية الخفيفة. وفي سورة آل عمران، الآيات ١٦ – ١٨ نجد مثالاً نموذجياً لهذا وللتكلف النحوي في تعليل هذه القراءة أو تلك" [٣٢].

---

(٣٠) السابق صـ ١١، ١٢.

(٣١) السابق صـ ١٢، ١٣.

(٣٢) السابق صـ ١٣.

فهو بهذا يشير إلى النوع الأول في القسم الثاني: وهو اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة مع عدم التغيير في المعنى، ويقدم مثالاً إجماليا على ذلك، وهو حرف "إن" الذى اختلف القراء فيه كثيراً، ويؤيد ذلك بمثال من سورة آل عمران وهو الآيات من ١٦ – ١٨، مع أنه لم يذكر هذه الآيات ولا القراءات الموجودة فيها، ثم يذكر أن النحاة تكلفوا في تعليل هذه القراءات.

ويقول: "آية ٨ من سورة الحجر: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾ فتبعاً لاختلاف القراء في قراءة اللفظ الدال على نزول الملائكة، هل هو نُنَزِّل، أو تَنْزِل، أو تُنْزَل (كل هذه القراءات ممثلة في الأقاليم المختلفة)، تفيد المعنى كل كلمة بما يناسبها: نحن ننزل الملائكة، أو الملائكة تنزل" [٣٣].

فهو هنا يذكر مثالاً آخر تفصيلي على النوع الأول من القسم الثاني، وهو اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة مع عدم التغيير في المعنى، وهو كلمة: "تنزل" من الآية ٨ من سورة الحجر التي قرأت بثلاث قراءات مختلفة (نُنَزِّل) نحن، أو (تَنْزِلْ) هي، أو (تُنْزَل)؛ والسبب فيها – من وجهة نظره – عدم تحلية هيكل الرسم بالحركات، ولكن مع ذلك فالمعنى متفق.

ثم بعد ذلك يتحدث عن النوع الثاني من القسم الثاني، وهو اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة مع اختلاف المعنى فقط قائلاً: "بيد أن هذا الاختلاف في الحركات قد يدعوا إلى تغييرات أبعد مدى من حيث المعنى، مثل آية ٤٣ من سورة الرعد: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فقد وردت هذه الجملة بالقراءة التالية "ومِنْ عِنْده عِلْمُ الكتاب"؛ كما أن تغييرا زائداً على هذا في تحريك لفظ "علم" سمح بالقراءة التالية "ومِنْ عنده عُلِم الكتاب"[٣٤].

فهو هنا يمثل بهذه الآية على اختلاف الحركات مع اختلاف المعنى؛ حيث يرى فيها ثلاث قراءات بينها اختلاف واضح في المعنى، وهي: "ومَنْ عنده عِلْمُ الكتاب"، والثانية: "ومِنْ عنده عِلْمُ الكتاب" أي من عند الله العلم، والثالثة: "ومِنْ عنده عُلِم الكتاب" أي من عند الله التعليم.

---

[٣٣] السابق صـ ١٣.

[٣٤] السابق صـ ١٣، ١٤.

ثم يتحدث عن النوع الثالث من القسم الثاني، وهو اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة مع اختلاف يؤدى إلى اختلاف فقهي قائلا: "وفي اختلاف الحركات الذى يتوقف عليه في نفس الوقت نظام تركيب الجملة في الآية، تنعكس أحياناً أيضًا صور من الاختلاف الفقهي. وتقدم المثال الأصيل لذلك آية ٦ من سورة المائدة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ فالرخصة المرفوضة التي قال بها الشيعة، من الاكتفاء عند الوضوء بمسح الرجلين، بدلاً من غسلهما، مبنية على عطف "وأرجلكم" على "رؤوسكم" المجرور بالباء على حين أن وجوب غسل الرجلين مبنى على عطفه منصوباً على "وجوهكم" المنصوب مفعولاً لقوله: "فاغسلوا" (أي فاغسلوا وجوهكم ...... وأرجلكم)" [٣٥].

فهو هنا يمثل بهذه الآية على اختلاف الحركات الموجب للاختلاف الفقهي؛ حيث يرى في الآية قراءتين، الأولى: "وأرجلَكم" بفتح اللام الموجبة لغسل الرجلين؛ حيث أنها معطوفة على الأيدي؛ فيكون حكمها الغسل كالأيدي؛ والثانية: "وأرجلِكم" بكسر اللام الموجبة للمسح؛ حيث أنها معطوفة على الرؤوس؛ فيكون حكمها المسح كالرؤوس.

مزاعم بلاشير بهذا الخصوص :

يلاحظ أن بلاشير يشير إلى ما ذكره جولد تسيهر، من أن الخط العربي الذى استعمله الناسخون كان سبباً لاختلاف القراءات، ولكنه يذكر ذلك على سبيل الإجمال دون ذكر أمثلة كما فعل جولد تسيهر فيقول: "ومع ذلك فإن مصحف عثمان بقى غير مكتمل في جوانب كثيرة منه. فإن النمط الخطى الذى استعمله الناسخون لم يزل بدائياً، ثم إن استنساخ المصاحف الخمسة الأساسية الموجودة في العواصم الإسلامية يثير مسألة خطيرة. فالحدث الهام أن التدوين لم يعف من حفظ النص غيباً. وبذلك ظلت الاختلافات النطقية والصرفية قائمة تظهر في اللهجات المحلية" [٣٦].

ويقول: "إن النص المكتوب يرشد القارئ، ويجنب قلب الألفاظ والإغفال، واللبس، ولكنه غير كاف لجعل نطق القارئ كاملاً. وهذا في الواقع ناتج عن طابع النقص في الخط

---

(٣٥) السابق صـ ١٥،١٤.

(٣٦) القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره صـ ٣١

العربي"[٣٧].

فهو هنا يذكر أن الخط العربي الذى استعمله الناسخون لم يُعف من حفظ النص غيباً، فلا يمكن الاعتماد على الحفظ وحده، بل لابد معه من التلقي قراءةً عن أحد مـن القـراء، وهـذا بدوره أدى إلى نوعين من الاختلافات الأول: الاختلافات النطقية، وهو بهذا يشير إلى القسم الأول، وهو اختلاف تحلية الهيكل المرسوم بالنقط، والثاني: الاختلافات الصرفية وهـو بهـذا يشير إلى القسم الثاني، وهو اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالـب مـن الحـروف الصامتة. ثم يعود بعد ذلك ويلقى بالتهمة في جعل نطق القارئ غير كامل على الخط العربـي متهماً إياه بالنقص.

مزاعم آرثر جفري بهذا الخصوص:

يقول آرثر جفري – في عرضه لبعض نتائج أبحاث المستشرقين – تحت عنوان خلـو مصحف عثمان من النقط والشكل: "وجد القراء في المصاحف التي بعثهـا عثمـان للأمصـار اختلافاً في بعض الحروف فكان في مصحف الكوفة "عملت" وفي غيره "عملته" وكـذلك فـي مصحف الشام "وبالزبر" وفي غيره "والزبر" وفي مصحف المدينة ومصحف الشام (فلا) وفـي غيرها "ولا" ومثل ذلك. وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات ومثال ذلك: "يعلمه" كان يقرؤهـا الواحد يُعَلِّمُهُ" والآخر "تُعَلِّمُهُ" أو "يُعْلِمْهُ" أو "بِعِلْمِهِ" الخ إلى حسب تأويله للآية، فكان حينئذ لكل قارئ اختيار في الحروف وكذلك اختيار في الشكل أيضًا" [٣٨].

فهو هنا يرى أن خلو المصاحف التي بعث بها عثمان ﷺ إلى الأمصـار مـن الـنقط والشكل، كان سبباً في تعدد القراءات؛ لأن كل قارئ كان له اختيار في الحروف، وهـو بهـذا يشير إلى القسم الأول، وهو اختلاف تحلية الهيكل المرسوم بالنقط، وكذلك اختيار في الشـكل أيضاً، وهو بهذا يشير إلى القسم الثاني، هو اختلاف الحركات في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، ثم يمثل على ذلك بمثال عام يجمع القسمين معا، وهو الهيكل "يعلمه" الذى يرى فيه أربع قراءات الأولى: يُعَلِّمُهُ"، والثانية: "تُعَلِّمُهُ"، والثالثة: "تُعْلِمْهُ"، والرابعة: "بِعِلْمِه".

---

(٣٧) السابق صـ ٣٣.

(٣٨) مقدمة كتاب المصاحف صـ٧.

الـــرد

ينبغي قبل أن أرد على آراء هؤلاء المستشرقين أن أحدد ردى على عدة نقاط:

١- الرد على الفكرة نفسها، وهي أن الخط العربي كان هو السبب في تعدد القراءات القرآنية، ويستلزم ذلك بيان تاريخ الإعجام والشكل في الخط العربي المتهم بمثل هذه التهمة.

٢- الرد على الأمثلة أو الأدلة التي ذكرها كل من: جولد تسيهر، وآرثر جفري، والتي يعتقدان أنها أدلة على زعمهما، لكنها في الحقيقة أدلة عليهما لا لهما، كما سأوضح بمشـــيئة الله تعالى.

أولاً: الرد على الفكرة نفسها، وهي أن الخط العربي كان هو سبب تعدد القراءات:

يجب على قبل أن أبدأ في الرد أن أحدد أمراً هاماً، وهو ما المراد بالخط العربي الـــذى هو السبب في تعدد القراءات –من وجهه نظرهم–؟

فجولدتسهير لا يحدد ما هو الخط العربي، ولكنه يتهمه على عمومه فيقول: "ترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي"[٣٩].

أما بلاشير فإن له رأياً آخر، حيث يرى أن السبب هو الخط الذى اســتعمله الناســخون فيقول: "ومع ذلك فإن مصحف عثمان بقى غير مكتمل في جوانب كثيرة منه. فإن النمط الخطى الذى استعمله الناسخون لم يزل بدائياً"[٤٠].

أما آثر جفري فإنه يرى أن المصاحف التي بعث بها عثمان ﷺ للأمصار هـــي الســـبب فيقول: "وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل فكان على القارئ نفسه أن يـــنقط ويشكل هذا النص على مقتضى معاني الآيات"[٤١].

وهذا يستلزم أن يكون السبب هو الخط الذى كتب به الناسخون هذه المصاحف، ويبـــدو أن جولد تسيهر يرى هذا الرأي مع بلاشير وآثر جفري، لكنه لم يصرح به، ومهما يكن فكلهم يرون أن الخط العربي هو السبب، سواء الخط العربي ذاته كما يرى جولد تســيهر، أو الخــط الذى استعمله الناسخون كما يرى كل من : بلاشير ، وآرثر جفري.

لكن بقى هنا نقطة هامة، وهي أي الخطوط التي استعملها الناسخون يرى بلاشير أنـــه

---

(٣٩) مذاهب التفسير الإسلامى صـــ٨.

(٤٠) القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره صـــ٣١.

(٤١) مقدمة كتاب المصاحف صـــ٧.

السبب في تعدد القراءات، هل هو الذى استعمله كتاب الوحى على عهد النبي ﷺ؟ أو هو الذى استعمله الكتاب على عهد أبى بكر ﷺ؟ أم هو الذى استعمله الناسخون على عهد عثمان ﷺ؟

أجده يعود فيقول: "ويبدوا أن فكرة تدوين مقاطع الوحى الهامة التي نزلت في السنوات السالفة على مواد خشنة من الجلود واللخاف، لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد في المدينة" (٤٢).

إذن فهو يرى أن الخط الذى أستعمله الناسخون كان أيام النبي ﷺ، ولكنه يرجع مرة أخرى فيقول: "على أن هذه الحاجة إلى التدوين لم تظهر فيما يبدو إلا بين الحين والآخر، وربما كانت تنشأ عن تحمس شخصي لبعض نصوص تشتمل على أدعية أو أحكام شرعية كانوا يرونها هامة، ولقد شجع النبي حماسة التدوين هذه ولكنه لم يجعلها واجبة. وعلى أي حال فإن هذا التدوين كان جزئياً ومثاراً للاختلاف، كما كان متخلفاً على الأخص بسبب عدم ثبات المواد والطرائق المستعملة لذلك التدوين" (٤٣).

إذن فهو يرى أن الخط الذى كان سبباً لتعدد القراءات، ليس هو الذى استعمله الكتاب أيام النبي ﷺ؛ لأنه -كما يزعم -كان جزئياً ومثاراً للاختلاف، كما أنه كان متخلفاً. فأي خط إذن هو سبب تعدد القراءات في نظره؟

أجده يرجع فيقول: "أما المرحلة الثانية فتبتدئ مع وفاة النبي وقد وجد الخليفة الأول أبو بكر نفسه أمام عالم هائج وعليه أن يقوم بدور كبير من قمع لارتداد خطير إلى الوثنية شرقي الجزيرة، ومن فتح يباشر به على الحدود السورية الفلسطينية سقط فيها مؤمنو الساعة الأولى واستولى الاضطراب على بعض العقول بشأن حفظ الكلام المنزل، وأخذت الفكرة تزداد إلحاحاً في تكوين مصحف يضم المجموعات الفردية. وكانت المبادرة من الخليفة نفسه ولكن النص الذى جمع وفقاً لمبادرته بقى ذا طابع شخصي ، ولا يبدو أنه فاق بنفوذه أياً من النصوص التي حققها غيره من أصحاب النبي" (٤٤).

فهو هنا يرى أن الخط الذى كان سبباً لتعدد القراءات، إنما هو الذى هو الذى استعمله الكتاب أيام أبى بكر ﷺ، ثم يعود فيقرر أنه لا يخرج عما استعمله الكتاب أيام النبي ﷺ.

ثم يقول: "وقد تمت خطوة حاسمة بعد عشرين عاماً إذ أقبلوا في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٦٤٤ – ٦٥٦) على جمع نص جديد أقيم على أساس أوسع، ومن وجه ما

(٤٢) القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته، وتأثيره صـ٢٨، ٢٩.

(٤٣) السابق صـ٢٩.

(٤٤) السابق صـ٣٠.

أشمل حصراً. كان المنطلق مصحف أبى بكر، فضموا إليه مقطوعات مبعثرة أو محفوظة غيباً فقط، وتم أخيراً إخراج مصحف رسمي قصد الخليفة إحلاله محل جميع المصـاحف الخاصـة" [٤٥].

إذن فهو يرى أن الخط الذى هو سبب تعدد القراءات، إنما هو الذى استعمله الناسخون أيام عثمان، والذى بدوره يرجع إلى الذى استعمله الكتاب أيام أبى بكر الصديق، وهـذا يرجع إلى ما استعمله الكتاب أيام النبي ﷺ.

الخلاصة:

أن جولد تسيهر يرى أن الخط العربي عامة هو سبب تعدد القراءات.

أما بلاشير فإنه يرى أن الخط الذى استعمله الناسخون أيام عثمان ، والذى يرجع إلى الذى استعمله الكتاب أيام أبى بكر ، وهذا بدوره يرجع إلى الـذى اسـتعمله الكتـاب أيـام النبيﷺ إنما هو سبب تعدد القراءات.

أما آرثر جفري فإنه يرى أن المصاحف التي بعث بها عثمان، والتي هـي مـن عمـل الناسخون، إنما هي سبب تعدد القراءات.

يتضح مما سبق جلياً أن كلاً من جولد تسيهر وبلاشير وآرثر جفري قد وقع في خطـأ منهجي خطير، وهو زعمهم أن الخط العربي كان سبباً لتعدد القراءات، وهذا يقتضى أن يكون الخط سابقاً على القراءات، بمعنى أن يكتب النص القرآني أولاً، ثم يختلف الصحابة فيه بعـد كتابته، أو بعد موت النبي ﷺ باعتباره هو المبلغ عن الله –تعالى–، أما إذا كان الخط موافقـاً للقراءات ووجوده مصاحب لوجودها كما هو الحال هنا؛ فإن أحدهما لا يكون سبباً للآخر، بـل كلاهما مسبب عن سبب واحد؛ ألا وهو الله – تعالى–، فالله – تعالى – هو الذى أوحى للنبيﷺ القرآن على قراءات متعددة، وهو الذى أمره بكتابته، وللبرهنة على ذلك سأذكر بعض أحاديث صحيحة عن النبي ﷺ تؤكد ما ذهبت إليه:

١ـ الحديث الأول:

ما رواه الإمام الطبري عن البراء بن عازب قال: "كنت عند رسـول الله ﷺ فقـال: ادع لى زيداً، وقل له: يأتي أو يجئ بالكتف والدواة، أو اللوح والـدواة، الشـك مـن زهيـر اكتب "﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فقال بن أم مكتوم: يـا رسـول الله إن

([٤٥]) السابق صــ٣٠، ٣١.

بعيني ضرراً فنزلت قبل أن يبرح ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾. وقال: حدثني المثنى قال: ثنا عبد الله بن رجاء البصرى قال: ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن البراء بنحوه، إلا أنه قال: قال رسول اللهﷺ ادع لي زيداً وليجيء معه بكتف ودواة أو لوح ودواة" [٤٦].

٢ـالحديث الثاني:

ما رواه الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدري ﷺ ان رسول الله ﷺ قال: "لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعدي من النار"[٤٧].

٣ـ الحديث الثالث:

ما رواه الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتبصرت حتى سلم فلببته برداءة فقلت: من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسول اللهﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ : كذلك أنزلت ثم قال: اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني رسول الله ﷺ فقال: كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على

---

[٤٦] جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبرى) ج٥، صـ٢٣٠.

والحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه – كتاب الجهاد والسير – باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿غَفُوراً رَحِيماً﴾ – حديث رقم [٢٦٧٦] ج٣ صـ ١٠٤٢، وكتاب التفسير – باب لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله – حديث رقم [٤٣١٧]، [٤٣١٨] ج٤ صـ١٦٧٧،وكتاب فضائل القرآن – باب كاتب النبي ﷺ – حديث رقم [٤٧٠٤] ج٤ صـ ١٩٠٩.

والإمام مسلم في صحيحه – كتاب الجهاد والسير – باب سقوط فرض الجهاد عن المعذورين – حديث رقم [١٨٩٨] ج٣ صـ١٥٠٨.

وأخرجه غيرهما.

[٤٧] صحيح مسلم – كتاب الزهد – باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم – حديث رقم [٣٠٠٤] ج٤ صـ٢٢٩٨.

والحديث أخرجه غيره.

سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه" [٤٨].

آراء العلماء القدامى والباحثين حول قضية الإعجام والشكل في الخط العربي:

آراء العلماء القدامى:

١ـ الإمام الداني:

يقول الإمام الداني بهذا الخصوص: "عن يحيى بن أبى كثير قال: كان القرآن مجرداً في المصاحف، فأول ما أحدثوا فيه النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به هو نور لـه، ثم أحدثوا فيها نقطاً عند منتهي الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم" [٤٩].

ثم يقول: "عن قتادة: بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا" [٥٠].

فهو بهذا يذكر روايتين، الأولى: عن يحيى بن أبى كثير، والثانية: عن قتادة تفيدان أن المصاحف كانت خالية من الإعجام والشكل، ثم أحدثوا فيها هذين الأمرين.

ثم يستدل بذلك على أنهما كانا موجودين في عهد الصحابة –رضى الله عنهم– فيقول: "هذا يدل على أن الصحابة وأكابر التابعين رضوان الله عليهم هم المبتدؤون بالنقط ورسم الخموس والعشور؛ لأن حكاية قتادة لا تكون إلا عنهم؛ إذ هو من التابعين، وقوله بدأوا إلى آخره: دليل على أن ذلك كان على اتفاق من جماعتهم، وما اتفقوا عليه أو أكثرهم فلا شكول في صحته ولا حرج في استعماله، وإنما أخلى الصدر منهم المصاحف من ذلك ومن الشكل، من حيث أرادوا الدلالة على بقاء السعة في اللغات والفسحة في القراءات، التي أذن الله تعالى

---

(٤٨) صحيح البخاري – كتاب فضائل القرآن – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف – حديث رقم [٤٧٠٦] ج٤ صـ١٩٠٩.

والحديث أخرجه الإمام البخاري أيضاً في صحيحه – كتاب الخصومات – باب كلام الخصوم بعضهم في بعض – حديث رقم [٢٢٨٧] ج٢ صـ٨٥١، وكتاب فضائل القرآن – باب من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا – حديث رقم [٤٧٥٤] ج٤ صـ١٩٢٣، وكتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم – باب ما جاء في المتأولين – حديث رقم [٦٥٣٧] ج٦ صـ٢٥٤١، وكتاب التوحيد – باب قول الله –تعالى– فاقرؤوا ما تيسر منه – حديث رقم [٧١١١] ج٦ صـ٢٧٤٤.

والإمام مسلم في صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف وبيان معناه – حديث رقم [٨١٨] ج١ صـ٥٦٠.

وأخرجه غيرهما.

(٤٩) نقط المصاحف صـ٢.

(٥٠) السابق، نفس الصفحة.

لعباده في الأخذ بها والقراءة بما شاءت منها، فكان الأمر على ذلك إلى أن حدث في الناس ما يوجب نقطها" [٥١].

إذن فالإمام الداني يرى أن القرآن كان مجرداً، وأن الصحابة وكبار التابعين هم الــذين بدأوا بالنقط ورسم الخموس والعشور، وأن الصدر من الصحابة قد أخلوا المصاحف من ذلــك ومن الشكل؛ حتى تستوعب القراءات التي صحت عن النبي ﷺ، والتي أَذِن للمسلمين بالقراءة بها تخفيفاً من الله –عز وجل–.

٢ـ الإمام أبو بكر بن العربي:

يقول الإمام أبو بكر بن العربي بهذا الخصوص: "وكان نقل المصحف إلى نســخه علــى النحو الذى كانوا يكتبونه لرسول الله ﷺ كتابة عثمان وزيد وأُبى وسواهم من غيــر نقــط ولا ضبط. واعتمدوا هذا النقل ليبقى بعد جمع الناس على ما في المصحف نوع من الرفــق فــي القراءة باختلاف الضبط" [٥٢].

فالإمام ابن العربي يشير إلى أن المصحف قد كتب بلا نقط ولا ضبط، سواء في ذلك مــا جمع في عهد أبى بكر ﷺ، أو ما نسخ في عهد عثمان ﷺ، وفقاً لما كتب بين يــدى رســول الله ﷺ؛ والسبب في ذلك هو استيعاب القراءات الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ.

٣ـ الإمام ابن تيمية:

يقول الإمام ابن تيمية بهذا الخصوص: "فإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرئوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف مع تنوع الأحرف في الرسم؛ فلأن يسوغ ذلك مع اتفاق ذلك في الرسم وتنوعه في اللفظ أولى وأحرى، وهذا من أسباب تركهم المصاحف أول ما كتبت غير مشكولة ولا منقوطة؛ لتكون صورة الرسم محتملة للأمرين، كالتاء واليــاء، والفــتح والضــم، وهــم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، ويكون دلالة الخــط الواحــد علــى كــلا المعنيــين المنقــولين المسموعين المتلوين شبيهاً بدلالة اللفظ الواحد على كــلا المعنيــين المنقــولين المعقــولين المفهومين" [٥٣].

فالإمام ابن تيمية يصرح هنا بأن الصحابة رضوان الله عليهم، قد تركوا الإعجام والشكل

([٥١]) السابق صــ٢، ٣.

([٥٢]) العواصم من القواصم، ج٢ صــ١٩٦، ١٩٧.

([٥٣]) مقدمه التفسير والتفسير منشور ضمن المجلد السابع من مجموع الفتاوى صــ٢١٧.

عند كتابة المصاحف عمداً؛ لاستيعاب القراءات القرآنية، ومثل لذلك بالتاء والياء، والفتح والضم، فمثلاً ترك الإعجام يدل على قراءتي التاء والياء، وترك الشكل يدل على قراءتي الفتح والضم.

٤ ـ الإمام ابن الجزري:

يقول الإمام ابن الجزري بهذا الخصوص: "وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي ﷺ؛ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط وكان من جملة الأحرف التي أشار إليها النبي ﷺ بقوله أنزل القرآن على سبعة أحرف[٥٤].

فالإمام ابن الجزري يصرح بأن المصاحف قد جردت من النقط (الإعجام) والشكل؛ لتحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ، أي أنه لو نقطت وشكلت لم تستوعب القراءات الصحيحة عن النبي ﷺ.

ويقول في موضع آخر "ثم إن الصحابة رضى الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل؛ ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي ﷺ، وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل؛ لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوين شبيهةً بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المفهومين؛ فإن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا عن رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً، ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه ﷺ ولا يمنعوا من القراءة به" [٥٥].

فهو بهذا يؤكد ما ذهب إليه سابقاً، وإن كان كلامه هنا شبيهاً بكلام الإمام ابن تيمية السابق.

آراء الباحثين المعاصرين:

١ – الدكتور/ عبد الله ربيع:

يرى الدكتور/ عبد الله ربيع في هذه القضية:

أولاً: أن الكتابة عند اختراعها كانت غير مشكولة، والسبب في ذلك يرجع إلى أمرين:

١ – قوة الحافظة عند العرب قبل الإسلام، وقلة اعتنائهم بالكتابة.

٢ – أن الحركات في اللغة ليست كثيرة، وإنما ترجع إلى ثلاثة الفتح، والضم، والكسر.

---

(٥٤) النشر في القراءات العشر ج١ صـ٧، ٨.

(٥٥) السابق ج١ صـ٣٣.

ثانياً: أن الشكل لم يدخل الكتابة العربية إلا بعد انتشار الإسلام، ودخول الأمم غير العربية فيه؛ مما أدى إلى وقوع اللحن في الكلام، وخاصة في القرآن الكريم.

ثالثاً: أن اختراع الشكل كان على يد أبى الأسود الدؤلي، وكان على هيئة نقاط فوق الحرف أو جواره أو تحته، وبلون يخالف لون المداد، وكان أوله إعراب القرآن الكريم بالتركيز على الحروف الأخيرة من الكلمة، كما أنه يستبعد الآراء التي قيلت بأن أبا الأسود قد استمد هذا الأمر من السريان، أو غيرهم، أو أن هناك من سبقه من العرب إليه.

رابعاً: أن المرحلة الثانية للشكل كانت على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي، والتي أكمل بها ما بدأه أبو الأسود، فكان الشكل على هيئة حروف صغيرة، مثل حروف المد الثلاثة، كما أنه وضع رموزاً كتابيةً لبعض الظواهر الأخرى.

خامساً: أن العلماء اختلفوا في الشكل، فمنهم من رغب فيه، ومنهم من كرهه، ومنهم من توسط.

سادساً: أن الإعجام ظهر في اللغة أيضاً بعد انتشار الإسلام، ودخول الأمم غير العربية في الدين؛ مما أدى إلى وقوع اللحن، بينما خلت منه الكتابة العربية قبل ذلك؛ وهو ما يرجع السبب فيه إلى قوة الملكة اللغوية عند العرب؛ مما يؤدى إلى سهولة التمييز بين الحروف بدون إعجام.

سابعاً: أن هناك دلائل تشير إلى ظهور الإعجام قبل ذلك في بعض الوثائق، ولكنه يرى أن هذه مجرد بدايات، أو أفكار لبعض الأشخاص، ولم تأخذ صفة العموم بحيث تشكل ظاهرة لغوية [٥٦].

٢ – الدكتور / غانم قدروى الحمد

يرى الدكتور/ غانم قدوري الحمد في هذه القضية:

أولاً: أن الشكل لم يكن معروفاً عند المسلمين وقت كتابة المصحف، وهذا رأي شبه مجمع عليه، وإنما ظهر بعد ذلك بعد انتشار الإسلام ودخول أمم غير عربية فيه؛ مما أدى إلى وقوع اللحن والخطأ في الكلام.

ثانياً: أن هناك رأيين في قضية الإعجام:

١ – أنه كان موجوداً قبل الإسلام، وموضوع مع وضع الحروف، وهذا رأي بعض علماء السلف وبعض الباحثين.

٢ – أنه لم يكن موجوداً قبل الإسلام، وإنما وجد بعد اختراع الشكل، وهذا ما يرجحه،

---

(٥٦) انظر في علم الكتابة العربية من صـ ١١٧ إلى صـ١٣٢.

كما أنه يرد على ما استدل به أصحاب الرأي الأول من أدلة ويفندها [٥٧].

٣ – الدكتور / جواد العلى:

يرى الدكتور/ جواد العلى في هذه القضية:

أولاً: أن هناك رأيين في قضية الشكل والإعجام:

١- أنهما كانا موجودين قبل الإسلام في الجاهلية.

٢- أنهما وجدا بعد انتشار الإسلام، ودخول أمم غير عربية في الدين؛ مما أدى إلى وقوع اللحن والخطأ، ولاسيما في قراءة القرآن؛ الأمر الذى كان سببا في اختراعهما.

ثانياً: أن القطع بأحد الرأيين غير صواب، والأولى التوقف؛ لأن الأمر في نظره لم يدرس دراسة علمية كافية، وهذا لا يتحقق إلا بأمرين:

١- العثور على كتابات جاهلية عربية، وعلى كتابات تعود إلى أيام الرسول ﷺ وما بعده.

٢- نشر ما ألفه العلماء عن النقط والشكل [٥٨].

٤ ـ الدكتور/ ناصر الدين الأسد:

يرى الدكتور/ ناصر الدين الأسد في هذه القضية:

أولاً: أن هناك رأيين في قضية الشكل والإعجام:

١-أنهما مخترعان بعد كتابة القرآن في خلافة عبد الملك بن مروان.

٢- أنهما كانا موجودين وقت كتابة القرآن ولكنهما تُركا قصداً لاستيعاب القراءات.

ثانياً: أن هناك أدلةً على الرأي الثاني، وربما يميل إليه، وهذه الأدلة هي :

١- ما رواه الفراء أن زيد بن ثابت ﷺ كان ينقط وهو يكتب القرآن.

٢- ما روى عن ابن عباس ﷺ من أن عامر بن جدرة وضع الإعجام، وهو أحد ثلاثة هم أول من كتب بالعربية.

٣- ما ذكره السجتإني أن الحجاج بن يوسف غير ينشركم بيسيركم، ورسمهما بلا نقط واحد، فالراجح أنه غير نقطها.

٤- عدم حاجة الكتابات الأخرى للنقط؛ لاختلاف حروفها اختلافاً يمنع اللبس؛ بخلاف الكتابة العربية.

٥- ورود كلمات تفيد النقط في أشعار جاهلية، لأبى زؤيب، والمرقش، وطرفة.

---

(٥٧) انظر رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية من صـ ٤٦٨ إلى صـ ٤٧٢.

(٥٨) انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ من صـ ١٨٥ إلى صـ ١٩٣.

٦-الوثيقة البردية التي يرجع تاريخها إلى سنة ٢٢هـ، وكذلك نقش وجـد بقـرب الطـائف ومؤرخ في سنة ٥٨هجرية، وقد وجد بهما حروف مشكولة معجمة.

ثالثاً: أن الأسلم التوقف في هذا الأمر [٥٩].

٥ – **الشيخ / محمد عبد العظيم الزرقاني:**

يرى الشيخ الزرقاني في هذه القضية :

أولاً: أن هناك رأيين في قضية الإعجام:

١ – أنه كان معروفاً قبل الإسلام.

٢ – أنه لم يعرف إلا بعد انتشار الإسلام على يد أبى الأسود الدؤلى.

ثانياً: أنه سواء كان هذا الرأى أو ذاك هو الصواب، فإن الإعجام لم يدخل المصحف إلا على يد عبد الملك بن مروان؛ إنقاذاً له من الخطأ واللحن؛ الناشئ عن اختلاط العرب بالعجم.

ثالثاً: أن الشكل (الحركات) لم يكن معروفاً عند العرب قبل الإسلام، بل بعده، عن طريق أبى الأسود الدؤلى، عن طريق نقاط فوق الحرف، أو تحته، أو بين أجزائه، أو نقطتين، للفتحة، والكسرة، والضمة، والسكون.

رابعاً: أن عبد الملك بن مروان قام باستبدال نقاط أبى الأسود بالحركات المعروفة الآن؛ حتى لا تختلط بنقاط الإعجام [٦٠].

٦ – **الشيخ / أبو عبد الله الزنجاني :**

يرى الشيخ الزنجاني في هذه القضية :

أولاً: أن الشكل (الحركات) لم يكن موجوداً قبل الإسلام؛ لقوة ملكة الإعراب عند العرب.

ثانياً: أن الإعجام قديم قبل الإسلام، وليس كما ذهب البعض إلى أنه مخترع في خلافة عبد الملك بن مروان، لكن العرب تساهلوا فيه حتى تنوسي شيئاً فشيئاً، ولم يبق منه إلا النادر ودليل ذلك:

١– العثور على كتابات قديمة محررة قبل خلافة عبد الملك بن مروان فيها إعجام بعض الحروف.

٢– تشابه صور حروف كثيرة كالباء والتاء والثاء تشابها يبعد معه عدم مميز يميزها[٦١].

---

(٥٩) انظر مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية من صـ ٣٤ إلى صـ ٤٢.

(٦٠) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن ج١ من صـ٤٠٦ إلى صـ٤٠٨.

(٦١) انظر تاريخ القرآن من صـ ٦٥ إلى صـ٦٨.

٧ – الدكتور/ عبد الصبور شاهين:

يرى الدكتور/ عبد الصبور شاهين في هذه القضية:

أولاً: أن الشكل لم يكن موجوداً وقت وجود الخط؛ لعدم الحاجة إليه، حيث كان الناس يعتمدون على سليقتهم الفصحى، ومعرفة السياق، وإنما وجد بعد انتشار الإسلام، ودخول أمم غير عربية فيه؛ مما نشأ عنه الخطأ، فقام باختراعه أبو الأسود الدؤلي.

ثانياً: أن هناك رأيين في تاريخ الإعجام في اللغة العربية.

١ – أنه وجد بعد الشكل.

٢– أنه قديم قدم الكتابة العربية، وهذا ما يرجحه الدكتور عبد الصبور شاهين.

ثالثاً: أن هناك فرقاً بين الإعجام على صورته القديمة، وبين ما صنعه أبو الأسود الدؤلي، وإلا ما صح إسناده إليه [٦٢].

بعد هذا العرض لآراء من سبق ذكرهم من العلماء القدامى والباحثين حول قضية الشكل والإعجام في الخط العربي أقرر عدة أمور محل اتفاق بين كل من سبق ذكرهم:

أولاً: أن المصاحف التي نسخها عثمان ﷺ كانت خالية من الإعجام والشكل.

ثانياً: أن الحاجة إلى النقط والشكل لم تظهر إلا بعد دخول أمم غير عربية في الإسلام، واختلاط العرب بالعجم مما أفسد الألسنة، أما قبل ذلك فسواء كانا موجودين أم لا فإنه لم يكن هناك داع لهما، وخاصةً في القرآن الكريم، الذى كان الاعتماد على حفظه أكثر من الكتابة ويؤيد ذلك عدة أمور:

١– أن القرآن عندما جمع في عهد أبى بكرﷺ، كانت الصحف التي جمع فيها عنده حتى توفي، ثم عند عمرﷺ حتى توفي، ثم عند حفصة بنت عمر-رضى الله عنها- حتى أرسل عثمانﷺ في طلبها، فلو كان المعول عليه الكتابة لنسخ كل صحابي وكل مسلم لنفسه نسخة.

٢– أن عثمان ﷺ عندما نسخ الصحف التي جمعت في عهد أبى بكرﷺ في المصاحف، وبعث بها إلى الأمصار، أرسل مع كل نسخة قارئاً من الصحابة.

٣– أنهم كانوا قديماً يعتبرون الكتابة المعجمة والمشكولة نوعاً من السب للمرسل إليه؛ إذ معناها نسبته إلى الغباء، وأنه لا يستطيع القراءة بدون إعجام وشكل.

---

(٦٢) انظر تاريخ القرآن من صـ ٦٦ إلى صـ ٧٠.

٤- أن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم -رضى الله عنهما- حينما اختلفا على عهد رسول اللهﷺ في القراءة، قال كل واحد منهم للآخر: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، ولم يقل: هكذا قرأتها من الصحف، فدل ذلك على أن المعول عليه هو الحفظ والتلقي عن رسول الله ﷺ.

٥- أنه لو كان النقط والشكل موجودين وقت كتابة المصاحف، لأخلى الصحابة المصحف منهما ليستوعب القراءات، كما فعلوا عندما وجدوا قراءات ثابتة عن رسول الله ﷺ في بعض الآيات، مثلاً بإثبات الواو وأخرى بتركها، فأثبتوها في بعض المصاحف دون بعض.

بناءً على ما سبق يتضح جلياً خطأ كل من: جولدتسيهر، وبلاشير، وآرثر جفري في دعواهم أن الخط العربي كان سبباً في تعدد القراءات، بل الثابت أنه كان سبباً في استيعابها.

ثانياً: بالنسبة للأمثلة التي ذكرها كل من: جولدتسيهر، وآرثر جفري، على مذهبهم في أن الخط العربي، وخلوه من الإعجام والشكل كان سبباً في تعدد القراءات.

(١) **الأمثلة التي ذكرها جولدتسيهر:**

١- ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأعراف: ٤٨).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: تستكبرون بالباء، والثانية: تستكثرون بالثاء؛ وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من النقط؛ حيث أن رسمها (تستكبرون) يحتملهما معاً. لكن القراءة الثانية، وهى تستكثرون، لم تثبت في القراءات العشر المتواترة، وبناءً عليه، فالآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى تستكبرون بالباء مع احتمال رسمها غيرها.

٢- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (الأعراف: ٥٧).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: بشراً بالباء، والثانية: نشراً بالنون؛ وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من النقط؛ حيث أن رسمها (نشراً) يحتملهما معا.

أما هذه الآية ففيها أربع قراءات متواترة وهى :
الأولى: نُشْراً بضم النون وإسكان الشين، وهى قراءة ابن عامر.
الثانية: بُشْراً بضم الباء وإسكان الشين ، وهى قراءة عاصم.
الثالثة: نَشْراً بفتح النون وإسكان الشين، وهى قراءة حمزة والكسائي وخلف.
الرابعة: نُشُراً بضم النون والشين، وهى قراءة باقي القراء العشرة [٦٣].

---

(٦٣) انظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٢٨٣، والتيسير في القراءات السبع للإمام الدانى صـ ١١٠، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ١٥٧، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ٢٨٥ ،٢٨٦ والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢صـ٢٦٩، ٢٧٠.وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٢٨٤.

٣- ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ (التوبة: ١١٤).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: إياه بالياء، والثانية: أباه بالباء، وينسبها إلى حماد الرواية، وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من النقط؛ حيث أن رسمها (إياه) يحتملهما معاً.

لكن القراءة الثانية، وهى أباه، لم تثبت في القراءات العشر المتواترة، وبناءً عليه فالآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى إياه بالياء مع احتمال رسمها غيرها.

٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ (النساء: ٩٤).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: فتبينوا بالباء ثم الياء ثم النون، والثانية: فتثبتوا بالثاء ثم الباء ثم التاء؛ وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من النقط؛ حيث أن رسمها (فتبينوا) يحتملهما معا.

أما هذه الآية ففيها قراءتان متواترتان:

الأولى: فتثبتوا بالثاء والباء والتاء، وهى قراءة حمزة والكسائي وخلف.

الثانية: فتبينوا بالباء والياء والنون، وهى قراءة باقي القراء العشرة[٦٤].

٥- ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: فاقتلوا بالتاء، والثانية: فأقيلوا بالياء؛ وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من النقط؛ حيث أن رسمها (فاقبلوا) يحتملهما معا.

لكن القراءة الثانية وهى، فأقيلوا، لم تثبت في القراءات العشر المتواترة، وبناءً عليه فالآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى فاقتلوا بالتاء مع احتمال رسمها غيرها.

---

(٦٤)انظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٢٣٦، والتيسير في القراءات السبع للإمام الدانى صـ٩٧، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ١٢٦، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ٢٠٨، ٢٠٩ والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ٢٥١، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٢٤٤.

٦- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفتح: ٨،٩).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: وتعزروه بالراء بعد الزاي، والثانية: وتعززه بالزاي بعد الزاي، وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من النقط؛ حيث أن رسمها (وتعرروه) يحتملهما معا.

أما هذه الآية ففيها قراءتان متواترة :

الأولى: ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه. بالياء في جميع الأفعال، وهى قراءة ابن كثير وابو عمرو.

الثانية: لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه. بالتاء في جميع الأفعال، وهى قراءة باقي القراء العشرة[٦٥].

أما قراءة فتعززوه بالزاي بدل الراء التي ذكرها جولدتسيهر، فإنها لم تثبت لا في القراءات العشر المتواترة، وبناءً عليه فالآية ليس فيها إلا قراءتان متواترتان مقبولتان، ليست هذه إحداهما مع احتمال رسم الآية لها.

٧- ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾ (الحجر:٨).

يرى أن فيها ثلاث قراءات، الأولى: تُنَزِّل بضم النون الأولى، وفتح الثانية، وتشديد الزاي مع كسرها، والثانية: تَنْزِل، بفتح التاء، وإسكان النون، وكسر الزاي مع تخفيفها، والثالثة: تُنْزَل، بضم التاء، وإسكان النون، وفتح الزاي مع تخفيفها؛ وسببهم -من وجهة نظره- خلو الكلمة من النقط؛ حيث أن رسمها (ننزل) يحتملهم جميعاً.

أما هذه الآية ففيها ثلاث قراءات متواترة:

الأولى: ما نُنَزِّل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاي المشددة، وهى قراءة حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم.

الثانية: ما تُنَزَّل بضم التاء وفتح النون والزاي المشددة، وهى قراءة أبى بكر عن عاصم

(٦٥)انظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٦٠٣، والتيسير في القراءات السبع للإمام الدانى صـ٢٠١، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ٣٢٩، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ٦٧١ ،٦٧٢، والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ٣٧٥، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٥٠٩.

الثالثة: ما تَنَزَّل بفتح التاء والنون والزاي المشددة، وهى قراءة باقي القراء العشرة[٦٦].

فالآية ليس فيها إلا ثلاث قراءات متواترة مقبولة، ذكر منها جولدتسيهر واحدة فقط وهى "ما نُنَزِّل" بضم النون الأولى، وفتح الثانية، وكسر الزاي المشددة.

أما القراءتان اللتان ذكرهما معها، وهما: تَنْزِل، بفتح التاء، وإسكان النون، وكسر الزاي المخففة، وتُنْزَل، بضم التاء وإسكان النون وفتح الزاي، فإنهما لم تثبتا في القراءات العشر المتواترة، مع احتمال الرسم لهما.

٨- ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾. (الرعد: ٤٣).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: عِلْم بكسر العين، وإسكان اللام، وضم الميم، والثانية: عُلِمَ، بضم العين، وكسر اللام، وفتح الميم، وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من الشكل. لكن للقراءة الثانية، وهى عُلِمَ لم تثبت في القراءات العشر المتواترة، وبناءً عليه فالآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى عِلْمُ بكسر العين وإسكان اللام، وضم الميم، مع احتمالها غيرها.

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (المائدة: ٦).

يرى أن فيها قراءتين، الأولى: وأرجلِكم بكسر اللام، والثانية: وأرجلَكم بفتح اللام؛ وسببهما -من وجهة نظره- خلو الكلمة من الشكل، وأنه بناءً على قراءة الفتح ذهب من يرى وجوب الغسل عطفاً على وجوهكم، وبناءً على قراءة الكسر ذهب من يرى المسح عطفاً على رؤوسكم.

أما هذه الآية ففيها قراءتان متواترتان:

الأولى: وأرجلكم بفتح اللام، وهى قراءة نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب وحفص عن عاصم.

الثانية: وأرجلكم بكسر اللام، وهى قراءة باقي القراء العشرة، كما أن من يقرءون بكسر

---

[٦٦] انظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٣٦٦، والتيسير في القراءات السبع للإمام الدانى صـ١٣٥، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ٢٠٦،٢٠٥، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ٣٨١ ، والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ٣٠١، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٣٤٥.

اللام يوجبون غسل الرجلين أيضا [٦٧].

بعد عرض القراءات التي في الأمثلة أو الأدلة التي ذكرها جولدتسيهر على زعمه، بأن الخط العربي كان سبباً في نشأة هذه القراءات؛ نظراً لخلوه من النقط والشكل، وبعد بيان المتواتر منها وغيره يتضح ما يلى:

أولاً: أن هناك أمثلةً ذكر جولدتسهير، فيها قراءات، وليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وعددها أربعة من تسعة وهى:

١ – ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ كلمة تستكبرون.

٢ – ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ كلمة إياه.

٣ – ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كلمة فاقتلوا.

٤ –﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ كلمة علم.

ثانياً: أن هناك أمثلة ذكر فيها قراءات بعضها متواتر والآخر شاذ، مع تواتر غير ما ذكره. وعددها اثنان من تسعة وهما:

١ – ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق﴾ كلمة ننزل، المتواتر فيها نُنَزِّل بضم النون الأولى وفتح الثانية وكسر الزاي المشددة، وتُنَزَّل بضم التاء وفتح النون والزاي المشددة، وتَنَزَّل بفتح التاء والنون والزاي المشددة. فهو لم يذكر إلا الأولى بينما ذكر قراءتين غير متواترتين، وهما تَنْزِل بفتح التاء وإسكان النون وكسر الزاي المخففة، وتُنْزَل بضم التاء وإسكان النون وفتح الزاي.

٢ – ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ﴾ كلمة وتعزروه، المتواتر فيها وتعزروه بالتاء، ويعزروه بالياء، فهو لم يذكر إلا الأولى، بينما ذكر قراءة غير متواترة، وهى وتعززوه بالزاي بدل الراء.

ثالثاً: أن هناك أمثلة ذكر فيها قراءات، لكن المتواتر فيها أكثر مما ذكره، وعددها واحد من

(٦٧)انظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٤٣، والتيسير في القراءات السبع للإمام الدانى صـ٩٩، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ١٢٩، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ٢٢٣،٢٢٢،٢٢١ ، والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ٢٥٤، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٢٥١.

تسعة وهو:

١ - ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ كلمة بشراً، المتواتر فيها بُشْراً بضم الباء وإسكان الشين، ونُشُراً بضم النون والشين، ونُشْراً بضم النون وإسكان الشين، ونَشْراً بفتح النون وإسكان الشين. فهو لم يذكر إلا قراءتين من الأربع.

رابعاً: أن هناك أمثلة ذكر فيها قراءات متواترة، والصحيح كما قال، وعددها اثنان من تسعة وهما:

١ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ كلمة فتبينوا، المتواتر فيها فتبينوا بالباء والياء والنون، وفتثبتوا بالثاء والباء والتاء.

٢ - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ كلمة وأرجلكم، المتواتر فيها بفتح اللام وكسرها.

فإذا أضفت إلى ما سبق ذكره أن جميع القراءات التي ذكرها يحتملها رسم الكلمة، بل يحتمل أكثر منها، اتضح جلياً أن ما حسبه جولدتسيهر أدلة على زعمه، هو في الحقيقة أدلة ضده لا معه، وإذا بطل الدليل بطل المدلول.

إذن فالخط العربي، وخلوه من النقط والشكل، لم يكن سبباً في تعدد القراءات، بل هناك سبب آخر، وهو رحمة الله - تعالى - بهذه الأمة بإنزاله القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف.

بقى هنا أن أناقش الدليلين أو المثالين العامين اللذين ذكرهما جولدتسيهر:

الأول: هو الهيكل (ب) الذى يزعم أنه كثر اختلاف القراء فيه، هل يحلى بنقطتين من أعلى أو من أسفل، فهو على الأول تاء فوقية لخطاب المذكور، وعلى الثاني ياء تحتية للغائب المذكر.

فيلاحظ من كلامه أنه يرد فيه على نفسه، فهو يزعم أن هذا الهيكل (ب) كثر اختلاف القراء فيه؛ بسبب عدم تحليته بالنقط، فقرأه البعض ياء وقرأه آخرون تاء، فلو كان الأمر كما ذكر لما كثر اختلافهم، بل لأصبح دائماً.

كما أنه لم يقدم أمثلة أو أدلة على زعمه، وقد قمت باستقراء سورة النبأ كمثال، فوجدت

فيها أفعال ينطبق عليها ما ذكره، تبدأ بالتاء، وأفعال أخرى تبدأ بالياء، مـــع أن القـــراء لـــم يختلفوا في أي منها وهى:

١- ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ كلمة يتساءلون.

٢- ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ كلمة يعلمون.

٣- ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ كلمة يعلمون.

٤- ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ كلمة ينفخ .

٥- ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾ كلمة فتأتون.

٦- ﴿لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلا شَرَاباً﴾ كلمة يذوقون.

٧- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ كلمة يرجون.

٨- ﴿لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً﴾ كلمة يسمعون.

٩- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ كلمة يملكون.

١٠- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ كلمة يقوم

١١- ﴿وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ﴾ كلمة يتكلمون.

١٢- ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ كلمة ينظر.

١٣- ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً﴾ كلمة يقول.

فهؤلاء ثلاثة عشر فعلاً مضارعاً في سورة واحدة، بعضها يبدأ باليـــاء وبعضـــها يبـــدأ بالتاء، ولم يختلف القراء في أي منها، مع أن رسمها واحد.

الثـاني: حرف (إن) الذى يزعم أن القراء اختلفوا فيه، هل هو إن المكسورة أو المفتوحة أو أن المصدرية الخفيفة؟، ثم لا يترك الامر هكذا كالمثال السابق، بل إنه يذكر أن الآيات ١٦ – ١٨ من سورة آل عمران يوجد بها مثالاً نموذجياً لهذا.

وقد قمت باستقراء هذا الربع كله المذكور فيه هاتين الآيتين من أول قوله تعـــالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، فوجدت أن حرف (إن) بأشكاله المختلفة مذكور في عدة مواضع هى:

١- ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ إنِّ بالكسر.

٢ - ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ﴾ أنَّ بالفتح.

٣ - ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ إنَّ بالكسر.

٤ - ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)﴾ إنَّ بالكسر.

٥ - ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ إنْ بالكسر.

٦ - ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ إنْ بالكسر.

٧ - ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ إنْ بالكسر.

٨ - ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ إنْ بالكسر.

٩ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ إنِّ بالكسر.

١٠ - ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ أنَّ بالفتح.

١١ - ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إنَّ بالكسر.

١٢ - ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا﴾ أنْ بالفتح.

١٣ - ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ إنْ بالكسر.

١٤ - ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾ أنَّ بالفتح.

١٥ - ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ إنْ بالكسر.

١٦ - ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ إنْ بالكسر.

١٧ - ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ إنَّ بالكسر.

فهؤلاء سبعة عشر موضعاً ورد فيها اللفظ إن على جميع أشكاله، والقراء لم يختلفوا إلا في موضع واحد فقط، هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ ، ففيها قراءتان متواترتان:

الأولى: أنَّ بالفتح، وهى قراءة الكسائي.

الثانية: إنَّ بالكسر، وهى قراءة باقي القراء العشرة [٦٨].

فلو كان الأمر كما زعم جولدتسيهر لاختلف القراء فيها كلها، لكن ذلك لم يحدث، فبطل ما زعمه من أن عدم النقط والشكل، كان سبباً في تعدد القراءات القرآنية.

(٢) **الأمثلة التي ذكرها آرثر جفري:**

([٦٨]) انظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ٢٠٢، ٢٠٣، والتيسير في القراءات السبع للإمام الدانى صـ٨٧، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ١٠٧، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ١٥٧، ١٥٨، والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى، ج٢ صـ٢٣٨، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٢٢١

وهو مثال واحد عام، وهو الهيكل "يعلمه" الذى يرى فيه أربع قراءات، الأولى: يُعَلِّمُـــهُ"، والثانية: "تُعَلِّمُه"، والثالثة: "تُعْلِمْهُ"، والرابعة: "بِعِلْمِه".

يذكر الدكتور/ أحمد البيلي أن هذا الهيكل قد ورد في القرآن الكريم في تسعة مواضـــع، جاء في خمسة منها فعلاً مضارعاً وهى:

١- ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (البقرة : ١٩٧).

٢- ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ (البقرة : ٢٧٠).

٣- ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ (آل عمران :٢٩).

٤- ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ﴾(آل عمران :٤٧، ٤٨)

٥- ﴿أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى إسرائيل﴾ (الشعراء :١٩٧) [٦٩]

وجاء في أربعة منها مصدراً مجروراً بالباء ومضافاً إلى ضمير المفرد الغائب وهى:

١- ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ (النساء: ١٦٦).

٢- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩).

٣- ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فصلت: ٤٧١).

٤- ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ (فاطر: ١١) [٧٠].

---

[٦٩] انظر الاختلاف بين القراءات صـــ١٠٣، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد البـــاقى صـــ٥٨٠.

[٧٠] انظر الاختلاف بين القراءات صـــ١٠٤، ١٠٥، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى صـــ٥٨٩.

قلت: وهناك موضعان آخران ورد فيهما مضارعاً مشدد اللام وهما:

١ - ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران: ٤٨).

٢ - ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (النحل: ١٠٣) (٧١).

فهؤلاء أحد عشر موضعاً ورد فيها هذا الهيكل "يعلمه"، والقراء لم يختلفوا إلا في موضع واحد فقط، وهو قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران: ٤٨)، ففي الآية قراءتان متواترتان:

الأولى: ويعلمه بالياء، وهى قراءة نافع وعاصم ويعقوب وابى جعفر.

الثانية: ونعلمه بالنون وهى قراءة باقي القراء العشرة (٧٢) .

فلو كان الأمر كما زعم آثر جفري لاختلف القراء فيها كلها لكن ذلك لم يحدث، فبطل ما زعمه من أن عدم النقط والشكل، كان سبباً في تعدد القراءات القرآنية.

---

(٧١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمحمد فؤاد عبد الباقى، صـ٥٨٣.

(٧٢) انظر السبعة في القراءات للإمام ابن مجاهد صـ٢٠٦ والتيسير في القراءات السبع للإمام الدانى صـ٨٨، والحجة في القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ١٠٩، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ١٦٣، والنشر في القراءات العشر للإمام ابن الجزرى، ج٢ صـ٢٤٠، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى، صـ٣٢٣.

الفصل الثانى

إضافة زيادات تفسيرية على النص القرآنى

مزاعم جولدتسيهر بهذا الخصوص:

يقول جولدتسيهر : "وطائفة أخرى من القراءات الظاهرة فى هذه الدائرة تنشأ من إضافة زيادات تفسيرية، حيث يستعان أحياناً على إزالة غموض فى النص بإضافة تمييز أدق، يحـــدد المعنى المبهم، ودفعاً لاضطراب التأويل"(٧٣).

فهو هنا يرى أن هناك مجموعة من القراءات تنشأ من إضافة زيـــادات تفســـيرية، وأن هذه الزيادات يستعان بها أحياناً كى تزيل غموض النص، أى أنها تفسر النص.

ثم يقول: "وقد رويت أمثال تلك الزيادات فى النص عن اثنين من صحابة الرسول بوجه خاص، تظهر فى قراءتيهما على وجه العموم أشد الاختلافات التى تمس حتى محصول السور، وكلاهما من أعظم المعلمين مقاماً فى أقدم طبقة إسلامية : عبد الله بن مسعود، وأُبى بن كعب، وقد انتفع فعلاً رجال الجدل المسيحيون بقراءات الأُول، فاتخذوها حجة للطعـــن فـــى صـــحة القراءات المشهورة" (٧٤) .

فهو هنا يشير إلى من رويت عنه الزيادات التفسيرية من الصحابةـــرضوان الله علـــيهم ـــ، وهما اثنان ـــ فى نظره ـــ عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب ـــ رضى الله عنهما ـــ، حيـــث يرى أنه تظهر فى قراءتيهما أشد الاختلافات.

ثم يقول "وعلى الرغم مما نال النص القرآنى فى قراءتيهما من تغييرات بعيدة المدى ـــ ليس فقط من حيث الحروف والحركات والكلمات كما ذكرنا ـــ فقد تمتعتا بالإجلال على أنهمـــا خير حجج النص القرآنى، مع الرجوع فى ذلك إلى حكم منسوب إلى الرسول ﷺ. وكـــان أُبـــى الذى استخدمه محمد ﷺ أيضاً فى كتابة الوحى، يعد أقرأ الصحابة بشهادة جبريل وحسبك بـــه شهيداً، وكان خيرهم استعداداً لتعريف من يدخلون حديثاً فى الإسلام ـــ عن طريق التعلـــيم ـــ بنجوم الوحى القرآنى، كما أن عبد الله بن مسعود تلقى شفاهاً من فم الرسول ﷺ سبعين سورة من القرآن وهو لا يزال بعد غلاماً يرعى الإبل، وكان من أول من أفشـــى نصـــوص الـــوحى المقدس فى أهل مكة وطبقاً لحديث عن الرسول روته أصح مجاميع السنة، يشـــتركان (أُبـــى وابن مسعود) مع اثنين آخرين من الصحابة فى مزية عظيمة : "تعلموا القرآن مـــن أربعـــة : عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبى حذيفة، وأُبى بن كعب، ومعاذ بن جبل" كمـــا روى هـــذا الاعتراف عن المحدث الثقة مجاهد "لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود، لم أحتج أن أسأل ابـــن عباس فى كثير من القرآن مما سألته" (٧٥) .

---

(٧٣) مذاهب التفسير الإسلامى صـــ ١٦.

(٧٤) السابق نفس الصفحة.

(٧٥) السابق صـــ ١٧، ١٨.

فهو هنا يرى أن ابن مسعود وأُبى ـ رضى الله عنهما ـ قد تمتعا بالإجلال، على الرغم مما فى قراءتيهما من تغييرات، كما أنهما أصبحا خير حجج للنص القرآنى؛ والسبب فى ذلك يرجع إلى ما روى من مآثرهما

فأبى رضي الله عنه :

١-كان يكتب الوحى للنبى ﷺ.

٢-كان يعد أقرأ الصحابة بشهادة جبريل ـ عليه السلام ـ.

٣-كان يُعلم القرآن لمن يدخل فى الإسلام حديثاً.

٤-أحد من قال فيهم النبى ﷺ :"تعلموا القرآن من أربعة".

أما ابن مسعود رضي الله عنه **فإنه** :

١-تلقى شفاهاً من رسول الله ﷺ سبعين سورة من القرآن، وهو لا يزال غلاماً يرعى الإبل.

٢-كان أول من أفشى نصوص الوحى المقدس فى أهل مكة.

٣-أحد من قال فيهم النبى ﷺ "تعلموا القرآن من أربعة".

٤-قال فيه مجاهد: "لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسال ابن عباس فى كثير من القرآن مما سألته".

ثم يقول بعد ذلك: "بيد أن هذين الصحابيين ليسا بالوحيدين اللذين نسب إليهما إدخال زيادات على النص المشهور، بل روى أيضاً بين حين وآخر عن آخرين" (٧٦).

فهو هنا يشير إلى أن هناك صحابة أُخر روى عنهم هذه الزيادات التفسيرية، ولكنه قليل.

ثم بعد ذلك يتساءل قائلاً: "وليس بواضح ما قصد من هذه الزيادات : هل قصد أصحابها من ذلك إلى تصحيح حقيقى للنص، أو إلى إضافة تعليقات موضحة فقط لا تغير النص فى شئ، ونظر إليها جيل متأخر بالنظرة الأولى؟ ولتصحيح هذه النظرة روى عن بعض الصحابة أنه يجوز إضافة مثل هذه التعليقات المعينة على الفهم، دون اعتراف بأنها من نص الوحى (جواز إثبات بعض التفسير فى المصاحف وإن لم يعتقده قرآناً)" (٧٧).

---

(٧٦) السابق صـ ٢٠، ٢١.

(٧٧) السابق صـ ٢١.

فهو هنا يتساءل عن سبب هذه الزيادات هل هو تصحيح النص القرآنى، أو أنها توضيحات له فقط، وأن الجيل المتأخر نظر إليها على أنها تصحيح للنص. ثم يذكر أنه روى عن بعض الصحابة جواز إثبات التفسير فى المصاحف وإن لم يعتقده قرآناً.

ثم يذكر بعد ذلك أمثلة، أو أدلة على زعمه فيقول: "ففى آية ٥٠ من سورة آل عمران ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَات (القراءة المشهورة بآيةٍ) مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ [+ من أجل ما جئتكم به] وَأَطِيعُونِ [+ فيما دعوتكم إليه] ﴾ أخذت الزيادات الموضوعة بين المعقوفات، والمروية عن عبد الله بن مسعود مظهر التكملات المفسرة، إلى جانب النص الأقرب إلى البساطة" [٧٨].

فهو هنا يرى أن هناك تكملات مفسرة مروية عن ابن مسعود ﷺ فى الآية، وهى (من أجل ما جئتكم به) بعد قوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ،والثانية (فيما دعوتكم به) بعد قوله –تعالى– ﴿وَأَطِيعُونِ﴾.

ويقول: "وفى آية ٦ من سورة الأحزاب : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ.....وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ زاد ابن مسعود فى موضع النقاط المرسومة ــ تدويراً للمعنى "وهو أب لهم" [٧٩] .

فهو يرى أن هناك زيادة مروية عن ابن مسعود ﷺ ، وهى (وهو أب لهم) بعد قوله تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ .

ويقول "وفى آية ٢١٣ من سورة البقرة : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أضاف الصحابيان السابقان كلمة "فاختلفوا" بعد ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ طبقاً للمفهوم المنطقى"[٨٠].

فهو هنا يرى أن هناك زيادة مروية عن ابن مسعود وأبى بن كعب–رضى الله عنهما–، وهى (فاختلفوا) بعد قوله –تعالى– ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ .

ويقول: " ويبدو أن تكملة منسوبة إلى ابن مسعود فى الآية ٧ من سورة المجادلة قصد بها، إلى جانب اختلاف لفظى طفيف، دفع شبهة دينية : ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا الله (النص المشهور هنا وفيما يأتى : إلا هُو)رَابِعُهُمْ [ولا أربعة إلا الله خامسهم] وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا الله سَادِسُهُمْ وَلا

([٧٨]) السابق صــ ٢١.

([٧٩]) السابق صــ ٢١، ٢٢.

([٨٠]) السابق صــ ٢٢.

أقل (النص المشهور ولا أَدْنَى) مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا اللهُ مَعَهُمْ [+ إذا أخذوا فى التناجى] ﴾ فهذه الزيادة الأخيرة بين المعقوفتين أريد بها فيما يبدو إزالة شبهة أن الله الشهيد على كل شئ لا تقتصر شهادته على وقت التناجى بل هو حاضر قبل ذلك عند قصد الشروع فيه" [٨١] .

فهو هنا يرى أن هناك زيادتين، الأولى : (ولا أربعة إلا الله خامسهم) بعد قوله -تعالى- ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ، والثانية : (إذا أخذوا فى التناجى) بعد قوله -تعالى- ﴿وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾.

ويرى أن الزيادة الثانية إنما زيدت؛ لدفع شبهة أن الله الشهيد على كل شئ لا تقتصر هذه الشهادة على وقت التناجى، بل هو حاضر قبل ذلك عن قصد الشروع فيه.

ويقول: "وأهون من ذلك خطراً تكملة عبد الله بن مسعود للآية ٧١ من سورة هود ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ [+ وهو قاعد] ﴾ " [٨٢] .

فهو هنا يرى أن هناك زيادة مروية عن ابن مسعود، وهى "وهو قاعد" بعد قوله تعالى ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾.

ويقول: "ويكثر الميل إلى إقحام مثل هذه الزيادات لا حيث يتجه القصد إلى استيفاء علاقة منطقية أو دينية فحسب كما فى الأمثلة، بل كذلك عند القصد إلى تحديد أقرب لأمر تشريعى يبدو غامض التعبير فى النص المشهور ففى الآية التى استدل بها من يجيز نكاح المتعة، آية ٢٤ من سورة النساء ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ أقحمت فى الموضع الحاسم زيادة على هذا النحو ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ [+إلى أجل مسمى] فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ تقوية لتأسيس جواز هذا النوع من عقد النكاح" [٨٣].

فهو هنا يرى أن هناك زيادة، وهى(إلى أجل مسمى) بعد قوله -تعالى- ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ.﴾،

وأن هذه الزيادة استدل بها من يجيز نكاح المتعة على جوازه.

ويقول: "وآية ١٩٨ من سورة البقرة، فى سياق تعاليم الحج إلى مكة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ

([٨١]) السابق صـ ٢٢، ٢٣.

([٨٢]) السابق صـ ٢٣.

([٨٣]) السابق نفس الصفحة.

﴿تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فقصداً إلى إزالة الشك فى أن هذه الكلمات تتضمن الترخيص، الذى تشـــكك فيه أفراد، بتعاطى صفقات التجارة فى أثناء القيام بعبادات الحج، أقحمت فى بعض القـــراءات هذه الزيادة. نسبت هذه الزيادة إلى ابن عباس ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ [+ فى مواسم الحج] ﴾ (أى الأسواق القديمة التى كانت معتادة فى الجاهلية)[٨٤]

فهو هنا يرى أن هناك زيادة، وهى (فى مواسم الحج) بعد قوله –تعالى– ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ، وأن هذه الزيادة جاءت لتوضيح أن المراد إباحة صفقات التجـــارة فـــى أثناء القيام بعبادات الحج.

ويقول "وفى آية ٢٣٨ من سورة البقرة ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى ﴾ ساد اختلاف كبير حول : أى الصلوات الخمس ينبغى أن يفهم من هذا التصوير المبهم (الصلاة الوســـطى) فحاول بعض حمل ذلك على صلاة الصبح وبعض آخر على صلاة الظهر. ويريد العدد الـــراجح من قدامى المفسرين أن يفهموا من ذلك صلاة العصر، لما ينسب من دلالة عظيمة إلـــى ذلـــك الوقت من النهار بوجه عام، وهى نظرة تسربت إلى الإسلام من محيط أجنبى. وقصـــداً إلـــى حماية هذا التفسير من تعيين وقت آخر منافس له، أقحم من يقول به توضـــيحهم فـــى نـــص القرآن فرووا عن مولاة لعائشة ــ ذكروا زيادة فى توثيق الرواية أن اسمها : حميدة بنت أبى يونس ــ أنها قالت : "أوصت عائشة لنا بمتاعها، فوجدت فى مصحف عائشـــة : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى [+ وهى العصر] ﴾ كما روى أن عائشة نفسها حينما سئلت عن الـــنص الصحيح قالت : "هكذا كنا نقرؤها. (فى الحرف الأول) على عهـــد الرســـول ﷺ " . ويـــروى بعضهم رواية ظاهرة الوضع، وإن صيغت فى قالب جدير بالوثوق، أن حفصة وهـــى زوجـــة أخرى للرسول، أمرت من يكتب لها مصحفاً، فقالت إذا بلغت هذا المكان فأعلمنى، فلمـــا بلـــغ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾ قالت اكتب "صلاة العصر" فإنى سمعت ذلك من رسول الله ﷺ. ولكن آخرين، ممن يضيفون على الأقل إلى صلاة العصر صلاة وسطى غيرها عارضوا هـــذه الرواية برواية بنص آخر لحفصة، يفيد أن حفصة أملت على مولاها، الـــذى أمرتـــه بكتابـــة مصحف لها : "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر" ولاستقصـــاء جميـــع الاحتمالات، كان لابد من اتخاذ البراء بن عازب صحابى الرسول سنداً لرواية مؤداها أن النص كان يقرأ عدة سنين على عهد الرسول "حافظوا على الصلوات وصلاة العصر" ثم غير الرسول نفسه هذا التعيين ناسخاً الأمر الأصلى بقراءة ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾"[٨٥] .

فهو هنا يرى أن هناك زيادة، وهى (وهى العصر) بعد قوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ

---

(٨٤) السابق صـــ ٢٤.

(٨٥) السابق صـــ ٢٤، ٢٥.

﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، وهى منسوبة إلى السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ وقد استدل بها من يرى أن الصلاة الوسطى هى صلاة العصر.

وزيادة أخرى عن السيدة حفصة –رضى الله عنها–، وهى (وصلاة العصر) بعد قوله –تعالى– ﴿ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، وقد استدل بها من يرى أن الصلاة الوسطى ليست صلاة العصر.

وإبدال، حيث روى عن البراء بن عازب ﷺ أنها كانت تقرأ على الحرف الأول "حافظوا على الصلوات وصلاة العصر" بدل والصلاة الوسطى، ثم غيرها الرسول ﷺ ناسخاً هذا الأمر بقراءة ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، وهذا يرجح مذهب من يرى أنها صلاة العصر.

ويقول: "وقد فرض القرآن (فى آية ٨٩ من سورة المائدة) كفارة الحنث فى يمين اللغو ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ . . . أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ وقد وقع اختلاف فى الجيل القديم : هل فرض فى النوع الأخير من الكفارة صيام ثلاثة أيام متتابعات، أو أن الكفارة تعد حاصلة بصيام ثلاثة أيام متتابعة ؟ فمن بين مدارس الفقه، تطلب مدرسة أبى حنيفة التتابع المتفق مع رأى كثير من ثقات المحدثين القدماء؛ فصيام ثلاثة أيام متفرقة لا يحقق الكفارة وتساهل فى ذلك مدارس أخرى. وقد حل ممثلوا الرأى الأول هذه العقدة المشكلة بإقحام رأيهم فى نص القرآن بزيادة موضحة، فقرؤا ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ [متتابعات]"، ولا تذكر النصوص المشهورة هذه الزيادة الأخيرة، ولكن نسبت إلى القارئين السابق ذكرهما، اللذين كانا على اتصال قريب بكتابة القرآن أُبى وابن مسعود، فى روايات كثيرة سردها الطبرى (جـ٧ ص ١٨، ١٩)" [٨٦].

فهو هنا يرى أن هناك زيادة، وهى (متتابعات) بعد قوله –تعالى– فى كفارة اليمين اللغو ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾، وأن هذه الزيادة المنسوبة إلى ابن مسعود وأُبى بن كعب ــ رضى الله عنهما ــ، قد استدل بها من يرى شرط التتابع فى الأيام الثلاثة، أما كونها متفرقة فلا يجزئ.

([٨٦]) السابق صـ ٢٦.

الـــــرد

أولاً : بالنسبة لما ذكره جولدتسيهر من أن غالبية الزيادات التفسيرية مروية عن اثنين من صحابة النبى ﷺ

ثم بعد ذلك ذكر لهما عدة مناقب قائلاً: "بأنه على الرغم مما نال النص القرآنى فى قراءتيهما من تغييرات بعيدة المدى فقد تمتعا بالإجلال"، فسيكون الرد عليه من ناحيتين :

الأولى : ذكر بعض مناقب هذين الصحابيين والمروية بأسانيد صحيحة.

الثانية : بيان هل هذه المناقب كافية فى قبول أى قراءة مروية او منسوبة إلى أحد هذين الصحابيين أو لا ؟

(١) **بالنسبة لمناقب هذين الصحابيين** :

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

١- ما رواه الإمام البخارى عن شقيق بن سلمة قال: "خطبنا عبد الله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من فى رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة والله لقد علم أصحاب النبى ﷺ أنى من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم قال شقيق فجلست فى الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك" [٨٧].

٢- ما رواه الإمام البخارى عن أبى موسى رضي الله عنه قال : "قدمت وأخى من اليمن فمكثنا حيناً ما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت من كثرة دخولهم ولزومهم له" [٨٨].

---

(٨٧) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن- باب القراء من أصحاب النبى ﷺ - حديث رقم [٤٧١٧] ج٤ ص١٩١٢.

والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه -كتاب فضائل الصحابة - رضى الله عنهم - باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضى الله عنهما - حديث رقم [٢٤٦٢] ج٤ صـ ١٩١٢.

وأخرجه غيرهما.

(٨٨) صحيح البخارى - كتاب المغازى - باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن وقال أبو موسى عن النبى ﷺ هم منى وأنا منهم - حديث رقم [٤١٢٣] ج٤ صـ ١٥٩٣.

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً - كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب عبد الله بن مسعود - حديث رقم [٣٥٥٢] ج٣ صـ ١٣٧٣.

والإمام مسلم فى صحيحه - كتاب فضائل الصحابة - رضى الله عنهم - باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضى الله عنهما - حديث رقم [٢٤٦٠] ج٤ صـ ١٩١١.

٣- ما رواه الإمام البخارى عن عبد الله ﷺ قال: "والله الذى لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه" [٨٩].

٤- ما رواه الإمام البخارى عن مسروق قال: "ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود فبدأ به وسالم مولى أبى حذيفة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل قال: لا أدرى بدأ بأبى أو بمعاذ" [٩٠].

٥- ما رواه الإمام البخارى عن عبد الرحمن بن يزيد قال: "سألنا حذيفة عن رجل قريب السمت والهدى من النبى ﷺ حتى نأخذ عنه فقال: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً وهدياً ودلاً بالنبى ﷺ من ابن أم عبد" [٩١] .

٦- ما رواه الإمام مسلم عن عبد الله ﷺ قال لما نزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ إلى آخر الآية قال لى رسول الله ﷺ : قيل لى :أنت منهم" [٩٢].

وأخرجه غيرهما.

([٨٩]) صحيح البخارى ــ كتاب فضائل القرآن ــ باب القراء من أصحاب النبى ﷺ ــ حديث رقم [٤٧١٦] ج٤ صـ١٩١٢.

والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ــ كتاب فضائل الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ــ رضى الله عنهما ــ حديث رقم [٢٤٦٣] ج٤ صـ ١٩١٣.

وأخرجه غيرهما.

([٩٠]) صحيح البخارى ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب مناقب سالم مولى أبى حذيفة ــ حديث رقم [٣٥٤٨] ج٣ صـ ١٣٧٢ .

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه ــ نفس الكتاب ــ باب مناقب عبد الله بن مسعود ــ حديث رقم [٣٥٩٧] ج٣ صـ ١٣٨٥، وكتاب فضائل القرآن ــ باب القراء من أصحاب النبى ﷺ - حديث رقم [٤٧١٣] ج٤ صـ ١٩١٢

والإمام مسلم فى صحيحه ــ كتاب فضائل الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ــ رضى الله عنهما ــ حديث رقم [٢٤٦٤] ج٤ صـ ١٩١٣.

وأخرجه غيرهما.

([٩١]) صحيح البخارى ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ ــ حديث رقم [٣٥٥١] ج٣ صـ ١٣٧٣ .

والحديث أخرجه غيره.

([٩٢]) صحيح مسلم ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضى الله عنهما ــ حديث رقم [٢٤٥٩] ج٤ صـ ١٩١٥.

٧- ما رواه الإمام مسلم عن أبى الأحوص قال: "شهدت أبا موسى وأبا مسعود حين مات ابن مسعود فقال أحدهما لصاحبه أتراه ترك بعده مثله فقال : إن قلت ذاك إن كان ليؤذن له إذا حجبنا ويشهد إذا غبنا، وعن أبى الأحوص قال: كنا فى دار أبى موسى مع نفر من أصحاب عبد الله وهم ينظرون فى مصحف فقام عبد الله فقال أبو مسعود: ما أعلم رسول الله ﷺ ترك بعده أعلم بما أنزل الله من هذا القائم فقال أبو موسى: أما لئن قلت ذاك لقد كان يشهد إذا غبنا ويؤذن له إذا حجبن" [٩٣].

٨- ما رواه الإمام ابن حبان عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال كنت يافعاً فى غنم لعقبة بن أبى معيط أرعاها فأتى علىَّ النبى ﷺ وأبو بكر فقال: يا غلام هل معك من لبن؟ فقلت: نعم ولكنى مؤتمن قال: ائتنى بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بعناق فاعتقلها رسول الله ﷺ ثم جعل يمسح الضرع ويدعو حتى أنزلت فأتاه أبو بكر رضوان الله عليه بشئ فاحتلب فيه ثم قال لأبى بكر: اشرب فشرب أبو بكر ﷺ ثم شرب النبى ﷺ بعده ثم قال للضرع: اقلص فقلص فعاد كما كان قال: ثم أتيت النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله علمنى من هذا الكلام أو من هذا القرآن فمسح رأسى وقال ﷺ : إنك غلام معلم قال: فلقد أخذت من فمه سبعين سورة ما نازعنى فيها بشر" [٩٤].

والحديث أخرجه غيره.

(٩٣) صحيح مسلم ــ كتاب فضائل الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه ــ رضى الله عنهما ــ حديث رقم [٢٤٦١] ج٤ صــ ١٩١١، ١٩١٢.

والحديث أخرجه غيره.

(٩٤) صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ ــ باب المعجزات ــ حديث رقم [٦٥٠٤] ج١٤ صــ ٤٣٢، ٤٣٣.

والحديث أخرجه الإمام ابن حبان أيضاً فى صحيحه ــ نفس الكتاب والباب ــ حديث رقم [٧٠٦١] ج١٥ صــ ٥٣٦.

والإمام أحمد فى مسنده ــ آخر أحاديث عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ حديث رقم [٣٥٩٨] ج١ صــ ٣٧٩، وحديث رقم [٤٤١٢] ج١ صــ ٤٦٢.

والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفه ــ كتاب الفضائل ــ باب ما أعطى الله محمداً ﷺ ــ حديث رقم [٣١٨٠١] ج٦ صــ ٣٢٧.

والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ــ حديث رقم [٨٤٥٥] ج٩ صــ ٧٨، وحديث رقم [٨٤٥٦] ج٩ صــ٧٩.

والإمام أبو يعلى فى مسنده ــ مسند عبد الله بن مسعود ــ حديث رقم [٤٩٨٥] ج٨ صــ ٤٠٢ ، وتابع مسند عبد الله بن مسعود ــ حديث رقم [٥٣١١] ج٩ صــ ٢١٠.

والإمام الطيالسى فى مسنده ــ ما أسند عبد الله بن مسعود ﷺ ــ حديث رقم [٣٥٣] ج١ صــ ٤٧.

٩- ما رواه الإمام ابن حبان عن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ مر بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وعبد الله يصلى فافتتح بسورة النساء فسحلها فقال رسول الله ﷺ : من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد ثم قعد ثم سأل فجعل رسول الله ﷺ يقول: سل تعطه فقال فيما يقول: اللهم إنى أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ومرافقة نبينا محمد فى أعلى جنة الخلد فأتى عمر عبد الله يبشره فوجد أبا بكر قد سبقه قال إنك إن فعلت إنك لسباق بالخير" (٩٥).

---

(٩٥) صحيح ابن حبان ــ كتاب إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضى الله عنهم أجمعين ــ حديث رقم [٧٠٦٧] ج١٥ صــ ٥٤٣.

والحديث أخرجه الإمام النسائى فى السنن الكبرى ــ كتاب المناقب ــ مناقب أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والنساء ــ عبد الله بن مسعود ــ حديث رقم [٨٢٥٥] ، [٨٢٥٦] ج٥ صــ ٧١.

والإمام ابن ماجه فى سننه ــ باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ــ فضل عبد الله بن مسعود ﷺ ــ حديث رقم [١٣٨] ج١ صــ ٤٩.

والإمام أحمد فى مسنده ــ مسند أبى بكر الصديق ﷺ ــ حديث رقم [٣٥] ج١ صــ٧، وآخر أحاديث عبد الله بن عباس ــ رضى الله عنهما ــ حديث رقم [٤٢٥٥] ج١ صــ ٤٤٥، ومسند أبى هريرة ﷺ ــ حديث رقم [٩٧٥٣] ج٢ صــ ٤٤٦، وحديث عمرو بن الحرث بن المصطلق ﷺ ــ حديث رقم [١٨٤٨٠] ج٤ صــ ٢٧٨.

وفى فضائل الصحابة ــ فضائل عبد الله بن مسعود ﷺ ــ حديث رقم [١٥٣٧] ج٢ صــ ٨٣٨، وحديث رقم [١٥٥٣] ، [١٥٥٤] ج٢ صــ ٨٤٤

والحاكم فى المستدرك ــ كتاب التفسير ــ حديث رقم [٢٨٩٤] ، [٢٨٩٥] ج٢ صــ ٢٤٧، وقال: حديث علقمة عن عمر صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأتوهمهما لم يصح عندهما سماع علقمة بن قيس من عمر والله أعلم وله شاهد مفسر من حديث عامر بن ياسر، وكتاب معرفة الصحابة ــ ذكر مناقب عبد الله بن مسعود ﷺ ــ حديث رقم [٥٣٩٠] ج٣ صــ ٣٥٩.

والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ــ حديث رقم [٨٤١٧] ج٩ صــ ٦٨، وحديث رقم [٨٤٢١] ج٩ صــ٧٠، وحديث رقم [٨٤٢٣] ج٩ صــ ٧١.

والإمام أبو يعلى فى مسنده ــ حديث رقم [١٦] ج١ صــ ٢٦، ومسند عمر بن الخطاب ﷺ ــ حديث رقم [١٩٣] ، [١٩٤] ج١ صــ ١٧٢، ومسند عبد الله بن مسعود ــ حديث رقم [٥٠٥٨] ج٨ صــ٤٧١ ،ومسند أبى هريرة ــ حديث رقم [٦١٠٦] ج١٠ صــ ٤٩١.

والإمام الطيالسى فى مسنده ــ ما أسند عبد الله بن مسعود ﷺ حديث رقم [٣٣٤] ج١ صــ ٤٤.

أبى بن كعب ﷺ :

١- ما رواه الإمام البخارى عن أنس ﷺ قال: "جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أبى ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى" (٩٦).

٢- ما رواه الإمام البخارى عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبى ﷺ لأبى :"إن الله أمرنى أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال: وسمانى؟ قال: نعم فبكى"(٩٧).

٣- ما رواه الإمام البخارى عن مسروق قال: "ذكر عبد الله عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول: استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود فبدأ به وسالم مولى أبى حذيفة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل قال: لا أدرى بدأ بأبى أو بمعاذ" (٩٨).

٤- ما رواه الإمام الترمذى عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياءً عثمان وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت وأقرؤهم أبى ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة

---

(٩٦) صحيح البخارى ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب مناقب زيد بن ثابت ﷺ ــ حديث رقم [٣٥٩٩] ج٣ صـ١٣٨٦.

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه ــ كتاب فضائل القرآن ــ باب القراء من أصحاب النبىﷺ ــ حديث رقم [٤٧١٧] ج٤ صـ ١٩١٣.

والإمام مسلم فى صحيحه ــ كتاب فضائل الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ باب فضائل أبى بن كعب وجماعة من الأنصار ــ رضى الله عنهم ــ حديث رقم [٢٤٦٥] ج٤ صـ ١٩١٤.

وأخرجه غيرهما.

(٩٧) صحيح البخارى كتاب فضائل الصحابة ــ باب مناقب أبى بن كعب ﷺ ــ حديث رقم [٣٥٩٨] ج٣ صـ ١٣٨٥ والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه ــ كتاب التفسير ــ باب تفسير سورة إنا أنزلناه ... القدر ــ حديث رقم [٤٦٧٧] ج٤ صـ ١٨٩٧.

والإمام مسلم فى صحيحه ــ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل والحذاق فيه وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه ــ حديث رقم [٧٩٩] ج١ صـ ٥٥٠.

وأخرجه غيرهما.

(٩٨) صحيح البخارى ــ كتاب فضائل الصحابة ــ باب مناقب سالم مولى أبى حذيفة ــ حديث رقم [٣٥٤٨] ج٣ صـ ١٣٧٢.

والحديث سبق تخريجه.

بن الجراح". قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبى ﷺ نحوه والمشهور حديث أبى قلابة[٩٩].

(٢) هل هذه المناقب كافية فى قبول أى قراءة مروية أو منسوبة لأحد هذين الصحابيين ؟

الجواب: أن هذه المناقب وغيرها غير كاف فى قبول أى قراءة، تُروى أو تنسب لأحد هذين الصحابيين، بل لو كانت القراءة منسوبة أو مروية عن رسول الله ﷺ نفسه، إلا بعد توافر ثلاثة شروط اشترطها العلماء فى هذا المقام، يقول الإمام ابن الجزرى: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهى القراءة

---

(٩٩) سنن الترمذى ـ كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ ـ باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبى عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنهم ـ حديث رقم [٣٧٩٠] ج٥ صـ ٦٦٤، وحديث رقم [٣٧٩١] ج٥ صـ٦٦٥.

والإمام النسائى فى السنن الكبرى ـ كتاب المناقب ـ مناقب أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار والنساء ـ أبى بن كعب ﷺ ـ حديث رقم [٨٢٤٢] ج٥ صـ٦٧، وزيد بن ثابت ﷺ ـ حديث رقم [٨٢٨٧] ج٥ صـ٧٨ .

والإمام ابن ماجه فى سننه ـ باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ ـ فضائل خباب ـ حديث رقم [١٥٤] ج١ صـ٥٥ .

والإمام أحمد فى مسنده ـ مسند أنس بن مالك ﷺ ـ حديث رقم [١٤٠٢٢] ج٣ صـ٣٨١.

والحاكم فى المستدرك ـ كتاب معرفة الصحابة ـ ذكر مناقب زيد بن ثابت ـ حديث رقم [٥٧٨٤] ج٣ صـ٤٧٧، وذكر عبد الله بن عباس بن المطلب ـ رضى الله عنهما ـ حديث رقم [٦٢٨١] ج٣ صـ٦١٦. وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة وإنما اتفقا بإسناده هذا على ذكر أبى عبيده فقط وقد ذكرت علته فى كتاب التلخيص.

والإمام ابن حبان فى صحيحه ـ كتاب إخباره ﷺ عن نماقب الصحابة رجالهم ونسائهم بذكر أسمائهم رضى الله عنهم أجمعين ـ حديث رقم [٧١٣١] ج١٦ صـ ٧٤، وحديث رقم [٧١٣٧] ج١٦ صـ ٨٥، وباب فضل الأمة ـ حديث رقم [٧٢٥٢] ج١٦ صـ ٢٣٨.

والإمام البيهقى فى سننه الكبرى ـ كتاب الفرائض ـ باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قول غيره من الصحابة ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ فى علم الفرائض ـ حديث رقم [١١٩٦٦] ، [١١٩٦٧] ، [١١٩٦٨] ج٦ صـ ٢١٠.

والإمام عبد الرازق فى مصنفه ـ كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدى رواية الإمام عبد الرازق الصنعانى ـ باب أصحاب النبى ﷺ ـ حديث رقم [٢٠٣٨٧] ج١١ صـ ٢٢٥.

والإمام الطبرانى فى المعجم الصغير ـ حديث رقم [٥٥٦] ج١ صـ ٣٣٥.

والإمام أبو يعلى فى مسنده ـ تابع مسند عبد الله بن عمر ﷺ ـ حديث رقم [٥٧٦٣] ج١٠ صـ١٤١.

والإمام الطيالسى فى مسنده ـ أبو قلابة عن أنس ـ رضى الله عنهما ـ حديث رقم [٢٠٩٦] ج١صـ٢٨١.

الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها ، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى، ونص عليه فى غير موضع الإمام أبو محمد مكى بن أبى طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوى، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة ، وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن أحد منهم خلافه"[١٠٠]

فهو هنا يذكر الشروط الثلاثة الواجب توافرها فى القراءة حتى تكون صحيحة مقبولة وهى:

١-موافقة العربية ولو بوجه.

٢-موافقة أحد المصاحف العثمانية ولا احتمالاً.

٣-صحة السند وإن كان هناك من اشترط التواتر ولم يكتف بصحة السند.

ثم يحكم بعد ذلك على أى قراءة خالفت أحد هذه الشروط بأنها ضعيفة أو شاذة أو باطلة. فإذا ما نظرت إلى الزيادات التفسيرية المروية عن الصحابة على أنها قراءات يتضح جلياً أن هناك شرطاً من هذه الشروط الثلاثة غير متوافر فيها، وهو موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

ولتوضيح ذلك يقول الإمام ابن الجزرى: "على أن مخالف صريح الرسم فى حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورةً مستفاضة، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء (تسئلنى) فى الكهف وقراءة (وأكون من الصالحين) والظاء من (بضنين) ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود فإن الخلاف فى ذلك يغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعانى فإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه وهذا هو الحد الفاصل فى حقيقة اتباع الرسم" [١٠١].

وعلى هذا فإن زيادة كلمة أو نقصانها عن رسم المصحف العثمانى، يجعل هذه القراءة غير مقبولة، وعليه فيكون الحكم عليها بأنها قراءة شاذة أو ضعيفة أو باطلة.

([١٠٠]) النشر فى القراءات العشر، ج١ صـ٩.

([١٠١]) السابق ، ج١ صـ ١٢، ١٣.

ثانياً : **بالنسبة لما ذكره جولدتسيهر من أمثلة أو أدلة على زعمه**:

١-المثال الأول قوله تعالى ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (آل عمران: ٥٠)

يرى فيها زيادتين الأولى : (من أجل ما جئتكم به) بعد قوله -تعالى- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ، والثانية: (فيما دعوتكم به) بعد قوله -تعالى- ﴿وَأَطِيعُونِ﴾، وهما مرويتان عن ابن مسعود ﷺ .

وفى ذلك يقول الإمام الزمخشرى: "وقرأ عبد الله (وجئتكم بآيات من ربكم) فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعون فيما دعوتكم إليه" [١٠٢].

لكن هاتين القراءتين، إن صحتا عن ابن مسعود ﷺ فإنهما شاذتان؛ لمخالفتهما شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

٢-المثال الثانى: قوله -تعالى- ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب:٦)

يرى فيها زيادة مروية عن ابن مسعود ﷺ ، وهى (وهو أب لهم) بعد قوله -تعالى- ﴿مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ .

وفى ذلك يروى الحاكم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- :" أنه كان يقرأ هذه الآية (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم" هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[١٠٣].

قال الحافظ الذهبى: بل طلحة ساقط [١٠٤].

لكن هذه القراءة، إن صحت عن ابن عباس- رضى الله عنهما- فإنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

٣-المثال الثالث: قوله -تعالى- : ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (البقرة: ٢١٣)

يرى فيها زيادة مروية عن ابن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ وأبى بن كعبﷺ، وهى (فاختلفوا) بعد قوله -تعالى- ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ .

---

(١٠٢) الكشاف ج١ صـ ٣٦٥.

(١٠٣) المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ـ تفسير سورة الأحزاب ـ حديث رقم [٣٥٥٦] ج٢ صـ٤٥٠.

(١٠٤) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج٢ صـ٤١٥.

وفى ذلك يروى الحاكم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وكذلك فى قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا". هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه(١٠٥).

قال الحافظ الذهبى: على شرط البخارى (١٠٦).

لكن هذه القراءة، وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

٤-**المثال الرابع**: قوله -تعالى- ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ (المجادلة: ٧)

يرى فيها زيادتين مرويتين عن ابن مسعود ﷺ، الأولى : (ولا أربعة إلا الله خامسهم) بعد قوله -تعالى- ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ، والثانية : إذا أخذوا فى التناجى) بعد قوله تعالى ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾.

وفى ذلك يقول الإمام الزمخشرى: "وفى مصحف عبد الله إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا" (١٠٧).

لكن هاتين القراءتين، إن صحتا فإنهما شاذتان؛ لمخالفتهما شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

٥-**المثال الخامس**: قوله -تعالى- ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ (هود: ٧١)

يرى فيها زيادة مروية عن ابن مسعود ﷺ، وهى (وهو قاعد) بعد قوله -تعالى- ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ .

وفى ذلك يقول الإمام الزمخشرى : "وامرأته قائمة قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفى مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو

---

(١٠٥) السابق ــ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين ــ ذكر نوح النبى ﷺ ــ حديث رقم [٤٠٠٩] ج٢ صـ ٥٩٦.

(١٠٦) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج٢ صـ٥٤٧.

(١٠٧) الكشاف ج٤ صـ ٤٩٠.

قاعد فضحكت" [١٠٨] .

لكن هذه القراءة، إن صحت فإنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

٦-**المثال السادس**: قوله -تعالى- ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (النساء: ٢٤)

يرى فيها زيادة، وهى (إلى أجل مسمى) بعد قوله -تعالى- ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾، وفى ذلك يروى الحاكم عن أبى نضرة قال: "قرأت على ابن عباس رضى الله عنهما فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة قال ابن عباس فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى قال أبو نضرة فقلت ما نقرأها كذلك فقال ابن عباس والله لأنزلها الله كذلك". هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[١٠٩].

قال الحافظ الذهبى: على شرط مسلم [١١٠].

لكن هذه القراءة، وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

٧-**المثال السابع**: قوله -تعالى- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (البقرة: ١٩٨)

يرى فيها زيادة، وهى (فى مواسم الحج) بعد قوله -تعالى- ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ .

وفى ذلك يروى الإمام البخارى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: "كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً فى الجاهلية فلما كان الإسلام فكأنهم تأثموا فيه فنزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فى مواسم الحج) قرأها ابن عباس[١١١].

لكن هذه القراءة، وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

---

(١٠٨) السابق ج٢ صـ ٤١٠.

(١٠٩) المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير ـ تفسير سورة النساء حديث رقم [٣١٩٢] ج٢ صـ ٣٣٤.

(١١٠) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج٢ صـ٣٠٥.

(١١١) صحيح البخارى ـ كتاب البيوع وقول الله عز وجل﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ وقوله ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾- باب ما جاء فى قول الله تعالى ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ وقوله ﴿ولا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ -حديث رقم [١٩٤٥] ج٢ صـ ٧٢٣.

٨-**المثال الثامن**: قوله -تعالى- ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ (البقرة: ٢٣٨)

يرى فيها ثلاث روايات، الأولى: مروية عن السيدة عائشة ــ رضى الله عنهاــ، وهى زيادة (وهى العصر) بعد قوله تعالى ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، والثانية: مروية عن السيدة حفصة ــ رضى الله عنهاــ ، وهى زيادة (وصلاة العصر) بعد قوله تعالى ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، والثالثة: مروية عن البراء بن عازب ﷺ، وهى أنها كانت تقرأ على الحرف الأول (حافظوا على الصلوات وصلاة العصر)، ثم أبدلت ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾.

أما ما روى عن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ فقد روى الإمام مسلم عن أبى يونس مولى عائشة ــ رضى الله عنها ــ أنه قال: "أمرتنى عائشة أن أكتب لها مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾فلما بلغتها آذنتها فأملت على ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ وصلاة العصر ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ قالت عائشة: سمعتها من رسول الله ﷺ " (١١٢).

فالمروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها- (وصلاة العصر)، وليس (وهى العصر) كما زعم جولدتسيهر، لكن هذه القراءة، وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

أما ما روى عن السيدة حفصة ــ رضى الله عنها ــ فقد روى الإمام ابن حبان عن عمرو بن رافع مولى عمر بن الخطاب: "أنه كان يكتب المصاحف فى عهد أزواج النبى ﷺ قال: فاستكتبتنى حفصة مصحفاً وقالت: إذا بلغت هذه الآية من سورة البقرة فلا تكتبها حتى تأتينى بها فأملها عليك كما حفظتها من رسول الله ﷺ قال: فلما بلغتها جئتها بالورقة التى أكتبها فقالت: اكتب ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ وصلاة العصر ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (١١٣).

لكن هذه القراءة، وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

---

(١١٢) صحيح مسلم ــ كتاب الصلاة ــ باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هى صلاة العصر ــ حديث رقم [٦٢٩] ج١ صــ ٤٣٧.

(١١٣) صحيح بن حبان ــ كتاب التاريخ ــ باب من صفته ﷺ وأخباره ــ حديث رقم [٦٣٢٣] ج١٤ صــ ٢٢٨.

أما ما روى عن البراء بن عازب ﷺ، فقد روى الإمام مسلم عن البراء بن عازب ﷺ قال: نزلت هذه الآية حافظوا على الصلوات وصلاة العصر فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ فقال رجل كان جالساً عند شقيق له: وهى إذن صلاة العصر فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله والله أعلم". قال مسلم: ورواه الأشجعى عن سفيان الثورى عن الأسود بن قيس عن شقيق بن عقبة عن البراء بن عازب قال: قرأناها مع النبى ﷺ زماناً بمثل حديث فضيل بن مرزوق(١١٤).

فهذا الحديث يدل على أنه كانت هناك قراءة أخرى فى هذه الآية، ثم نسخت، وأن آخر قراءة عن النبى ﷺ هى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾، وهذا يؤيد ما سبق من أن ما سوى هذه القراءة شاذ.

٩-**المثال التاسع**: قوله -تعالى- ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ (المائدة:٨٩)

يرى فيها زيادة منسوبة إلى أبى وابن مسعود -رضى الله عنهما-، وهى (متتابعات) بعد قوله -تعالى- ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾.

وفى ذلك يروى الحاكم: "عن أُبى بن كعب ﷺ :" أنه كان يقرؤها (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متتابعات)". هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه (١١٥).

قال الحافظ الذهبى : صحيح (١١٦).

لكن هذه القراءة، وإن كانت صحيحة الإسناد إلا أنها شاذة؛ لمخالفتها شرط موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

اتضح مما سبق أن إضافة زيادات تفسيرية لم يكن سبباً فى تعدد القراءات كما زعم جولدتسيهر؛ لأن كل ما روى فى ذلك فإنما هو قراءات شاذة وليس قراءات متواترة ؛ لفقدها شرطاً من شروط القراءة المتواترة، وهو أن تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً.

إشارة إلى قضيتين فى غاية الأهمية:

---

(١١٤) صحيح مسلم ــ كتاب الصلاة ــ باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هى صلاة العصر ــ حديث رقم [٦٣٠] ج١ صـ ٤٣٨.

(١١٥) المستدرك على الصحيحين ــ كتاب التفسير ــ من سورة البقرة ــ حديث رقم [٣٠٩١] ج٢ صـ ٣٠٣.

(١١٦) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج٢ صـ ٢٧٦.

القضية الأولى : هل ما روى عن الصحابة من قراءات فيها زيادات تفسيرية كانت قراءات ثم نسخت، أو أنها من قبيل الزيادات التفسيرية التى كانوا يثبتونها مع القرآن فى مصاحفهم لأمنهم من اللبس، ثم جاء من بعدهم فحسبها من القرآن؟

الجواب: أن الإمام السيوطى تحدث عن هذا النوع من القراءات فى حديثه عن أنواع القراءات وذلك بعد أن ذكر كلام الإمام ابن الجزرى فى شروط القراءة، فقال: "وظهر لى سادس يشبهه من أنواع الحديث المدرج، وهو ما زيد فى القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبى وقاص (وله أخ أو أخت من أم) أخرجها سعيد بن منصور، وقراءة ابن عباس (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم فى مواسم الحج) أخرجها البخارى. وقراءة ابن الزبير (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم) قال عمر فما أدرى أكانت قراءته أم فسر أخرجه سعيد بن منصور وأخرجه ابن الأنبارى وجزم بأنه تفسير. وأخرج عن الحسن أنه كان يقرأ (وإن منكم إلا واردها) الورود الدخول ، قال ابن الأنبارى قوله الورود الدخول تفسير من الحسن لمعنى الورود وغلط فيه بعض الرواة فألحقه بالقرآن. قال ابن الجزرى فى آخر كلامه: وربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى ﷺ قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتب معه" [١١٧].

أضف إلى ذلك ما روى عن البراء ﷺ سابقاً، فى آية ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ، أنه كان فيها قراءات ثم نسخت.

وما رواه الإمام البخارى عن السيدة عائشة -رضى الله عنها- قالت: "أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشى النبى ﷺ فقال النبى ﷺ : مرحباً بابنتى ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكت فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشى سر رسول الله ﷺ حتى قبض النبى ﷺ فسألتها فقالت: أسر إلى أن جبريل كان يعارض القرآن كل سنة مرة وأنه عارضنى العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلى وإنك أول أهل بيتى لحاقاً بى فبكيت فقال: أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين فضحكت لذلك" [١١٨].

---

(١١٧) الإتقان فى علوم القرآن ج١ صـ ٢٠٨، ٢٠٩، وانظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ ٤٣١.

(١١٨) صحيح البخارى-كتاب المناقب-باب علامات النبوة فى الإسلام-حديث رقم [٣٤٢٦] ج٣ صـ١٣٢٦.

وما روى عن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ من الأمر بتجريد القرآن، فقد روى الحاكم عن قرظة بن كعب ﷺ قال: "خرجنا نريد العراق فمشى معنا عمر بن الخطاب إلى صرار فتوضأ ثم قال: أتدرون لم مشيت معكم؟ قالوا: نحن أصحاب رسول الله ﷺ مشيت معنا قال: إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل فلا تبدؤهم بالأحاديث فيشغلوكم جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ وامضوا وأنا شريككم فلما قدم قرظة قالوا: حدثنا قال: نهانا ابن الخطاب". هذا حديث صحيح الإسناد وله طرق تجمع ويذاكر بها وقرظة ابن كعب الأنصارى صحابى سمع من رسول الله ﷺ ومن شرطنا فى الصحابة أن لا نطويهم وأما سائر رواته فقد احتجا به(١١٩).

قال الحافظ الذهبى: صحيح وله طرق (١٢٠).

وروى الإمام ابن أبى شيبة عن ابن مسعود ﷺ قال: "جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه" (١٢١).

وروى أيضاً: "أن أبا العالية كان يكره الجمل التى تكتب فى المصاحف فاتحة وخاتمة

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه كتاب ــ باب كان جبريل يعرض القرآن على النبى ﷺ ــ حديث رقم [٤٧١٢] ج٤ صــ ١٩١١ وكتاب الاستئذان ــ باب من ناجى بين الناس ومن لم يخبر سر صاحبه فإذا مات أخبر ــ حديث رقم [٥٩٢٨] ج٥ صــ ٢٣١٧ .

وأخرجه غيره.

(١١٩) المستدرك على الصحيحين ــ كتاب العلم ــ حديث رقم [٣٤٧] ج١ صــ ١٨٣.

(١٢٠) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج١ صــ١٠٢.

(١٢١) مصنف ابن أبى شيبة ــ كتاب الصلوات–فى التعشير فى المصحف–حديث رقم [٨٥٤٧] ج٢ صــ٢٣٩.

والحديث أخرجه الإمام عبد الرازق فى مصنفه ــ كتاب الصيام ــ باب ما يكره أن يصنع فى المصاحف ــ حديث رقم [٧٩٤٤] ج٤ صــ ٣٢٢.

ورجاله ثقات ما عدا أبى الزعراء وهو عبد الله بن هانى، قال الإمام البخارى لا يتابع فى حديثه، وقال الإمام ابن المدينى: عامة روايته عن ابن مسعود ولا أعلم روى عنه إلا سلمة بن كهيل، وذكره الإمام ابن حبان فى الثقات، ووثقه الإمام ابن سعد فى الطبقات، وقال الإمام العجلى: ثقة من كبار التابعين، وعليه فيكون الإسناد حسناً. انظر تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ المزى ــ ترجمة رقم [٣٦٢٧] ج ١٦صــ٢٤٠، ٢٤١، والثقات للإمام ابن حبان ــ ترجمة رقم [٣٦٠٠] ج٥ صــ ١٤، وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ــ ترجمة رقم [١٢٠] ج٦ صــ٥٦ ، وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر أيضاً ــ ترجمة رقم [٣٦٧٧] ج١ صــ ٣٢٧، والجرح والتعديل للإمام ابن أبى حاتم ــ ترجمة رقم [٩٠٢] ج٥ صــ ١٩٥، والطبقات الكبرى للإمام ابن سعد ج٦ صــ ١٧٦، ومعرفة الثقات للإمام العجلى ــ ترجمة رقم [٩٨٧] ج٢ صــ ٦٤، والكامل فى ضعفاء الرجال للإمام ابن عدى ــ ترجمة رقم [١٠٥٩] ج٤ صــ ٢٣٥، وضعفاء العقيلى للإمام العقيلى ــ ترجمة رقم [٩٠٠] ج٢ صــ ٣١٤.

وقال: جردوا القرآن[١٢٢].

يتضح مما سبق أمران :

١- أنه كانت هناك قراءات ثم نسخت، وأن جبريل -عليه السلام- كان يعارض النبى ﷺ كل عام مرة ، ثم عارضه فى العام الذى قبض فيه مرتين، وأنه كان يبين له المنسوخ من القرآن والقراءات.

٢- أن الصحابة -رضى الله عنهم- والتابعين كانوا يأمرون بتجريد القرآن وعدم خلطه بما سواه، وذلك يشمل الحديث النبوى وما كان يكتب فى المصاحف من الفواتح والخواتم وغير ذلك من تفسير وخلافه، مما يشعر بأنه كان هناك من يخلط بين القرآن وغيره من الحديث، ومن يضيف فاتحةً أو خاتمةً أو تفسيراً أو تعليقاً فى مصحفه، وإلا لم يكن للأمر بتجريد القرآن فائدة، وهذا يرجع إلى ما ذكره الإمامان ابن الجزرى والسيوطى سابقاً وتابعهم فيه الشيخ الزرقانى، من أن الصحابة ربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءة إيضاحاً وبياناً؛ لأنهم محققون لما تلقوه عن النبىﷺ قرآناً، فهم آمنون من الالتباس، وربما كان بعضهم يكتبه معه.

فالظاهر هنا أن الزيادات التفسيرية قسمان :

١- ما زيد على سبيل التفسير والإيضاح، ثم جاء من بعدهم وحسبه قرآناً.

٢- ما كان قراءة ثم نسخ، وإنما قلت نسخ؛ لأن الصحابة -رضى الله عنهم- أجمعوا على ما فعله عثمان ﷺ فى المصاحف حين جمع الصحابة على ما نسخ من الصحف التى جمعت فى عهد أبى بكر ﷺ مشتملاً على العرضة الأخيرة التى عرضها -جبريل عليه السلام- على النبى ﷺ قبل وفاته، ولذلك فقد اشترط العلماء فى القراءة المتواترة ثلاثة شروط، منها أن تكون موافقة لأحد المصاحف العثمانية ولو تقديراً، فلو كانت مقبولة ولم تنسخ لما خالفت رسم المصحف المجمع عليه.

---

(١٢٢)مصنف ابن أبى شيبة - كتاب الصلوات - فى التفسير فى المصحف ـ حديث رقم [٨٥٥١] ج٢ صـ ٢٣٩.

والحديث إسناده صحيح .

القضية الثانية : ما حكم هذه القراءات بعد أن ثبت أنها شاذة غير متواترة، هل يستفاد بها فى التفسير واستنباط الأحكام أو لا ؟

الجواب: أن الإمام مكى بن أبى طالب قد فصل القول فى ذلك ، وتابعه الإمام ابن الجزرى فيما نقله عنه فقال –فى حديثه عن أقسام ما روى فى القرآن– : "(والقسم الثانى) ما صح نقله عن الآحاد وصح وجهه فى العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعلتين، إحداهما أنه لم يؤخذ بإجماع إنما أخذ بأخبار الآحاد ولا يثبت قرآن يقرأ به بخبر الواحد، والعلة الثانية : أنه مخالف لما أجمع عليه فلا يقطع على مغيبه وصحته وما لم يقطع على صحته لا يجوز القراءة به ولا يكفر من جحده ولبئس ما صنع إذا جحده" [١٢٣].

إذن فهذه القراءات ـ إن صح سندها ـ يستفاد بها فى استنباط الأحكام والتفسير وغير ذلك، لكن لا يصح القراءة بها لعدم القطع بصحتها والله أعلم.

([١٢٣]) النشر فى القراءات العشر، ج١، صـ ١٤.

الفصل الثالث

إرادة تنزيه الله ـ تعالى ـ ورسله والصالحين عما لا يليق بهم

مزاعم جولدتسيهر بهذا الخصوص:

يقول جولدتسيهر: "ومن أنواع القراءات المختلفة لنص القرآن، التى رأينا هنـــا عــدداً منها، أود أن أضع قيمة كبيرة لطائفة سبقت الإشارة إليها من قبل، ولنا أن نتحدث عنها أكثر من ذلك لما لها من طابع أساسى. ذلك أن عدداً من القراءات المخالفة للنص المتلقى بـــالقبول يجد الباعث إليه من الخشية من السماح باستعمال عبارات متصلة بالله ورسوله، تبــدو غيــر لائقة أو غير متفقة مع وجهة النظر إلى وجوب تعظيم الله ورسوله وهنا أراد بعــض القـــراء استبعاد هذا التخوف من صدور ما لا يليق بتغيير يسير فى النص : على نحو طريقة "تقـــون سوفريم" فى العهد القديم، وإن كان هناك حقاً فرق بين الطريقتين. فإن التغييرات التى أجريت بباعث اللياقة وحسن الأدب فى النص الأصلى للعهد القديم، قد وصلت إلى اعتماد نهائى، على حين لم تنجح دائماً مثل هذه التغييرات فى نص القرآن للاحتفاظ بوجودها فى النص المتلقـــى بالقبول" [١٢٤] .

فهو هنا يرى عدة أمور :

١-أن هناك آيات من القرآن فى قراءاتها الأصلية عبارات لا تليق بالله –تعالى–أو برسولهﷺ.
٢-أن هذه القراءات دعت إلى تغيير فى النص؛ لتنزيه الله –تعالى– أو رسوله ﷺ عما لا يليق بهم؛ مما أدى إلى ظهور قراءات أخرى تنزيهية.
٣-أن هذه التغييرات تشبه ما حدث فى نص العهد القديم، وإن كان هنـــاك فرقـــاً، حيـــث أن تغييرات العهد القديم وصلت إلى اعتماد نهائى، بينما لم تنجح تغييرات النص القرآنى فـــى الاحتفاظ بوجودها فى النص المتلقى بالقبول.

ثم يذكر بعد ذلك أمثلة أو أدلة على زعمه فيقول : "النص المشهور للآية ١٨ من سورة آل عمران ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ . . .﴾ أدرك بعضهم ما تثيره شهادة الله لنفسه، لاسيما مع قرن ذكره بالملائكة وأولى العلم على أنهم شاهدون معه، فاستعانوا على علاج ذلك بالاستعاضة عن قراءة الفعل (شهد الله) بصيغة الجمع (شهداء الله) رابطين ذلك بالسياق فـــى الآية السابقة على أن يكون المعنى (شهداء الله أنه لا إله إلا هو والملائكة ... إلخ). بيـــد أن من أحدثوا التعديل المذكور لم يجروا مثله فى الآية ١٦٦ من سورة النساء ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ فتركوها دون تغيير لصعوبة التعديل بها" [١٢٥].

([١٢٤]) مذاهب التفسير الإسلامى صـــ ٣١، ٣٢.

([١٢٥]) السابق صـــ ٣٢، ٣٣.

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (شهد الله) بالفعل الماضى ، لا تتفق مع تعظيم الله ــ تعالى ــ وتنزيهه؛ لأن فيها شهادة الله لنفسه مع قرنه بالملائكة وأولى العلم ؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (شهداء الله) أى الصابرين الصادقين شهداء الله، وأن هناك آية أخرى، وهى ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ لم يحدث فيها هذا التعديل لصعوبته.

ويقول: "وفى الآيتين ١١-١٢ من سورة الصافات، يندد الله [سبحانه] بعدم إيمان المشركين من أهل مكة الذين ينكرون الإيمان بالبعث ساخرين : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا (أى من السماء والأرض والكواكب والملائكة التى عدت قبل ذلك) إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ ويبدو أن إسناد العجب إلى ضمير المخاطب [وهو إذاً محمد ﷺ] من قبيل التصحيح والتصويب والقراءة الأصلية المنسوبة إلى الكوفيين، والتى أخذ بها أيضاً عبد الله بن مسعود، والتى تعارضها قراءة المدنيين والبصريين المعتمدة فى أوسع الأوساط وأكثرها، يبدو أنها عجبت بالإسناد إلى ضمير المتكلم. وفى هذا العجب المنسوب إلى الله [سبحانه] سلك المتأولون مسالك شتى. وبسهولة وجد بعضهم معناً مجازياً لذلك. وآخرون ذهبوا إلى أن المسند إليه العجب ليس هو الله، بل محمد ﷺ فهو الذى يعجب، ولكن المتقين رأوا مما لا يليق حتى مجرد إفساح المجال لإمكان التصريح بوصف الله [سبحانه] بصفة العجب وبتغيير بسيط فى الحركات جعلوا من ضمير المتكلم ضمير المخاطب، فالخطاب موجه من الله إلى محمد بل عجبت و[هم] يسخرون، أى عجبت من كفرهم الساخر" [١٢٦].

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (عجبتُ) بضمير المتكلم ، لا تتفق مع تعظيم الله ــ تعالى ــ وتنزيهه؛ لأن فيها إسناد العجب إلى الله- تعالى-، وإن كان هناك من وجد له معناً مجازياً ؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (عجبتَ) بضمير المخاطب فيكون النبى ﷺ هو المتعجب لا الله -تعالى-.

ويقول: "وفى آيتى ٢-٣ من سورة العنكبوت ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ، تشتمل هذه الكلمات ــ فى نظر الفهم البسيط ــ على افتراض أن الله سيعلم ذلك أولاً بعد امتحان، كأنما لم يعلمه دون ذلك، وكأنما

(١٢٦) السابق صـ ٣٣، ٣٤.

ليس هو الذى قدره وقضاه ويبدو أن قراءة منسوبة إلى على والزهرى قصد بها إلى رفع هذه الشبهة. وهذه القراءة تجعل من "فليَعْلَمَن" بتغيير فى حركاتها "فليُعْلِمَن" بمعنى فليعرفن الله الناس بهم، أو بمعنى فليسمنهم الله بعلامة يعرفون بها، فعلامة الصادقين سواد العيون أو كحلها، وعلامة الكاذبين زرقة العيون وتعد زرقة العيون عند العرب علامة على خبث الطوية، وتعد قبيحة يتشاءم بها وينسب إليها أحياناً قوة سحرية ضارية" (١٢٧).

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية، (فليعلمن) بفتح الياء، لا تتفق مع تعظيم الله –تعالى– وتنزيهه؛ لأنها تفيد أن الله –تعالى– سيعلم ذلك بعد امتحان كأنما لم يعلمه من قبل؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (فليُعلمن) بضم الياء، أى فليعرفن الله الناس بهم، أو بمعنى فليسمنهم الله بعلامة يعرفون بها.

ويقول: "وفى الآية ١١٢ من سورة المائدة، يسأل الحواريون بعد أن آمنوا بالله وبعيسى ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ومثل هذا السؤال لا يمكن أن يكون صدر على لسان الحواريين. لهذا قرأ بعضهم مع اقتسار للتركيب "هل تستطيع ربك" بمعنى هل تستطيع سؤال ربك، أى أن تجعله يفعل ذلك بناءً على سؤالك إياه" (١٢٨) .

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (هل يستطيع ربك) بالياء ، لا تتفق مع ما للحواريين من مكانة؛ فسؤالهم فيه شك فى قدرة الله –تعالى– على ذلك؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (هل تستطيع ربك) بالتاء، بمعنى هل تستطيع سؤال ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء.

ويقول: "وقد دعت إلى مثل هذه الحيطة أيضاً قراءة للآية ١١٢ من سورة الأنبياء ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ فلم يرتض أحد ثقات القراء ــ ويبدو أن تصحيحه لم يجد قبولاً ــ أن يطلب محمد ﷺ إلى الله أن يحكم بالحق، فكأنما فى الإمكان أن يحكم بغير ذلك، فأراد رفع هذه الشبهة بتحويل الصيغة بوساطة تغيير حركاتها مع الاحتفاظ بمحصولها الصوتى، من صيغة الدعاء إلى صيغة التفضيل، وبهذا ينتقل الكلام من الإنشاء إلى الإخبار "ربى أحكم بالحق" أى ربى أعظم حكماً بالحق من كل حاكم، ولن يحيك من ذلك شئ بالنفس" (١٢٩).

---

(١٢٧) السابق صـ ٣٥، ٣٦.

(١٢٨) السابق صـ ٣٦، ٣٧.

(١٢٩) السابق صـ ٣٧.

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (احكم) بصيغة الأمر الذى هو للدعاء ، لا تتفق مع تعظيم الله –تعالى– وتنزيهه، وكذا مع مكانة الرسول ﷺ؛ إذ كيف يطلب من الله –تعالى– أن يحكم بالحق، مما يستدعى إمكان أن يحكم بغيره؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (أحكم) بصيغة التفضيل، فيكون الكلام إخبار عن أن الله ـ تعالى ـ أعظم حكماً بالحق من كل حاكم.

ويقول: "والآية ١٠٦ من سورة البقرة ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ ، تفيد أن الله [سبحانه] يريد أن يسلط النسيان على ما أوحى به وهذا تراءى لبعض العلماء، من وجهة النظر إلى عدم تغير الإرادة الإلهية، تعبيراً أبعد عن اللياقة من نسخ الأحكام الإلهية عملاً، مع عدم محوها من الذكر والتلاوة، حيث تبقى فى النص على أنها كلام الله. وقد دعت هذه الشبهة إلى القراءات التالية "تنساها" أنت يا محمد، "تنسأها" أى نرجئها ونؤخرها دون أن نرفعها بالكلية، وبذلك قرأ كثير من الصحابة والتابعين وعنهم كثير من قراء الكوفة والبصرة واتخذ كثير من المفسرين هذه القراءة أساساً لتفسيرهم. وقرأ سعيد بن المسيب المتوفى (٩٤هـ=٧١٢م) المشهور بورعه "تنساها" بإسناد النسيان إلى الله [سبحانه]. وبديهى أن سعد بن أبى وقاص غضب حين بلغه ذلك عنه فقال: "إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب" [١٣٠].

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (نُنْسها) بضم النون الأولى وإسكان الثانية ، لا تتفق مع تنزيه الله –تعالى– وتعظيمه؛ إذ تفيد أن الله –تعالى– يريد أن يسلط النسيان على بعض ما أوحى به ؛ مما أدى إلى ظهور قراءات أخرى تنزيهية، وهى "تنساها" أى أنت يا محمد، أو "تنسأها" أى نرجئها ونؤخرها.

ثم يذكر أن هناك قراءة أخرى لسعيد بن المسيب، وهى "تنساها" وقد اعترض عليها سعد بن أبى وقاص ﷺ، قائلاً: "إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب".

ويقول: "وفى الآية ١٠٦ من سورة المائدة، يدور الحديث حول الوصية شفاهاً. فإذا حصل أدنى شك فى صدق الشاهدين : ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ . وكأنما بدا لعامر الشعبى (المتوفى ١٣٠هـ=٧٢١م) أن إيقاع الكتمان على مفعوله الذى هو "شهادة الله" غير لائق إذ كان ذلك ربما أفاد أن من الممكن كتمان شئ شهيده

(١٣٠) السابق صـ ٣٨، ٣٩.

الله نفسه. فتخلص من ذلك، هو أو الثقات الذين ربما اعتمد عليهم بتنوين لفظ "شهادة" على حذف الإضافة، ومد همزة "الله" على ابتداء جملة جديدة : "ولا نكتم شهادةً آلله إنا إذاً لمن الآثمين" أى والله فالاستفهام عوض عن القسم" (١٣١) .

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (شهادة الله) بإضافة لفظ شهادة إلى الله، وفيها إيقاع الكتمان على شهادة الله، وهذا غير لائق ؛ لأنه ربما أفاد إمكان كتمان شئ شهيده الله نفسه؛ مما دعى عامر الشعبى، أو الثقات الذين اعتمد عليهم إلى أن يقرؤا قراءة أخرى تنزيهية، وهى (شهادةً آلله) بالتنوين على حذف مضاف ومد همزة الله على الاستفهام عوضاً عن القسم، أى لا نكتم شهادة والله إنا إذاً لمن الآثمين.

ويقول: "ويتبين مدى ما دعا إليه الخوف والتقوى من مثل هذه التصويبات التنزيهية فيما جرى على الآية ١٣٧ من سورة البقرة، حيث قيل عن اليهود : ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ فقد غلبت على نفوس الأتقياء المتخوفين شبهة، لا أساس لها أصلاً عند الإمعان اللغوى، هى أن منطوق اللفظ يضع على ذلك إلى جانب الله [سبحانه] مثلاً يدعى اليهود أنهم يؤمنون به. وهم يبعدون الشبهة التى تخامرهم بتغيير مستأصل فيحذفون من النص لفظ "مثل" الذى أثار هذه الشبهة، ويقرؤون "فإن آمنوا بما آمنتم به" (١٣٢).

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (بمثل ما آمنتم به)، ومنطوقها يضع إلى جانب الله –تعالى– مثلاً يدعى اليهود إيمانهم به؛ مما دعى إلى قراءة أخرى تنزيهية بحذف لفظ مثل، فتصير (فإن آمنوا بما آمنتم به).

بعد أن ذكر جولدتسيهر أمثلة أو أدلة على زعمه، من أن إرادة تنزيه الله –تعالى– عما لا يليق به كانت سبباً فى تعدد القراءات ، استأنف حديثه قائلاً: "وقد دعا إلى مثل هذه التصويبات القصد إلى تعظيم مناقب الرسل، إذا تراءى لمن يبالغون فى التزمت والخوف من علماء القرآن أن القراءة المتلقاة بالقبول قد تمس هذه المناقب أدنى مساس" (١٣٣) .

فهو هنا يذكر أن هناك قراءات تنزيهية دعا إليها تنزيه الرسل–عليهم السلام– عما لا يليق بهم.

---

(١٣١) السابق صـ ٣٩.

(١٣٢) السابق نفس الصفحة.

(١٣٣) السابق صـ ٤٠.

ثم يذكر أمثلة أو أدلة على زعمه فيقول: "ففى الآية ١٦١ من سورة آل عمران : ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ وردت فى التفسير المأثور لتوضيح هذا التحذير أحوال يؤخذ منها أن بعضهم شك فى أن النبى ﷺ عمل عملاً لم يخل من المؤاخذة تماماً فى بعض أمور تافهة، فيقال: إنه بعد معركة بدر لم يجعل قطيفة حمراء ضمن الغنائم التى قسمها ومرة أخرى، حينما ابتعدت عن سواد الجيش طلائع وجهها لاستطلاع العدو، قسم ما غنمه من سرية معادية التقى بها على من حضر معه من المقاتلة فحسب مهملاً الطلائع الذين تغيبوا بأمر منه. وإذاً فربما بدا غير لائق فى نظر بعض المؤمنين أن يفسح المجال لأدنى افتراض ينسب إلى الرسول ﷺ عملاً غير صالح ولو على وجه السلب. وقد أزال هذا الإشكال كثيرون بقراءة الفعل مبنياً للمجهول : "وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ" وبهذا حذفت من أول الأمر الريبة، أو الافتراض غير اللائق بإمكان أن يأتى الرسول غير الحق" (١٣٤).

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (يَغُل) بالبناء للمعلوم، غير لائقة؛ إذ تفترض أن ينسب إلى الرسول ﷺ أمراً غير صالح، ولو على وجه السلب؛ مما دعى إلى قراءة أخرى تنزيهية وهى (يُغَل) بالبناء للمجهول.

ويقول: "وكان لابد أن تسبب للمفسرين حيرة كبيرة آية ١١٠ من سورة يوسف ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾. والمعضلة هنا فى الكلمات : "وظنوا أنهم قد كذبوا" بالبناء للمعلوم أى صدر عنهم الكذب، إذ لا شك أن هذه هى القراءة الأصلية والجملتان : حتى إذا استيئس الرسل، و : قد كذبوا، أسند الفعل فيهما إلى فاعل واحد : الرسل، فقد أنذروا الكافرين بالوعيد فلم يتحقق، فاستيأسوا من ذلك، وظنوا أن ما أنذروا به ليس حقاً. ولكن أخيراً جاء من عند الله ما يكشف كل شئ : عقاب المجرمين ونجاة الصادقين وتمت النصفة للأنبياء. وهنا يرد محمد ﷺ متخذاً من حالة الأنبياء السابقين مثلاً، على استهزاء المشركين ببلاغه عن اقتراب الساعة وحساب الآخرة وكلاهما لما يقع بعد بيد أن كون الأنبياء قد ظنوا أنهم قد كذبوا أى صدر عنهم الكذب، أمر لا يستطيع مؤمن صادق الإيمان أن يتحمله ويتقبله، فبدا من الأهمية بمكان إيجاد حل لهذا الإشكال، وجعلت الرواية زوج الرسول عائشة نفسها تتدخل فى الأمر، وكان لابد أن يسمح إصلاح النص بطائفة من الاحتمالات أذكر هنا بعضها فحسب. فقد قرأ بعضهم بدلاً من كذبوا بالبناء للمعلوم كُذِبوا أو

---

(١٣٤) السابق نفس الصفحة.

كُذِّبوا، بالتخفيف والتشديد على البناء للمجهول (وقد صارت القراءة بالتخفيف على البناء للمجهول هى القراءة المشهورة فيما بعد) أى أن المشركين كذبوا الأنبياء، أى رموهم بالكذب. ولكن على ذلك تكون كلمة "ظنوا" فى غير محلها، ولهذا عالجوا ذلك بتأويل معنى الظن، فهو يدل عند الضرورة على معنى "العلم" أيضاً. وآخرون يبقون القراءة المعترض عليها دون تغيير، ولكنهم يلجئون إلى التصرف النحوى مفترضين أن الفاعل المسند إليه الظن هم المشركون، أى وظن المشركون أن الرسل قد صدر عنهم الكذب، كما ذهب بعضهم إلى العكس : وظن الرسل أن المشركين قد صدر عنهم الكذب. وهذا الجهد الذى بذل لإنقاذ قراءة كذبوا، من وجهة نظر التفسير، دليل على أنها هى القراءة الأصلية. ويدل على ذلك أيضاً استصحاب قصص أخرى أحاطت بالجدل حول هذا النص فقد سأل فتى من قريش سعيد بن جبير : كيف تقرأ هذا الحرف فإنى إذا أتيت عليه تمنيت ألا أقرأ هذه السورة؟ وفى رواية أخرى ذكر فيها أن السائل هو مسلم بن يسار : قال آية بلغت منى كل مبلغ. فهذا الموت أن تظن الرسل أنهم قد كذبوا، فلما أجابه سعيد بأن الفاعل فى الجملة الثانية هو المشركون وثب مسلم فعانق سعيداً وقال:عافاك الله كما سررتنى الآن" [١٣٥].

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية "كَذَبوا " بالبناء للمعلوم، بدليل أن هناك من يلجأ فيها للتصرف النحوى ؛ لإنقاذها مما تدل عليه، وبدليل قصة مسلم بن يسار مع سعيد بن جبير، وهى تفيد أن الرسل ظنوا أنهم قد صدر عنهم الكذب، وهذا محال لا يقبله عقل؛ مما أدى إلى ظهور قراءتين تنزيهتين وهما "كُذِبوا" ، و"كُذِّبوا" بالتخفيف والتشديد، وكلاهما بالبناء للمجهول، أى أن المشركين رموا الأنبياء بالكذب، ويكون الظن هنا بمعنى العلم.

ويقول: "وفى الآية ١٢ من سورة يوسف، يقول أخوة يوسف ــ وقد أرادوا به شراً ــ لأبيهم ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ وقد رويت أكثر القراءات اختلافاً فى كلمة "يرتع" هل هى من رتع أو من رعى، فتختلف القراءات فى دائرة هذا الاختلاف فى الصيغة الاشتقاقية. وتهمنا هنا الكلمة الثانية : "يلعب" وهى أكثر القراءات ألفة لدى القراء، ولكن القراءة الأساسية فى نص الزمخشرى والبيضاوى "ونلعب" على حين ذكرت القراءة بإسناد الفعل إلى ضمير الغائب على أنها قراءة أخرى. وفى الواقع أن القراءة الأولى [ونلعب، بالإسناد إلى ضمير المتكلم ، وهى الأولى عند الزمخشرى والبيضاوى] هى القراءة الأصلية، فقد جاء فى الآية ١٧ حيث أخبر أخوة يوسف أباهم بوفاة يوسف : ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ ، فهنا يصح فقط أن يكون الفعل مسنداً إلى

---

(١٣٥) السابق صـ ٤١، ٤٢.

جمع المتكلم، بيد أن هناك سبباً وجيهاً فى إطراح هذه القراءة . فإن الطبرى الذى ذكر فى تفسيره أنها (قراءة نلعب) هى قراءة بعض البصريين خلافاً للكوفيين، وأنها أيضاً قراءة أبى عمرو، احتفظ لنا فى نفس الوقت بهذا الخبر المدرسى : قيل لأبى عمرو : كيف يقولون نلعب وهم أنبياء؟ قال : لم يكونوا يومئذٍ أنبياء. فإطراح القراءة البصرية، التى جعلها ثقات ذوو مكانة فى علوم القرآن (كالزمخشرى وغيره) أساساً لتفسيرهم، صدر إذاً عن باعث التعظيم لأولاد الأنبياء الذين قدر لهم أن يكونوا أنبياء واللعب الذى تظاهروا بأنهم يريدون مزاولته لا يتفق مع ما قدر لهم من رفيع المقام. ولا يمكن أن يظن بالقرآن نسبة هذا الميل إليهم. ولم يلق من قال بهذا التصويب بالاً لما جاء فى الآية ١٧" [١٣٦].

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية "نلعب" بضمير الجمع، بدليل قوله -تعالى- بعد ذلك ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، وهذه القراءة لا تتفق مع مكانة أولاد الأنبياء الذين قدر لهم أن يصيروا أنبياء؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى "يلعب" بضمير الغائب، ثم يقرر بعد ذلك أن من أجروا هذا التصويب لم يلقوا بالاً لما جاء فى الآية ١٧ وهو قولهم ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾.

ويقول: "وكذلك يروى أن تصويباً للنص أنقذ لواحد من أبناء يعقوب سمعته المهددة، ففى الآية ٨١ من سورة يوسف، قال أخوة يوسف لأبيهم، بعد أن وجد يوسف السقاية التى وضعها ــ عن تدبير مقصود ــ فى رحل أخيه بنيامين : ﴿إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ﴾ وعلى هذا يكون فى ذلك إقرار بخطيئة بنيامين، وقد محت هذه الخشونة قراءة الكسائى "سُرِّق" أى نسب إلى السرقة، وبهذه القراءة قرأ أبو الخطاب الجراح فى إحدى ليالى رمضان إذا كان يؤم الخليفة المستنصر فى الصلاة، وقد عبر الخليفة الذى كان يهتم بالمسائل الدينية بعد الصلاة عن إعجابه بقراءته إذ قال: "إن هذه القراءة فيها تنزيه أولاد الأنبياء عن الكذب"[١٣٧].

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى هذه الآية "سرق" بالبناء للمعلوم، وفيها نسبة السرقة إلى بنيامين الذى لم يسرق فى الحقيقة؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية وهى "سُرِّق" بالبناء للمجهول، أى نسب إلى سرقة.

الـــرد

أولاً : بالنسبة لما ذكره جولدتسيهر من أن هناك قراءات أصلية لبعض الآيات ، فيها عبارات

([١٣٦]) السابق صــ ٤٢، ٤٣.

([١٣٧]) السابق صــ ٤٤.

لا تليق بالله ـ تعالى ـ أو برسله ـ عليهم السلام ـ .

فإن هذا باطل من وجوه :

الأول : أن الله تعالى هو الذى أنزل القرآن على رسوله محمد ﷺ ، ولا شك أنه ــ تعــالى ــ أعلم بما يليق به وبرسله –عليهم السلام– من أى أحد سواه، فلو كان هناك عبارات لا تليق به ــ تعالى ــ أو برسله ــ عليهم السلام ــ لاستبعدها ابتداءً، لا أن ينزلها على رسوله ﷺ، ثم يأتى بعد ذلك من يعدلها.

الثانى : أن ما ذكره جولدتسيهر من زعمه بوجود قراءات أصلية وأخرى تنزيهية، يقتضى أن الأولى نازلة من الله –تعالى–، والثانية : تعديل لها بعد ذلك على يد من أتى بعد رسول الله ﷺ، وهذا باطل؛ لأن القراءات إما مقبولة وإما مردودة، وقد وضع العلماء للقــراءة المقبولة شروطاً لابد من توافرها وهى :

١ – صحة السند أو التواتر على خلاف بينهم.

٢ – موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً.

٣ – موافقة العربية ولو بوجه.

كما أن كل القراءات بما فيها ما يراه تنزيهى، إن كانت مقبولة، فهى نازلة من عند الله –تعالى–، لا أن هناك من قام باختراعها بغية التنزيه.

الثالث : لو افترضنا أن هناك قراءات فيها عبارات لا تليق بالله ــ تعالى ــ أو برسله ــ عليهم السلام ــ ، وأن هناك من أراد تنزيه الله ــ تعالى ــ أو رسله ــ علــيهم الســلام ــ بقراءات أخرى تنزيهية، فإن ذلك يقتضى إلغاء القــراءة الأولــى وإبــدالها بــالقراءة التنزيهية، وإلا لم يكن لعمله هذا فائدة وهذا ما لم يحدث؛ فإن القراءات الموهمة ما لا يليق بالله ــ تعالى ــ أو برسله ــ على زعمه ــ ما زالت باقية إلى الآن يقرأ بها، وقد اعترف هو نفسه بذلك، حين قرر أن التغييرات اللفظية التى أجريــت بباعــث اللياقــة وحسن الأدب فى النص الأصلى للعهد القديم قد وصلت إلى اعتماد نهائى، على حين لم تنجح دائماً مثل هذه التغييرات فى نص القرآن للاحتفاظ بوجودها فى النص المتلقــى بالقبول[١٣٨].

([١٣٨]) انظر السابق صــ ٣٢.

ثانياً : **بالنسبة لما ذكره جولدتسيهر من أمثلة أو أدلة على زعمه** :

١ـالمثال الأول : قوله تعالى "شهد الله أنه لا إله إلا هو" . (آل عمران : ١٨)

يرى أن القراءة الأصلية (شهد) بالفعل الماضى ، لا تتفق مع تعظيم الله –تعالى–؛ لأن فيها شهادة الله لنفسه مع قرنه بالملائكة وأولى العلم؛ وهذا أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (شهداء الله) بالجمع.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى شهد الله بالفعل الماضى، ولا عبرة بما ذكره؛ إذ الله –تعالى– شهيد على كل شئ، يقول تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ (الأنعام: ١٩)، ويقول ﴿لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ (النساء: ١٦٦)

٢ـالمثال الثانى : قوله تعالى ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ (الصافات:١٢)

يرى أن القراءة الأصلية (عجبتُ) بضمير المتكلم، لا تتفق مع تعظيم الله –تعالى–؛ لأن فيها إسناد العجب إليه –تعالى–؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (عجبتَ) بضمير المخاطب، فيكون المتعجب الرسول ﷺ.

أما الآية ففيها قراءتان متواترتان وهما :

١–عجبتُ : بضم التاء ، وهى قراءة حمزة والكسائى وخلف .

٢–عجبتَ : بفتح التاء ، وهى قراءة باقى القراء العشرة [١٣٩] .

فالقراءتان اللتان ذكرهما جولدتسيهر متواترتان مقبولتان، أما قراءة عجبت بفتح التاء فلا إشكال فيها، وأما بضم التاء فإنه يزعم أن فيها إسناد العجب إلى الله –تعالى– وهذا لا يليق به –تعالى–، وهذا زعم باطل ، فقد جاء إسناد العجب لله –تعالى– فى أحاديث صحيحة عن رسول الله ﷺ، أذكر منها حديثاً واحداً، روى الإمام البخارى عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : "عجب الله من قوم يدخلون الجنة فى السلاسل"[١٤٠].

---

[١٣٩] انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٥٤٧ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ ١٨٦، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ٣٠١ ، ٣٠٢ ، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج ٢ صـ ٣٥٦ ، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ لدمياطى صـ ٤٧٢.

[١٤٠] صحيح البخارى–كتاب الجهاد والسير–باب الأسارى فى السلاسل –حديث رقم[٢٨٤٨] ج٣ والحديث أخرجه غيره .

إذن فلا إشكال فى الآية، ولا إشكال أيضاً فى إسناد العجب لله ــ تعالى ــ؛ إذ هو ثابت بالقرآن والسنة، ولكن هناك فرقاً بينه وبين عجب المخلوقين؛ إذ يقول الله –تعالى– ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى:١١) ، فيجب الإيمان بأن الله –تعالى– يعجب، ولكن ليس كعجبنا، وهذا هو مذهب السلف الصالح –رضى الله عنهم–، يقول الشيخ الدمياطى: "واختلف فى "عجبت" الآية فحمزة والكسائى وخلف بتاء المتكلم المضمومة أى قل يا محمد بل عجبت أنا أو أن هؤلاء من رأى حالهم يقول عجبت لأن العجب لا يجوز عليه على الحقيقة لأنه انفعال النفس من أمر عظيم خفى سببه وإسناده له تعالى فى بعض الأحاديث مؤول بصفة تليق بكماله مما يعلمه هو كالضحك والتبشبش ونحوهما فاستحالة إطلاق ما ذكر عليه تعالى محمولة على تشبيهها بصفات المخلوقين وحينئذٍ فلا إشكال فى إبقاء التعجب هنا على ظاهره مسنداً إليه تعالى على ما يليق به منزهاً عن صفات المحدثين كما هو طريق السلف الأسلم الأسهل ووافقهم الأعمش والباقون بفتحها والضمير للرسول أى بل عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وهم يسخرون منك مما تريهم من آثار قدرة الله تعالى أو من إنكارهم البعث مع اعترافهم بالخالق" [١٤١].

فلا حاجة إذاً لتأويل الآية، وتبقى على ظاهرها، وتكون كقوله –تعالى– ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة :١٥)، و﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ (التوبة :٧٩) ، و ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء:١٤٢).

٣ـ المثال الثالث: قوله تعالى ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (العنكبوت : ٢،٣).

يرى أن القراءة الأصلية (فليعلمن) بفتح الياء ، لا تتفق مع تعظيم الله –تعالى–؛ لأنها تفيد أن الله –تعالى– سيعلم ذلك بعد امتحان كأنما لم يعلمه من قبل؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (فليعلمن) بضم الياء، أى فليعرفن الله الناس بهم.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (فليعلمن) بفتح الياء.

أما ما ذكره من اقتضاء ذلك تجدد علم الله به فغير صحيح؛ لأن الله –تعالى– كان يعلم ذلك سابقاً بأن فلاناً مثلاً سيطيع وفلاناً سيعصى قبل التكليف، ثم وقت التكليف والإتيان يعلم

---

(١٤١) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر صـ ٤٧٢.

أنه مطيع والآخر عاص، وبعد الإتيان يعلم أنه أطاع والآخر عصى، ولا يتغير علمه فى شيء من الأحوال وإنما المتغير المعلوم، وفى ذلك يقول الإمام الرازى: "وفى قوله فليعلمن الله الذين صدقوا وجوه، الأول قول مقاتل فليرين الله، الثانى فليظهرن الله، الثالث فليميزن الله. فالحاصل على هذا هو أن المفسرين ظنوا أن حمل الآية على ظاهرها يوجب تجدد علم الله والله عالم بالصادق والكاذب قبل الامتحان فكيف يمكن أن يقال بعلمه عند الامتحان فنقول: الآية محمولة على ظاهرها وذلك أن علم الله صفة يظهر فيها كل ما هو واقع كما هو واقع فقبل التكليف كان الله يعلم أن زيداً مثلاً سيطيع وعمراً سيعصى ثم وقت التكليف والإتيان يعلم أنه مطيع والآخر عاص، وبعد الإتيان يعلم أنه أطاع والآخر عصى ولا يتغير علمه فى شيء من الأحوال وإنما المتغير المعلوم. ونبين هذا بمثال من الحسيات ولله المثل الأعلى، وهو أن المرآة الصافية الصقيلة إذا علقت من موضع وقوبل بوجهها جهة ولم تحرك ثم عبر عليها زيد لابساً ثوباً أبيض ظهر فيها زيد فى ثوب أبيض وإذا عبر عليها عمرو فى لباس أصفر يظهر فيها كذلك فهل يقع فى ذهن أحد أن المرآة فى كونها حديداً تغيرت أو يقع له أنها فى تدويرها تبدلت أو يذهب فهمه إلى أنها فى صقالتها اختلفت أو يخطر بباله أنها عن سكانها انتقلت لا يقع لأحد شيء من هذه الأشياء ويقطع بأن المتغير الخارجات فافهم علم الله من هذا المثال بل أعلى من هذا المثال فإن المرآة ممكنة التغير وعلم الله غير ممكن عليه ذلك فقوله ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ يعنى يقع ممن يعلم الله أن يطيع الطاعة فيعلم أنه مطيع بذلك العلم وليعلمن الكاذبين يعنى من قال أنا مؤمن وكان صادقاً عند فرض العبادات يظهر منه ذلك ويعلم من قال ذلك وكان منافقاً كذلك يبين" [١٤٢].

إذن فعلم الله –تعالى– لا يتغير ولا يتبدل، وإنما المتغير المعلوم الذى كان فى علم الله تعالى سيفعل كذا، ثم أصبح فاعلاً وقت حدوث الفعل، ثم صار فَعَل فى الماضى بعد ذلك، ويؤيد ذلك أيضاً أنه وردت آيات أخرى مثل هذه الآية، وهى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٢) ، و ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة:١٦) .

فإذا كان هناك من عدل الآية الأولى، فلماذا لم يعدل أحد هاتين الآيتين؟ مع أن الآيات الثلاث ليس فيها ما ينافى تنزيه الله –تعالى– وتعظيمه كما سبق بيانه.

([١٤٢]) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (تفسير الرازى) ج ٢٥ صـ ٢٦، ٢٧.

٤-**المثال الرابع:** قوله تعالى على لسان الحـــواريين ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ (المائدة :١١٢) .

يرى أن القراءة الأصلية (يستطيع) بالياء ، لا تتفق مع ما للحواريين مـــن مكانـــة؛ لأن سؤالهم فيه شك فى قدرة الله –تعالى– على فعل ذلك؛ مما أدى إلـــى ظهـــور قـــراءة أخـــرى تنزيهية، وهى (تستطيع) بمعنى هل تستطيع سؤال ربك.

أما الآية ففيها قراءتان متواترتان .

١- هل تستطيع ربك بالتاء وفتح الباء ، وهى قراءة الكسائى .

٢ - هل يستطيع ربك بالياء وضم الباء ، وهى قراءة باقى القراء العشرة [١٤٣].

إذن فكلا القراءتين متواتر مقبول، بل إن القراءة المعترض عليها هى قراءة الأكثر، أما الأخرى فهى قراءة الكسائى وحده، وقراءة الكسائى لا إشكال فيها، أما القراءة الثانيـــة التـــى يزعم أنها تتنافى مع مكانة الحواريين ؛ لأنها تفيد أنهم كانوا شاكين فى قدرة الله تعالى علـــى فعل ذلك، فقد رد الإمام الرازى على ذلك قائلاً "وأما القراءة الثانية ففيها إشكال وهو أنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا ﴿آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ (المائدة ١١١) وبعد الإيمان كيف يجوز أن يقـــال إنهم بقوا شاكين فى اقتدار الله تعالى على ذلك، والجواب عنه من وجوه الأول : أنه تعالى ما وصفهم بالإيمان والإسلام ، بل حكى عنهم ادعاءهم لهما، ثم أتبع ذلك بقوله حكاية عنهم هـــل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، فدل ذلك على أنهم كانوا شاكين متوقفين؛ فـــإن هذا القول لا يصدر عمن كان كاملاً فى الإيمان، وقالوا نعلم أن قد صدقتنا، وهذا يـــدل علـــى مرض فى القلب، وكذلك قول عيسى ــ عليه السلام ــ لهم اتقوا الله إن كنتم مؤمنين يدل على أنهم ما كانوا كاملين فى الإيمان. الوجه الثانى فى الجواب أنهـــم كـــانوا مـــؤمنين إلا أنهـــم طلبوا هذه الآية ليحصل لهم مزيد الطمأنينة كما قال إبراهيم عليه الســـلام ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة ٢٦٠) فإن مشاهدة مثل هذه الآية لا شك أنها تورث الطمأنينة ولهذا الســـبب قـــالوا: وتطمئن قلوبنا. الوجه الثالث أن المراد من هذا الكلام استفهام أن ذلك هل هو جائز فى الحكمة أو لا وذلك لأن أفعال الله تعالى لما كانت موقوفة على رعاية وجوب الحكمة ففى الموضع الذى

(١٤٣) انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـــ ٢٤٩ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمـــام الـــدانى صـــ ١٠١، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـــ ١٣٥ ، وحجة القراءات للإمـــام ابن زنجلة صـــ ٢٤٠ ، ٢٤١ ، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابـــن الجـــزرى ج ٢ صـــــ ٢٥٦ ، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـــ ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

لا يحصل فيه شيء من وجوه الحكمة يكون الفعل ممتنعاً فإن المنافى من جهة الحكمة كالمنافى من جهة القدرة وهذا الجواب يتمشى على قول المعتزلة وأما على قولنا فهو محمول على أن الله تعالى هل قضى بذلك وهل علم وقوعه فإنه إن لم يقض به ولم يعلم وقوعه كان ذلك محالاً غير مقدور لأن خلاف المعلوم غير مقدور. الوجه الرابع قال السدى هل يستطيع ربك أى هل يطيع ربك إن سألته وهذا تفريع على أن استطاع بمعنى أطاع والسين زائدة. الوجه الخامس لعل المراد بالرب هو جبريل عليه السلام لأنه كان يربيه ويخصه بأنواع الإعانة ولذلك قال الله تعالى فى أول الآية ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (المائدة ١١٠) يعنى أنك تدعى أنه يربيك ويخصك بأنواع الكرامة فهل يقدر على إنزال مائدة من السماء عليك. الوجه السادس أنه ليس المقصود من هذا السؤال كونهم شاكين فيه بل المقصود تقرير أن ذلك فى غاية الظهور كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على إشباع هذا ويكون غرضه منه أن ذلك أمر جلى واضح لا يجوز لعاقل أن يشك فيه فكذا ههنا" [١٤٤].

وبعد فقد وضح أنه لا إشكال على قراءة هل يستطيع ربك بالياء وضم الباء، وأنه لا حاجة لتعديلها كما يزعم جولدتسيهر، وأن كلا القراءتين متواتر مقبول من الله تعالى.

٥ـ المثال الخامس: قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ (الأنبياء : ١١٢)

يرى أن القراءة الأصلية (احكم) بصيغة الأمر الذى هو للدعاء، لا تتفق مع مكانة الرسولﷺ؛ إذ كيف يدعو الله تعالى أن يحكم بالحق، مما يستدعى إمكان أن يحكم بالباطل؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (أحكم) بصيغة التفضيل، فيكون الكلام إخبار عن الله –تعالى– أنه أعظم حكماً بالحق من كل حاكم.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها، لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (احكم) بصيغة الأمر الذى هو للدعاء، أما ما ذكره من أن هذه القراءة لا تتفق مع مكانة الرسول ﷺ، إذ كيف يدعو الله أن يحكم بالحق مما يستدعى إمكان أن يحكم بالباطل، فإن الإمام الرازى يقول فى تفسير هذه الآية: "المسألة الثانية رب احكم بالحق فيه وجوه أحدها أى ربى اقض بينى وبين قومى بالحق أى بالعذاب كأنه قال اقض بينى وبين من كذبنى بالعذاب وقال قتادة: أمره الله تعالى أن يقتدى بالأنبياء فى هذه الدعوة وكانوا يقولون ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ (الأعراف ٨٩) فلا جرم حكم الله تعالى عليهم بالقتل يوم بدر وثانيها افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو أن تنصرنى عليهم[١٤٥].

([١٤٤]) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (تفسير الرازى) ج١٢ صـ ١٠٧، ١٠٨.

([١٤٥]) السابق ج٢٢ صـ٢٠٢.

ويقول الإمام القرطبى: "(قل رب احكم بالحق) ختم السورة بأن أمر النبى ﷺ بتفـويض الأمر إليه وتوقع الفرج من عنده أى احكم بينى وبين هؤلاء المكذبين وانصرنى علـيهم روى سعيد عن قتادة قال: كانت الأنبياء تقول ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾فأمر النبـى ﷺ أن يقـول ﴿ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ فكان إذا لقى العدو يقول وهو يعلم أنه على الحق وعدوه على الباطل ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أى اقض به وقال أبو عبيدة: الصفة هاهنا أقيمت مقام الموصوف والتقـدير رب احكم بحكمك الحق" [١٤٦].

بناءً على ما سبق يتضح أنه لا إشكال فى الآية كما يزعم جولدتسيهر، وإنما هى كقوله -تعالى- ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ (لأعراف: ٨٩)، وأن الأنبياء كانت تقـول ذلـك، فـأمر النبىﷺ أن يقول ﴿رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، وليس فى الآية ما يفيد إمكان أن يحكم الله بالباطل؛ لأنهـا دعاء وزيادة كلمة الحق هنا للتأكيد، كما يدعو بعض الناس ويقول: اللهم قضاءك العـادل يـا رب، فهل هذا معناه أن قضاء الله تعالى يمكن ألا يكون عادلاً ويكون ظالماً ؟ اللهم لا.

كما يجوز أن يكون معنى كلمة الحق هنا -كما يقول الإمام الرازى- العذاب، أى اقـض بينى وبين قومى بالعذاب، ويجوز أن يكون المعنى افصل بينى وبين قومى بما يظهـر الحـق للجميع، وهو أن تنصرنى عليهم.

ويجوز أن تكون كلمة الحق -كما يقول أبو عبيدة- صفة لمحذوف والتقدير رب احكـم بحكمك الحق.

٦ ـ المثال السادس : قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ (البقرة: ١٠٦)

يرى أن القراءة الأصلية (ننسها) بضم النون الأولى وإسكان الثانية ، لا تليـق بـالله – تعالى-؛ لأنها تفيد أن الله ــ تعالى ــ يريد أن يسلط النسيان على بعض ما أوحى بـه ؛ ممـا أدى إلى ظهور قراءات أخرى تنزيهية، وهى (تنساها) أى أنت يـا محمـد، أو (ننسـأها) أى نرجئها ونؤخرها، ثم يذكر أن هناك قراءة لسعيد بن المسيب هى (ننساها)، وقد اعترض عليها سعد بن أبى وقاص ﷺ قائلاً: إن القرآن لم ينزل على المسيب ولا على آل المسيب .

([١٤٦]) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) ج١١ صـ٣٥١.

أما هذه الآية ففيها قراءتان متواترتان :

١ – ننسأها بفتح النون الأولى والسين وهمز بعد السين بمعنى نؤخرها ، وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو.

٢ – نُنْسِها : بضم النون الأولى وإسكان الثانية وكسر السين بمعنى نتركها ، وهى قراءة باقى القراء العشرة [١٤٧] .

إذن فالآية ليس فيها إلا قراءتان مقبولتان وهما (نُنْسها) و (نَنْسأها) ، أما قراءة (تنساها) التى يزعم أنها جاءت تعديلاً للقراءة الأصلية ، فليست من القراءات المتواترة، وكذلك قراءة سعيد بن المسيب التى ذكرها سابقاً.

وليس الأمر كما زعم جولدتسيهر من أن قراءة نُنسها تفيد أن الله –سبحانه وتعالى– يريد أن يسلط النسيان على بعض ما أوحى به ؛ لأن ننسها هنا بمعنى نتركها كما سبق بيانه، فهى كقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (طه:١١٥) ، أى فترك، وكقوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ (الأعراف: ٥١) ، أى نتركهم كما تركوا ، ويكون معنى القراءتين واحداً فنؤخرها بمعنى نتركها ، ويكون المعنى ما ننسخ من آية أو نتركها فنؤخر نسخها نأت بخير منها أو مثلها ، وعليه فلا إشكال فى الآية.

٧ـالمثال السابع: قوله تعالى ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ (المائدة:١٠٦).

يرى أن القراءة الأصلية (شهادة الله) بإضافة لفظ شهادة إلى الله –تعالى–، لا تليق؛ لأنها ربما تفيد إمكان كتمان شيء شهيده الله نفسه ؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (شهادةً آلله) بتنوين لفظ شهادة ومد همزة الله على الاستفهام عوضاً عن القسم، أى لا نكتم شهادة والله إنا إذاً لمن الآثمين.

---

[١٤٧] انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ١٨٦ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ ٧٦، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ٨٦ ، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ ١٠٩ ، ١١٠ ، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج ٢ صـ ٢١٩ ، ٢٢٠ ، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ ١٨٩ .

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (شهادة الله) بإضافة لفظ شهادة إلى الله، ولا عبـرة بمـا ذكره من أن الآية ربما تفيد إمكان كتمان شيء شهيده الله نفسه؛ فالله شهيد على كل شـيء كما أن إضافة الشهادة إلى الله معناه الشهادة التى أمر الله بحفظها وإظهارها، يقـول الإمـام الرازى: "ثم قال تعالى ولا نكتم شهادة الله وفيه مسألتان المسألة الأولى : هذا عطـف علـى قوله لا نشترى به ثمناً يعنى أنهما يقسمان حال ما يقولان لا نشترى به ثمناً، ولا نكتم شهادة الله أى الشهادة التى أمر الله بحفظها وإظهارها" [148].

٨ـ**المثال الثامن** : قوله تعالى ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ (البقرة:١٣٧)

يرى أن القراءة الأصلية (بمثل ما آمنتم به) لا تليق؛ لأن منطوقها يضع إلى جانـب الله تعالى مثلاً يدعى اليهود إيمانهم به؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (بما آمنتم به) بحذف لفظ مثل.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (بمثل ما آمنتم به).

أما بالنسبة لما ذكره من استلزام الآية مثلاً لله –تعالى–، فيقول الإمام الرازى: "اعلم أنه تعالى لما بين الطريق الواضح فى الدين وهو أن يعترف الإنسان بنبوة من قامت الدلالة علـى نبوته وأن يحترز فى ذلك عن المناقضة رغبهم فى مثل هذا الإيمان فقال فإن آمنوا بمثل مـا آمنتم به فقد اهتدوا من وجوه أحدها أن المقصود منه التثبت والمعنى إن حصلوا ديناً آخر مثل دينكم ومساوياً له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا لما استحال أن يوجد دين آخر يساوى هـذا الدين فى السداد استحال الاهتداء بغيره ونظيره قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الـرأى والصواب فإن كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت أن لا أصوب من رأيك ولكنـك تريد تثبيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأى وراءه وإنما قلت: إنه يستحيل أن يوجد دين آخر يساوى هذا الدين فى السداد لأن هذا الدين مبناه على أن كل من ظهر عليه العجـز وجب الاعتراف بنبوته وكل ما غاير هذا الدين لابد وأن يشتمل على المناقضـة والمتنـاقض يستحيل أن يكون مساوياً لغير المتناقض فى السداد والصحة وثانيها أن المثل صلة فى الكـلام قال الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى ١١) أى ليس كهو شيء وقال الشاعر:

---

(١٤٨) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (تفسير الرازى) ج ١٢ صـ ٩٨.

وصـــالبـــات ككـــما يؤتفـــــين

وكانت أم الأحنف ترقصه وتقول :

والله لـــــــولا حنــــــف برجلــــــه ودقــــــه فــــى ســــاقه مـــــن هزلـــــه
ما كـــــان منكـــــــم أحـــــد كمثلـــه

وثالثها أنكم آمنتم بالفرقان من غير تصحيف وتحريف فإن آمنوا بمثل ذلك وهو التوراة من غير تصحيف وتحريف فقد اهتدوا لأنهم يتوصلون به إلى معرفة نبوة محمد ﷺ ورابعهـــا أن يكون قوله فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به أى فإن صاروا مؤمنين بمثل ما به صرتم مؤمنين فقد اهتدوا فالتمثيل فى الآية بين الإيمانين والتصديقين" (١٤٩).

بناءً على ما سبق يتضح أنه لا إشكال فى الآية وأن ما ذكره جولدتسيهر ليس صحيحاً، وقد اعترف هو نفسه بذلك حين قال: "فقد غلبت على نفوس الأتقياء المتخـــوفين شـــبهة، لا أساس لها عند الإمعان اللغوى، هى أن منطوق اللفظ يضع على ذلك إلى جانب الله [ســـبحانه] مثلاً يدعى اليهود أنهم يؤمنون به" (١٥٠).

٩-المثال التاسع: قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ (آل عمران :١٦١)

يرى أن القراءة الأصلية (يَغُلَّ) بالبناء للمعلوم لا تليق؛ إذ تفرض أن ينسب للرسول ﷺ أمراً غير صالح ولو على وجه السلب؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (يُغَلَّ) بالبناء للمجهول.

أما الآية ففيها قراءتان متواترتان وهما :

١- يَغُل بالبناء للمعلوم بضم الياء وفتح الغين ، وهى قراءة ابن كثيـــر وأبـــى عمـــرو وعاصم.

٢-يُغَل بالبناء للمجهول بضم الياء وفتح الغين ، وهى قراءة باقى القراء العشرة (١٥١).

إذن فكلا القراءتين اللتين ذكرهما جولدتسيهر متواتر مقبول .

---

(١٤٩) السابق ج٤ صـــ ٧٦، ٧٧.

(١٥٠) مذاهب التفسير الإسلامى صـــ ٣٩.

(١٥١)انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـــ ٢١٨ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمـــام الـــدانى صـــ ٩١، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـــ ١١٥ ، ١١٦ ، وحجة القـــراءات للإمام ابن زنجلة صـــ ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، والنشر فى القراءات العشر للإمـــام ابـــن الجـــزرى ج ٢ صـــ ٢٤٣ ، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـــ ٢٣١ .

أما ما ذكره من إشكال على القراءة الأولى، وهى يَغُل بالبناء للمعلوم ، فإنه أيضاً ممكن أن يقع على القراءة الثانية بالبناء للمجهول؛ لأنها يجوز أن تكون بمعنى الأولى، ويكون المعنى يُغَل أى يُلفى غالاً أو يوجد غالاً، ويجوز أن تكون بمعنى ينسب إليه الغلول أو بمعنى يخونه أصحابه.

وبالنسبة للإشكال فأقول: إن الآية تفيد نفى الغلول عن النبى ﷺ، وهذا النفى بهذا الأسلوب، قد يكون عتاباً للنبى ﷺ، وهذا يستلزم وقوع الأمر المعاتب عليه (الغلول)، ويكون كقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأنفال: ٦٧) ، وكقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ (التوبة: ١١٣) ، فكلا الأمرين وقع من النبى ﷺ ثم عاتبه الله عليه.

وقد يكون إخباراً عن عدم وقوع الأمر المنفى واستحالته ، ويكون كالحديث الذى أخرجه الحاكم عن مصعب بن سعد عن سعد ﷺ قال: "لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبى سرح عند عثمان بن عفان ﷺ فجاء به حتى أوقفه على النبى ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كففت عن بيعته فيقتله فقالوا: ما ندرى يا رسول الله ما فى نفسك ألا أومأت إلينا بعينك فقال: إنه لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين" هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه[١٥٢].

---

(١٥٢) المستدرك على الصحيحين ــ كتاب المغازى والسير ــ حديث رقم [٤٣٦٠] ، [٤٣٦١] ج٣ صــ ٤٧.

والحديث أخرجه الإمام أبو داوود فى سننه ــ أول كتاب الجهاد ــ باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام ــ حديث رقم [٢٦٨٣] ج٣ صــ ٥٩، وكتاب الحدود ــ باب فيمن ارتد ــ حديث رقم [٤٣٥٩] ج٤ صــ١٢٨.

والإمام البيهقى فى سننه الكبرى ــ كتاب النكاح ــ جماع أبواب ما خص به رسول الله ﷺ مما شدد عليه وأبيح لغيره على ترتيب أبى العباس أحمد بن أبى أحمد الطبرى صاحب التخصيص ﷺ ــ باب ما حرم عليه من خائنة الأعين دون المكيدة فى الحرب ــ حديث رقم [١٣٠٥٦] ج٧ صــ ٤٠.

والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفه ــ كتاب المغازى ــ باب فتح مكة ــ حديث رقم [٣٦٩١٣] ج٧ صــ ٤٠٤.

والإمام أبو يعلى فى مسنده ــ مسند سعد بن أبى وقاص ــ حديث رقم [٧٥٧] ج٢ صــ ١٠٠، ١٠١.

والإمام الطحاوى فى شرح معانى الآثار ــ كتاب الحجة فى فتح رسول الله ﷺ مكة عنوة ــ حديث رقم [٥٠٦٤] ج٣ صــ ٣٣٠.

قال الحافظ الذهبى: على شرط مسلم [١٥٣].

فهذا الأمر لم يقع من النبى ﷺ وجاء هذا التعبير ليدل على استحالته.

لكن ما الذى يبين المراد من هذه الآية، هل هو المعنى الأول أو الثانى؟ إنه سبب نزولها روى الإمام الترمذى عن ابن عباس ﷺ قال: "نزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ فى قطيفة حمراء فقدت يوم بدر ، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ إلى آخر الآية". قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب، وقد روى عبد السلام بن حرب عن خصيف نحو هذا وروى بعضهم هذا الحديث عن خصيف عن مقسم ولم يذكر فيه عن ابن عباس[١٥٤].

إذن فالآية إخبار عن عدم وقوع الغلول واستحالته على الأنبياء ــ عليهم السلام ــ ومنهم النبى ﷺ ، وليست عتاباً له على أمر قد وقع منه، وبناءً عليه فلا إشكال فيها.

١٠ـ المثال العاشر : قوله تعالى ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا﴾.(يوسف: ١١٠)

يرى أن القراءة الأصلية "كَذَبوا" بالبناء للمعلوم ، لا تليق بالرسل ــ عليهم السلام ــ؛ لأنها تفيد أنهم ظنوا أنهم قد صدر عنهم الكذب، وهذا محال لا يقبله عقل ؛ مما أدى إلى ظهور قراءتين تنزيهيتين وهما: "كُذِبوا"، و"كُذِّبوا" بالتخفيف والتشديد، وكلاهما بالبناء للمجهول، أى أن المشركين رموا الأنبياء بالكذب ويكون الظن هنا بمعنى العلم.

أما الآية ففيها قراءتان متواترتان وهما :

١ – كُذِبوا بتخفيف الذال والبناء للمجهول ، وهى قراءة حمزة والكسائى وعاصم وأبى جعفر.

---

(١٥٣) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج٣ صـ٤٥ .

(١٥٤) سنن الترمذى – كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ – باب ومن سورة آل عمران – حديث رقم [٣٠٠٩] ج٥ صـ٢٣٠.

والحديث أخرجه الإمام أبو داود فى سننه – أول كتاب الحروف والقراءات – حديث رقم [٣٩٧١] ج٤ صـ٣١.

والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير –حديث رقم [١٢٠٢٨]، [١٢٠٢٩] ج١١ صـ٣٦٤.

والإمام أبو يعلى فى مسنده – أول مسند ابن عباس – حديث رقم [٢٤٣٨] ج٤ صـ٣٢٧، وتابع مسند ابن عباس – حديث رقم [٢٦٥١] ج٥ صـ٦٠.

٢- كُذِّبوا بتشديد الذال والبناء للمجهول ، وهى قراءة باقى القراء العشرة [١٥٥].

اتضح مما سبق أن الآية ليس فيها إلا قراءتان متواترتان، وهما القراءتان اللتان جعلهما جولدتسيهر تصحيحاً للقراءة الأصلية فى زعمه (كَذَبوا) بالبناء للمعلوم، وهى فى الحقيقة قراءة شاذة.

كما أنه أيضاً قد تخبط ؛ حيث أن قصة سعيد بن جبير والتأويلات ، كانت فى قراءة (كُذِبوا) بالتخفيف والبناء للمجهول، وليست فى قراءة (كَذَبوا) بالبناء للمعلوم.

يقول الشيخ الدمياطى: "واختلف فى (كذبوا) الآية ١١٠ فعاصم وحمزة والكسائى وأبو جعفر وخلف بالتخفيف وافقهم الأعمش ورويت عن عائشة رضى الله عنها وروى عنها إنكارها وقد وجهت بوجوه منها وهو المشهور عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره أن الضمائر كلها ترجع إلى المرسل إليهم أى وظن المرسل إليهم ان الرسل قد كذبوهم فيما ادعوا من النبوة وفيما يوعدون به من لم يؤمن من العقاب ويحكى أن سعيد بن جبير لما أجاب بذلك فقال الضحاك وكان حاضراً: لو رحلت فى هذه المسألة إلى اليمن كان قليلاً والباقون بالتشديد على عود الضمائر كلها على الرسل أى وظن الرسل أنهم قد كذبهم أممهم فيما جاؤا به لطول البلاء عليهم" [١٥٦].

١١- المثال الحادى عشر: قوله تعالى ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾ (يوسف:١٢).

يرى أن القراءة الأصلية (نلعب) بضمير الجمع، بدليل قوله تعالى بعده ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾، لا تتفق مع مكانة أولاد الأنبياء الذين قدر لهم أن يصيروا أنبياء، لأن فيها إسناد اللعب إليهم؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (يلعب) بضمير الغائب.

أما الآية ففيها قراءتان متواترتان وهما :

١- يلعب : بالياء ، وهى قراءة نافع وأبى جعفر .

٢- نلعب : بالنون ، وهى قراءة باقى القراء العشرة [١٥٧].

---

(١٥٥)انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٣٥١ ، ٣٥٢ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ ١٣٠، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ١٩٩ ، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج ٢ صـ ٢٩٦ ، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ ٣٣٦ .

(١٥٦) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر صـ٣٣٦.

(١٥٧) انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٣٤٥ ، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ ١٢٨، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ ١٩٤ ، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج ٢ صـ ٢٩٣ ، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ ٣٢٩ .

إذن فكلا القراءتين اللتين ذكرهما جولدتسيهر متواتر مقبول، أما ما ذكره من إشكال على قراءة نلعب بالنون؛ لأن فيها نسبة اللعب إلى أولاد الأنبياء الذين قدر لهم أن يصيروا أنبياء فأقول: إنه قد أخطأ من وجهين:

١- ادعاؤه أنهم أنبياء، والصحيح عدم القطع بنبوتهم يقول الحافظ ابن كثير فى تفسير قوله ـ تعالى ـ ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: "واعلم أنه لم يقم الدليل على نبوة أخوة يوسف وظاهر هذا السياق يدل على خلاف ذلك ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك وفى هذا نظر ويحتاج مدعى ذلك إلى دليل ولم يذكروا سوى قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾، وهذا فيه احتمال لأن بطون بنى إسرائيل يقال لهم الأسباط كما يقال للعرب قبائل وللعجم شعوب يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بنى إسرائيل فذكرهم إجمالاً لأنهم كثيرون ولكن كل سبط من نسل رجل من أخوة يوسف ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحى إليهم والله أعلم" [١٥٨].

٢- أنه على فرض كونهم أنبياء فلا إشكال فى نسبة اللعب إليهم إذا كان مباحاً ، خاصةً وأنه فُسر بعده بقولهم ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ (يوسف :١٧)، والمسابقة لا شىء فيها، بل قد فعلها النبى ﷺ، روى الإمام ابن حبان عن السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت "سابقنى النبى ﷺ فسبقته فلبثنا حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى فقال النبى ﷺ : هذه بتلك "[١٥٩].

([١٥٨]) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ج٢ صـ٤٧١.

([١٥٩]) صحيح ابن حبان – كتاب السير – باب السبق – حديث رقم [٤٦٩١] ج١٠ صـ٥٤٥.

والحديث أخرجه الإمام النسائى فى السنن الكبرى – كتاب عشرة النساء ـ أبواب الملاعبة – مسابقة الرجل زوجته – حديث رقم [٨٩٤٢] ج٥ صـ٣٠٣.

والإمام ابن ماجة فى سننه – كتاب النكاح – باب حسن معاشرة النساء – حديث رقم [١٩٧٩] ج١ صـ٦٣٦.

والإمام أحمد فى مسنده – حديث السيدة عائشة – رضى الله عنها– حديث رقم [٢٤١٦٤] ج٦ صـ٣٩، وحديث رقم [٢٥٠٢٥] ج٦ صـ١٢٩، وحديث رقم [٢٥٥٢٧] ج٦ صـ١٨٢، وحديث رقم [٢٦٢٩٥] ج٦ صـ٢٦١، وحديث رقم [٢٦٤٤١] ج٦ صـ٢٨٠.

والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير– حديث رقم[١٢٣]ج ٢٣صـ ٤٦،وحديث رقم[١٢٥]ج٢٣ صـ ٤٦.

والإمام ابن الجعد فى مسنده – الجزء الثالث والعشرين من حديث أبى الحسن على بن الجعد بن عبيد الجوهرى – حماد بن سلمة – حديث رقم [٣٣٣١] ج١ صـ٤٨٠.

والإمام إسحاق بن راهوية فى مسنده – ما يروى عن عائشة بنت أبى بكر الصديق -رضى الله عنهما– زوجة النبى ﷺ – ما يرى عن عروة بن الزبير عن خالته عائشة عن النبى ﷺ – حديث رقم [٨٠٦] ج٢ ص٢٨٩.

والإمام أبو بكر الحميدى فى مسنده – أحاديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ – حديث رقم [٢٦١] ج١ صـ١٢٨.

ثم هم قد وقع منهم ما هو اكبر من اللعب المباح وهو الكذب حين قالوا لأبيـــه م ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ* وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ (يوسف: ١٧، ١٨)

كما أنهم فعلوا ما هو أكبر من ذلك، حين هموا بقتل أخيهم يوسف –عليه السلام–، وقد اعترفوا له بخطئهم حين قالوا له ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾(يوسف: ٩١).

وحين قالوا لأبيهم ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف:٩٧)

١٢ـ المثال الثانى عشر: قوله تعالى ﴿إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ (يوسف:٨١).

يرى أن القراءة الأصلية (سرق) بالبناء للمعلوم، لا تليـــق؛ لأن فيهـــا نســـبة الســـرقه لبنيامين الذى لم يسرق فى الحقيقة؛ مما أدى إلى ظهور قراءة أخرى تنزيهية، وهى (سُـــرق) بالبناء للمجهول، أى نسب إلى السرقة.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (سرق) بالبناء للمعلوم.

أما ما ذكره من أن فيها نسبة السرقة لبيامين فلا شئ فيها؛ لأن القائل أخبر بما غلب علـــى ظنه حيث أخرجوا صواع الملك من رحل بنيامين، ويدل على ذلك قوله بعد ذلك ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ* وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف :٨١،٨٢) .

الفصل الرابع

الحرية في قراءة النص القرآني

مزاعم جولدتسيهر بهذا الخصوص:

يقول جولدتسيهر: "ويمكننا أن نستخلص من التجارب فى هذه المرحلة أنه، فيما يتعلق بإقامة النص المقدس فى الإسلام الأول، كانت تسود حرية مطردة إلى حد الحرية الفردية، كأنما كان سواء لدى الناس أن يرووا النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية"[١٦٠].

فهو هنا يرى أنه فى أول الإسلام كانت هناك حرية فى قراءة النص القرآنى، فقد كان جائزاً أن يُروى النص على وجه لا يتفق مع صورته الأصلية، ولا شىء فى ذلك.

ويقول: "وربما مثل ذروة هذه الظاهرة ذلك الخبر الذى يفيد أن الخليفة عثمان نفسه قرأ القرآن أحياناً على وجه يختلف عن النص فى الكتابة المأثورة التى رتب عملها ثم اعتمدها. ففى الآية ١٠٤ من سورة آل عمران: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أضاف عثمان زيادة لم تؤخذ فى النص العثمانى، [+ويستعينون الله على ما أصابهم]"[١٦١].

فهو هنا يستدل على ما ذهب إليه بأن الخليفة عثمان ﷺ نفسه قد قرأ القرآن أحياناً على وجه يخالف ما جمعه من القرآن، ويمثل لذلك بمثال، وهو قوله تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾، حيث يرى أن عثمان ﷺ قد أضاف عليها زيادة، وهى (ويستعينون الله على ما أصابهم).

ويقول: "كذلك العضو الأساسى الذى قام بتنفيذ الكتابة العثمانية يواجهنا ممثلاً لقراءات تختلف عن النص الذى أثبته بأمر الخليفة، ويقول فى الهامش: "الكشاف فى الآية ٢٢ من سورة يونس: هو الذى ينشر كم بدلاً من هو الذى يسيركم"[١٦٢].

فهو هنا يستدل أيضاً على ما ذهب إليه بأن زيد بن ثابت ﷺ قد قرأ أيضا بما يخالف المصحف الذى جمعه بأمر الخليفة عثمان ﷺ، ويمثل لذلك بمثال، وهو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾، حيث يرى أن زيد بن ثابت ﷺ قد قرأ ينشركم بدلاً من يسيركم.

ويقول: "وقد قرر الخليفة عمر أن القرآن صواب كله، وفى رواية كاف شاف ما لم تجعل

---

(١٦٠) مذاهب التفسير الإسلامى صـ٤٨.

(١٦١) السابق نفس الصفحة.

(١٦٢) السابق صـ٤٩.

آية رحمة عذاباً وآية عذاب رحمة أى مادام لم يحصل اختلاف أساسى فى معنى الألفاظ فالمعول إذاً فى المرتبة الأولى على المعنى الذى يستبطنه النص لا على الاحتفاظ المتناهى فى الدقة بقراءة معينة. وهو رأى انتهى – فيما يتعلق بتلاوة القرآن فى مراسيم العبادة – إلى القول بجواز قراءة النص المطابق للمعنى وإن لم يطابق حرفية اللفظ (القراءة بالمعنى) مع الرجوع فى ذلك إلى رواية بعض الصحابة. وليس هناك ما هو أوقع فى النظر دلالةً على مدى ما ذهبت إليه هذه التسوية، من تطبيقها على نص عظيم الأهمية فى مراسيم العبادة مثل سورة الفاتحة، المعترف طبعاً بمكانتها فى العبادة الدينية منذ عهد جد مبكر. هنا قرأ عبد الله (بن مسعود فيما يظهر) بدل: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ مغيراً اللفظ الأول بمرادفه: "أرشدنا الصراط المستقيم" وقد نسب إلى ابن مسعود نفسه هذا القول الأساسى الدلالة "لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون، فاقرؤا كما علمتم فهو كقولكم: هلم وتعال"[163].

فهو هنا يستدل أيضا على ما ذهب إليه بما روى عن عمر بن الخطاب ﷺ من قوله: "إن القرآن صواب كله وفى رواية شاف كاف، ما لم تجعل آية رحمة عذاباً وآية عذاب رحمة"، ثم يخلص من ذلك إلى أن الحرية الفردية أدت إلى جواز القراءة بالمعنى، وأن الصحابة –رضى الله عنهم– كانوا يجيزون ذلك، مادام لم يحدث تغيير فى المعنى، فالمهم المعنى لا النص، ويؤيد ذلك بقول ابن مسعود ﷺ : "لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون فاقرؤوا كما علمتم فهو كقولكم: هلم وتعال"، ويمثل على ذلك بقوله تعالى ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، حيث قرأ ابن مسعودﷺ بدلاً من اهدنا، (أرشدنا الصراط المستقيم)، بتغيير اللفظ بمرادفه.

ويقول: "وحكى عن عبد الله بن المبارك (المتوفى ١٨١هـ =٧٩٧م) الذى نال إجلالاً كبيراً لورعه وسعة درايته بالحديث، أنه كان لا يرد على أحد حرفاً (مخالفاً للقراءة المشهورة) إذا قرأ" [164].

فهو هنا يستدل أيضا على ما ذهب إليه بأن عبد الله بن المبارك كان لا يرد على أحد حرفاً مخالفا للقراءة المشهورة إذا قرأ أمامه.

ويقول: "والظاهر أن القصد إلى إمكان تجهيز مثل هذه الحرية بحق من الصحة لا يقبل

---

(١٦٣) السابق صـ٤٩، ٥٠.

(١٦٤) السابق صـ٥٠.

الشك، حدا إلى إسناد جواز ذلك إلى الرسول نفسه. فإنه يبدو بمكان غير هين من الغرابة، أن نرى قراءات مخالفة للنص المشهور ذكرت على أنها قراءات الرسول مما يدعو إلى افتـراض أنه لا حرج فى رواية كلام الله على وجه آخر غير الوجه الذى بلغه الرسول فى الأصل"(١٦٥).

فهو هنا يرى أن هذه الحرية فى تناول النص القرآنى وجواز القراءة بالمعنى منسـوب إلى الرسول ﷺ، بدليل أن هناك قراءات منسوبة إليه ﷺ مخالفة للنص المشهور، مما يؤيد أنه لا حرج فى رواية كلام الله -تعالى- على وجه آخر، غير الوجه الذى بلغه الرسـول ﷺ فـى الأصل.

ثم يدعم ذلك بذكر أدلة فيقول: "ففى الآية ١٢٩ من سورة التوبـة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ بضم الفاء فى القراءة المقبولة، ذكرت قراءة بفتح الفاء "من أنفسكم" على أنها قراءة رسول الله وفاطمة وعائشة(١٦٦).

فهو يستدل على قوله السابق بقول الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ بضم الفاء فـى القراءة المقبولة؛ حيث وردت قراءة أخرى بفتح الفاء فى "أنفسكم"، ونسبت هذه القراءة إلـى النبى ﷺ وفاطمة وعائشة -رضى الله عنهما-.

ويقول: "وإلى هذا أيضا مثال أوضح: فإن عبد الله بن أبى سـرح، أخـا عثمـان مـن الرضاعة، الذى دخل فى الإسلام قبل فتح مكة، ثم ارتد بعد وفاة الرسول ثم احتل ثانياً منصـباً بارزاً فى الدولة الإسلامية على عهد عثمان، كان من كتاب الوحى عند الرسول ﷺ. وقد روى أنه فى حديثه عن عمله هذا، افتخر أمام القرشيين بما كان يتمتع به من النفوذ علـى عهـد الرسول فقال: إنه كان يحول النبى كما يريد وقال: كان يملى على مثلاً: عزيز حكيم، فأقول هل أكتب عليم حكيم؟ فيقول النبى: نعم كل صواب" (١٦٧).

فهو هنا يذكر دليلاً آخر على ما ذهب إليه من أن جواز القراءة بالمعنى منسـوب إلـى الرسول ﷺ، وهو ما روى من أن عبد الله بن أبى سرح ﷺ كان يكتب الـوحى للرسـول ﷺ، وكان يحول النبى ﷺ كما يريد، فقد كان يملى عليه مثلاً عزيز حكيم، فيقول: هل أكتـب علـيم حكيم؟ فيقول النبى ﷺ : نعم كل صواب.

ثم بعد ذلك يذكر أمثلة عامة على رأيه فى أن الحرية الفردية وجواز القـراءة بـالمعنى

---

(١٦٥) السابق صـ٥٠ ،٥١.

(١٦٦) السابق صـ٥١.

(١٦٧)السابق نفس الصفحة.

كانا سبباً فى تعدد القراءات، فيقول: "ويقدم نوعاً من اختلاف القراءات أهون مما سبق، ذلــك الاختلاف فى النصوص التى يبدو فى كل منها مرادف آخر يؤدى نفس المعنى. كما إذا آثر أبو الأسرار الغنوى مثلاً أن يقرأ فى الآية ٤٨ من سورة البقرة بدلاً من "نفس عن نفس" مرادفه: "نسمة عن نسمة" ومثل هذا الاختلاف فى النص كان يحكم عليه قديماً بروح واسعة الحريــة: لأنه إذا كان المعنى لن يناله تغيير، بل يزداد وضوحاً فى بعض الأحيــان، فمــن الجــائز أن تستبدل بكل طمأنينة من كلمة غامضة أخرى أوضح منها" [١٦٨].

فهو هنا يذكر مثالاً على مذهبه، وهو قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ حيث قرأ أبو السرار الغنوى مغيراً اللفظ بمرادفه، بدلاً من (نفس عن نفس)، (نسمة عن نســمة)، والسبب فى ذلك هو الحرية الفردية.

ويقول: "فالآية ٣٨ من سورة المائدة تشتمل على الحد المفروض عقاباً على الســرقة" ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾، وإذاً فأى الأيدى تقطع؟ الجواب فى القراءة المروية عن ابن مسعود "والسارقون والسارقات (بصيغة الجمع بدل المفــرد المــذكر فــى القــراءة المشهورة) فاقطعوا إيمانهما" [١٦٩].

فهو يرى أن القراءة المشهورة فى الآية (فاقطعوا أيديهما)، وهناك قراءة أخرى؛ سببها الحرية الفردية، وهى (فاقطعوا أيمانهما) وهى منسوبة إلى ابن مسعود ﷺ ، كما أنها توضيح للقراءة الأولى المشهورة.

ويقول: "وفى النهى عن الوزن الخاسر (آية ٩ من سورة الــرحمن) ورد: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ فقرأ بعضهم (وقد ذكر ابن مسعود أيضا سنداً لهذه القراءة): "وأقيموا الوزن باللسان"، بدلاً من "بالقسط" وذاك اللفظ الأخير وإن كان غير غامض أصلاً، فإن إقامــة لسان الميزان تقدم الدليل على أن الوزن لم ينقص" [١٧٠].

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ)، وهناك قراءة أخرى

---

(١٦٨) السابق صـــ٢٦، ٢٧.

(١٦٩)السابق صـــ٢٧.

(١٧٠)السابق نفس الصفحة.

بنفس معناها، منسوبة إلى ابن مسعود ﷺ ، هى (وأقيموا الوزن باللسان)؛ وسببها الحرية الفردية أيضاً.

ويقول: "وفى آية ٩٦ من سورة مريم، إذ يجرى الخطاب على لسان مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً﴾ استبدل لفظ "صمتا" بلفظ "صوماً: بل نسبت إلى أنس بن مالك، موضح ثقة الرسول، قراءة "صوما وصمتاً"(١٧١).

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (إني نذرت للرحمن صوماً)، وهناك قراءة أخرى بنفس معناها منسوبة إلى أنس بن مالك ﷺ، وهى (إني نذرت للرحمن صمتاً)؛ وسببها الحرية الفردية أيضا.

ويقول "فى آية ٩٣ من سورة الإسراء يقول المشركون لمحمد ﷺ ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ . . . أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ وفى هذا يقول المحدث المكى مجاهد (المتوفى حوالى ١٠٢/١٠٤هـ =٧١٩/٧٢١م) كنا لا ندرى ما الزخرف حتى رأينا قراءة ابن مسعود: "أو يكون لك بيت من ذهب" فهو لفظ مرادف يشرحه"(١٧٢).

فهو هنا يرى أن القراءة الأصلية فى الآية (أو يكون لك بيت من زخرف)، وهناك قراءة أخرى بنفس معناها، منسوبة إلى ابن مسعود ﷺ، وهى (أو يكون لك بيت من ذهب)؛ وسببها الحرية الفردية أيضا.

الرد

أولاً: بالنسبة لما ذكره من أنه كانت هناك فى أول الإسلام حرية فى قراءة النص القرآنى فأقول:

١-أنه لم يرد نص صحيح صريح عن رسول الله ﷺ ، أو عن أحد من الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ يفيد جواز القراءة بالمعنى، أو يدل على وجود مثل هى الحرية التى زعمها .

٢-لو كان هناك حرية فى قراءة النص القرآنى كما زعم لوصل إلينا مئات، بل آلاف، بل ملايين القراءات، عن الصحابة والتابعين، ولكانت هذه القراءات كلها فى درجة واحدة من الصحة.

٣-لو كان هناك حرية فى قراءة النص القرآنى كما زعم، لما كان هناك داع لاشتراط صحة سند القراءة إلى الرسول ﷺ أو تواترها حتى تكون مقبولة، ولكفى فى ذلك موافقة المعنى.

---

(١٧١) السابق صـ ٢٨.

(١٧٢) السابق نفس الصفحة.

٤-أن عمر بن الخطاب ﷺ عندما سمع هشام بن حكيم ﷺ، يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي ﷺ، على حروف لم يقرئها له رسول الله ﷺ ، وذهب به إلى النبي ﷺ ليحكم بينهما، بين لهما النبي ﷺ أنها أنزلت بهذه القراءة وتلك، ولم يذكر لهما شيئاً عن حرية القراءة، أو أن هشام بن حكيم ﷺ كان يقرأ بالمعنى مثلاً.

وأخيراً أستأنس هنا بما ذكره الإمام السيوطى نقلاً عن الإمام ابن الجزرى قال: "وربما كانوا يدخلون التفسير فى القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبى ﷺ قرآنا فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتب معه، وأما من يقول إن بعض الصحابة كان يجيز القراءة بالمعنى فقد كذب" (١٧٣).

ثانياً: **بالنسبة لما ذكره جولدتسهير من أدلة على زعمه**:

الدليل الأول قوله إن عثمان ﷺ كان يقرأ القرآن أحياناً على وجه يختلف عن النص فى الكتابة المأثورة التى اعتمدها، بدليل قراءته "ولتكن منكم أمه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم"، (بإضافة ويستعينون الله على ما أصابهم) بعد قوله تعالى ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.

لكن هذه القراءة التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ويستعينون الله على ما أصابهم﴾ .

أما هذه القراءة التى ذكرها وعزاها فى الهامش إلى تفسير الطبرى، فقد ذكرها الإمام الطبرى فى تفسيره عن صبيح قال: "سمعت عثمان يقرأ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم" (١٧٤).

لكن صبيحاً هذا لم يرو عن عثمان ﷺ شيئاً (١٧٥).

كما أن هذه القراءة لم يثبت تواترها.

---

(١٧٣) الإتقان فى علوم القرآن ج١ صـ ٢٠٩.

(١٧٤) جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) ج٤ صـ٣٨.

(١٧٥) انظر تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ المترى - ترجمه رقم [٢٨٥٠] ج١٣ صـ١١٢ وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر - ترجمة رقم [٧١٣] ج٤ صـ ٣٥٩، والثقات للإمام ابن حبان - ترجمة رقم [٣٤٦٢] ج٤ صـ٣٨٢.

وعليه فتكون الرواية عن عثمان ﷺ غير صحيحة، وعلى فرض صحتها فهى دليل على نزاهة الجمع الذى قام به عثمان ﷺ ، حيث لم يجمع إلا ما قام الدليل على أنه مما استقر عليه الأمر فى العرضة الأخيرة، وثبت تواتره عن النبى ﷺ وترك ما سواه، حتى لو كان موافقاً لقراءته هو، فهو فى الحقيقة حجة عليه لا له، لأنه لو جازت القراءة تبعاً للحرية الفردية لأثبت عثمان ﷺ هذه الزيادة فى المصاحف. كما أنه من الجائز أن يكون قرأها على سبيل التفسير وحسب من سمعه أنها قرآن وليست كذلك.

٢-الدليل الثانى: قوله إن زيد بن ثابت ﷺ قد قرأ أيضا بما يخالف المصحف الذى جمعه بأمر الخليفة عثمان ﷺ ، بدليل قراءته ينشركم بدلاً من يسيركم، فى قوله تعالى ﴿ هُوَالَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ .

أما هذه الآية ففيها قراءتان متواترتان :

١-ينشركم بالنون والشين من النشر وهى قراءة ابن عامر وأبى جعفر .

٢-يسيركم بالسين والياء من التسيير ، وهى قراءة باقى القراء العشرة (١٧٦).

إذن فالقراءة التى استدل بها جولدتسيهر على مخالفة زيد بن ثابت ﷺ للمصحف العثمانى متواترة مقبولة، كما أنها ليست مخالفة للمصحف العثمانى، وإنما موافقة له؛ لأن الشرط هو موافقة أحد المصاحف العثمانية، وهى موافقة لرسم المصحف الشامى، يقول الإمام ابن الجزرى: " واختلفوا فى (يسيركم فى البر) فقرأ أبو جعفر وابن عامر بفتح الياء ونون ساكنه بعدها وشين معجمة مضمومة من النشر وكذلك هى فى مصاحف أهل الشام وغيرها وقرأ الباقون بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها مكسورة مشددة من التسيير وكذلك هى فى مصاحفهم" (١٧٧).

وفى هذا دليل على فضل عظيم للصحابة -رضى الله عنهم- فى نسخ المصاحف؛ حيث أنهم كانوا عندما يجدون قراءتين ثابتتين عن النبى ﷺ مختلفتين فى الرسم، يقومون بكتابتها فى بعض المصاحف برسم وفى بعضها الآخر بالرسم الآخر.

٣-الدليل الثالث: استدلاله على وجود الحرية فى قراءة النص القرآنى بقول عمر بن الخطاب ﷺ إن

---

(١٧٦) انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٣٢٥، والتيسير فى القراءات السبع للإمام لدانى صـ ١٢١، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ ٣٢٩ ، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى صـ ٢٨٢، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ ٣١١.

(١٧٧) النشر فى القراءات العشر ج صـ ٢٨٢.

القرآن صواب كله، أو شاف كان ما لم تجعل آيه رحمة عذاباً أو أية عذاب رحمة.

لكن هذا القول الذى نسبه لعمر ﷺ هو فى الأصل حديث عن رسول الله ﷺ .

روى الإمام أبو داود عن أبى بن كعب ﷺ قال: قال النبى ﷺ : "يا أبى إنى أقرئت القرآن فقيل لى على حرف أو حرفين؟ فقال الملك الذى معى: قل على حرفين قلت: على حرفين فقيل لى: على حرفين أو ثلاثة؟ فقال الملك الذى معى: قل على ثلاثة قلت: على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال: ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب" (١٧٨) . .

أما استدلاله بهذا الحديث على الحرية فى قراءة النص القرآنى فغير سليم؛ لأن ما يفيده هذا الحديث أن النبى ﷺ خير فى قراءة القرآن حتى بلغ سبعة أحرف كلها شاف كاف، أما قوله: "إن قلت سميعاً عليماً عزيزاً حكيماً، -وفى رواية فالله كذلك- ما لم تختم آيه عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"، فالمراد أن هذه الأحرف لها صفتان:

١-أنها من الله ــ تعالى ــ(كلام الله) كما تقول سميع عليم عزيز حكيم فكلها أسماء الله.

٢-أنه لا تناقض بينها، فلا تختم آيه عذاب برحمة، أو آية رحمة بعذاب.

٤-**الدليل الرابع**: استدلاله بما روى عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: " لقد سمعت القراء ووجدت أنهم متقاربون فاقرؤوا كما علمتم فهو كقولكم هلم وتعال"، ويؤيد ذلك بقراءة ابن مسعود ﷺ أرشدنا الصراط المستقيم بدلاً من اهدنا الصراط المستقيم. فأقول:

بالنسبة لما روى عن ابن مسعود ﷺ فقد أخرجه الإمام الطبرانى عن شقيق قال: قال عبد الله ﷺ : " إنى قد سمعت القراء فسمعتهم متقاربين فاقرؤوا كما علمتم وإياكم والتنطع

---

(١٧٨) سنن أبى داود ــ كتاب الصلاة ــ أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله ــ باب أنزل القرآن على سبعة أحرف - حديث رقم [١٤٧٧] ج٢ صــ ٧٦.

والحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ــ حديث أبى بكرة نفيع بن الحارث بن كلده ﷺ ــ حديث رقم [٢٠٤٤١] ج٥ صــ ٤١، وحديث سليمان بن صرد عن أبى بن كعب ﷺ ــ حديث رقم [٢١١٨٧] ج٥ صــ١٢٤.

والإمام البيهقى فى سننه الكبرى ــ كتاب الحيض ــ باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة دون غيرهن من اللغات ــ حديث رقم [٣٨٠٢] ج٢ صــ٣٨٤ .

والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفة ــ كتاب فضائل القرآن ــ القرآن على كم حرف نزل ــ حديث رقم [٣٠١٢٢] ج٦ صــ١٣٨.

والإمام عبد الرازق فى مصنفة ــ كتاب الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدى رواية الإمام عبد الرزاق الصنعانى ــ باب على كم انزل القرآن من حرف ــ حديث رقم [٢٠٣٧١] ج ١١ صــ ٢١٩ ــ ٢٢٠.

وإسناده صحيح

والاختلاف فإنما هو كقول أحدكم هلم وتعال" [١٧٩].

لكن ما روى عن ابن مسعود ﷺ لا يدل على ما ذهب إليه من جواز القراءة بالمعنى، وإنما يفيد أن القراءات الثابتة كلها متفقة فى المعنى ولا تضاد فيها، ولذلك يقول ﷺ : "فاقرؤوا كما علمتم"، ولم يقل فاقرؤوا كما شئتم أو اقرؤوه بمعناه، كما أنه يحذر من التنطع والاختلاف، فكل القراءات الثابتة نازله من عند الله ــ تعالى ــ ولا فرق بينها.

أما قراءة ابن مسعود ﷺ السابقة، فلم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى (اهدنا الصراط المستقيم)، فلا عبرة باستدلاله بها، ولعلها قراءة تفسيرية عنه ﷺ ، وقد سبق فى الفصل الثالث من هذا الباب بيان حكم هذه القراءات، أما ادعاؤه بأن الصحابة ــ رضى الله عنهم ــ كانوا يجيزون القراءة بالمعنى فيعوزه الدليل، وقد سبق رد الإمام السيوطى على ذلك أول هذا الفصل.

٥ـ**الدليل الخامس**: استدلاله بأن ابن المبارك كان لا يرد على أحد حرفاً (مخالفاً للقراءة المشهورة) إذا قرأ به، وهو يعزو هذا الكلام فى الهامش إلى تذكره الحفاظ للحافظ الذهبي، وقد رجعت إليه فوجدته يقول: "قال نعيم بن حماد: ما رأيت بن المبارك يقول قط حدثنا كأنه يرى أخبرنا واسع وكان لا يرد على أحد حرفاً إذا قرأ" [١٨٠].

فالإضافة بين القوسين من وضع جولدتسيهر نفسه، أما كلام الحافظ الذهبى فبدون هذه الإضافة، وبناءً عليه فليس فى الكلام ما يدل على حرية القراءة، أو جواز القراءة بالمعنى، وإنما غاية ما يدل عليه أن عبد الله بن المبارك كان يرى جواز القراءة بأى حرف من الحروف التى نزل بها القرآن، ولا يرد على أحد حرفاً إذا قرأ أمامه.

كما أن فعل ابن المبارك ليس حجة، وإنما الحجة فى قول النبى ﷺ أو فعله.

٦ـ**الدليل السادس**: استدلاله على جواز القراءة بالمعنى بأن هناك قراءات منسوبة للرسول ﷺ مخالفة للنص المشهور، مما يؤيد أنه لا حرج فى رواية كلام الله تعالى على وجه غير

---

(١٧٩) المعجم الكبير للإمام الطبرانى ــ حديث رقم [٨٦٨٠]ج٩ صــ ١٣٨ .

والحديث أخرجه الإمام الطبرانى أيضاً فى المعجم الأوسط ــ حديث رقم [١٤٠٩] ج٢ صــ١٠٩.

والإمام البيهقى فى سننه الكبرى ــ كتاب الحيض ــ باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السبعة دون غيرهن من اللغات ــ حديث رقم [٣٨٠٤] ج٢ صــ٣٨٤.

والإمام ابن أبى شيبه فى مصنفه ــ كتاب فضائل القرآن ــ التنطع بالقراءة ــ حديث رقم [٣٠٠٢٨] ج٦ صــ ١٢٧.

وإسناده صحيح

(١٨٠) تذكره الحفاظ ج١ صــ ٢٧٧.

الوجه الذى بلغه الرسول ﷺ، بدليل قراءة الرسول ﷺ "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" بفتح الفاء. مع أن القراءة المقبولة بضم الفاء، وبدليل حادثة عبد الله بن سعد بن أبى سرح .

لكن ها هنا سؤال يطرح نفسه، وهو هل القراءات المنسوبة للرسول ﷺ ، والمخالفة للنص المشهور ليست مما بلغه الرسول ﷺ ؟

ثم هل هناك قراءات ليست منسوبة للرسول ﷺ؟

الجواب : أن جميع القراءات سواء منها المتواتر أو الآحاد أو الشاذ، مما بلغه الرسولﷺ، لكن تختلف تبعاً لدرجتها من التواتر وعدمه، حيث لا تثبت قرآنية إلا بالتواتر.

كما أن جميع القراءات تنسب إلى الرسول ﷺ؛ لأنه لا طريق لها إلا التلقي عنه ﷺ، أما قولهم قراءة ابن مسعود أو ابن عباس أو أُبَى، فيعنون بذلك أنه كان يقرأ بها، إلا أنه هو من اخترعها من عند نفسه.

أما القراءة التى ذكرها على أنها قراءة الرسول ﷺ، وهى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) بفتح الفاء فلم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، وهى قراءة ابن محيصن، وهى شاذة [١٨١].

وعليه فلا عبرة باستدلاله بها، كما أنه أخطأ فى أنها مخالفة للنص حيث أنها موافقة له حيث لم يكن معجماً أو مشكولاً، إلا إذا أراد أنها مخالفة للقراءة المتواترة.

أما حادثة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ﷺ التى يزعم فيها أنه دخل فى الإسلام قبل فتح مكة، ثم ارتد بعد وفاة النبى ﷺ، ثم احتل منصباً بارزاً فى الدولة الإسلامية على عهد عثمان ﷺ وأنه كان من كتاب الوحى للرسول ﷺ ، وأنه كان يحوله كما يريد، فكان يملى عليه مثلاً عزيز حكيم، فيقول: هل أكتب علم حكيم؟ فيقول النبى ﷺ : نعم كل صواب. فأقول :

أولاً: أخطأ جولدتسيهر فى زعمه أن عبد الله بن سعد بن أبى سرح ﷺ ارتد بعد وفاة النبى ﷺ، فإنه ارتد قبل فتح مكة بعد أن أزله الشيطان، وكان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ، وأمر النبى ﷺ أن يقتل يوم الفتح ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة،فاستجار بعثمانﷺ ، وكان أخوه من الرضاعة فأجاره، ثم أتى به إلى النبى ﷺ فعفا عنه، وأسلم وحسن إسلامه، وكان صاحب الميمنه فى فتح مصر مع عمر وبن العاض ﷺ، وله مواقف محمودة فى الفتوح، وهو الذى افتتح أفريقية زمن عثمان ﷺ، وولاه على مصر، وكان محموداً فى

---

(١٨١) انظر اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ ٣٠٨.

ولايته، وقبضة الله ــ تعالى ــ بعد صلاة الصبح قبل أن يسلم عن يساره، فرضى الله عنه(١٨٢).

ثانياً: بالنسبة للقصة التى ذكرها عن سبب ارتداد عبد الله بن سعد بن أبى سرح ﷺ فإن الإمام الطبرى ذكرها فى تفسيره عن عكرمة قال: "قوله﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت فى مسيلمة أخى بنى عدى بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن به، ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّه﴾ نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخى بنى عامر بن لؤى كان يكتب للنبى ﷺ وكان فيما يملى عليه عزيز حكيم فيكتب غفور رحيم فيغيره ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حول فيقول: نعم سواء فرجع عن الإسلام ولحق بقريش وقال لهم: لقد كان ينزل عليه عزيز حكيم فأحوله ثم أقول: لما أكتب فيقول: نعم سواء(١٨٣).

وذكرها الإمام السيوطى قال: "وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى خلف الأعمش قال: كان ابن أبى سرح يكتب للنبى ﷺ الوحى فأتى أهل مكة فقالوا يا ابن أبى سرح كيف كتبت لابن أبى كبشة القرآن قال: كنت أكتب شئت فأنزل الله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً ﴾ وأخرج ابن أبى حاتم عن السدى فى قوله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت فى عبد الله بن سعد بن أبى سرح القرشى أسلم وكان يكتب للنبىﷺ فكان إذا أملى عليه "سميعا عليما" كتب (علمياً حكيماً) وإذا قال "عليماً حكيماً" كتب (سميعاً عليماً) فشك وكفر وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلى" (١٨٤).

وقال : "وأخرج بن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة فى قوله﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ قال: نزلت فى مسيلمه فيما كان يسجع بنكهن به ومن ﴿قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ قال نزلت فى عبد الله سعد بن أبى سرح كان يكتب للنبى ﷺ فكان يملى "عزيز حكيم" فيكتب (غفور رحيم) فيغيره ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حول فيقول: نعم سواء فرجع عن

---

(١٨٢) انظر الإصابة فى تمييز الصحابة – ترجمة رقم [٤٧١٤] ج ٤ صـ ١٠٩ ، ١١٠.

(١٨٣) جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) ج٧ صـ ٢٧٣.

(١٨٤)الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج٣ صـ٣١٧.

الإسلام ولحق بقريش" (١٨٥).

لكن هذه الروايات كلها مرسلة رواها تابعون، وليس من رواتها صحابى شهد هذه الواقعة، فهى ضعيفة لا يحتج بها.

أضف إلى ذلك أن هناك من المفسرين من يرى، أن سبب ارتداد عبد الله بن سعد بن أبى سرح، هو أنه كان يكتب للنبى ﷺ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾، حتى بلغ ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾، فجرى على لسانه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، فقال له النبى ﷺ : هكذا نزلت فشك وقال: إن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى كما أوحى إليه، وإن كان كاذباً فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة(١٨٦).

وأيما كان الأمر فى سبب ارتداد عبد الله بن سعد بن أبى سرح ﷺ، فقد وردت قصة أخرى شبيهة بما ذكره جولدتسيهر من سبب ارتداد ابن أبى سرح ﷺ ، روى الإمام أحمد عن أنس ﷺ أن : "رجلاً كان يكتب لرسول الله ﷺ فإذا أملى عليه سميعاً يقول: كتبت سميعاً بصيراً قال: دعه وإذا أملى عليه عليماً حكيماً كتب عليماً حليماً قال حماد: نحوذا قال: وكان قد قرأ البقرة وآل عمران وكان من قرأهما قد قرأ قرآنا كثيراً فذهب فتنصر فقال: لقد كنت أكتب لمحمد ما شئت فيقول: دعه فمات فدفن فنبذته الأرض مرتين أو ثلاثاً قال أبو طلحة: ولقد رأيته منبوذاً فوق الأرض" (١٨٧).

يلاحظ من هذه القصة، وقصة عبد الله بن سعد بن أبى سرح ﷺ ، إن صحت، أنه لا يوجد فيهما ما يدل على إباحة النبى ﷺ لأحدهما الحرية فى كتابة النص القرآنى أو كتابته بمعناه، وإلا لأباحها لغيرهما، كما أن هذه التغييرات التى أحدثوها لم تصل إلى درجة الاعتماد

---

(١٨٥)السابق ج٣ صـ٣١٧،٣١٨.

(١٨٦)انظر فى ذلك تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفى) للإمام النسفى ج١ صـ٤٤٨، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) للإمام القرطبى ج٧ صـ٤٠، والتفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (تفسير الرازى) للإمام الرازى ج١٣ صـ٦٩.

(١٨٧)مسند الإمام أحمد بن حنبل- مسند أنس بن مالك ﷺ - حديث رقم [١٣٥٩٨] ج٣ صـ٢٤٥ .

والحديث أخرجه الإمام الطيالس فى مسنده- ما أسند أنس بن مالك الإنصارى ﷺ - ثابت البنانى عن أنس بن مالك ﷺ- حديث رقم [٢٠٢٠] ج١ صـ٢٧٠.

والإمام عبد بن حميد فى مسنده - أنس بن مالك- حديث رقم [١٣٥٤] ج١ صـ٤٠٠.

وإسناده صحيح.

النهائى، وإلا لأمر النبى ﷺ بتغييرها عند جميع الكتاب، وعدم مسح النبى ﷺ لما كتباه قد يكون من باب الأدب مع الله ــ تعالى ــ ، كما فعل على ﷺ يــوم صــلح الحديبيــة ، روى الإمــام البخارى عن البراء بن عازب –رضى الله عنهما– قال : "لمــا صــالح رســول الله ﷺ أهــل الحديبية كتب على بينهم كتاباً فكتب محمد رسول ﷺ فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله لو كنت رسولاً نقاتلك فقال لعلى: امحه فقال على: ما أنا بالذى أمحاه فمحاه رسول الله ﷺ بيده وصالحهم على أن يدخل هو وأصحابه ثلاثة أيام ولا يدخلوها إلا بجلبان السلاح فســألوه مــا جلبان السلاح؟ فقال: القراب بما فيه" (١٨٨).

لكن الذى أرجحه، والذى يظهر من السياق ، أن النبى ﷺأقرهما على صــنيعهما هــذا، كنوع من الامتحان والاختبار لهما، وقد صدق ظنه ﷺ إذ ارتد كلاهما عن الإسلام، والدليل على ذلك أنه لم يرد فى القراءات المتواترة اختلاف بين القراء فى آية من القرآن، فيقرؤها بعضهم مثلاً سميع عليم ، ويقرؤها البعض الآخر عليم حكيم والباقون غفور رحيم.

وبعد فقد بطل ما استدل به جولدتسيهر على زعمة، وإذا بطل الدليل لزم عنه بطلان المدلول.

ثالثاً: **مناقشة ما ذكره من أمثله عامة على زعمه**:

١ـالمثال الأول: قوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة : ٤٨).

يرى فيها قراءة أخرى؛ سببها الحرية فى قراءة النص القرآنى، وهــى (نســمه عــن نسمه) بدل نفس عن نفس.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى (نفس عن نفس).

٢ـالمثال الثانى:ـ قوله تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨)

يرى فيها قراءة أخرى؛ سببها الحرية فى قراءة النص القرآنى، وهى (فاقطعوا إيمانهما)

---

(١٨٨) صحيح البخارى– كتاب الصلح– باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لــم ينسبه إلى قبيلة أو نسبة– حديث رقم [٢٥٥١] ج٢ صــ٩٥٩.

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً– نفس الكتاب والباب– حديث رقم [٢٥٥٢] ج٢ صــ٩٦١.

والإمام مسلم فى صحيحه– كتاب الجهاد والسير– باب صلح الحديبية فى الحديبية– حديث رقــم [١٧٨٣] ج٣ صــ١٤٠٩.

وأخرجه غيرهما.

بدل أيديهما.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى (فاقطعوا أيديهما).

٣ـالمثال الثالث: قوله تعالى﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ ﴾ (الرحمن : ٩)

يرى فيها قراءة أخرى؛ سببها الحرية فى قراءة النص القرآنى، وهى (وأقيموا الــوزن باللسان) بدل بالقسط.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (وأقيموا الوزن بالقسط).

٤ـالمثال الرابع: قوله تعالى﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً﴾ (مريم : ٢٦)

يرى فيها قراءة أخرى؛ سببها الحرية فى قراءة النص القرآنى، وهــى (إنــى نــذرت للرحمن صمتا) بدل صوماً.

لكن هذه القراءة الثانية التى ذكرها لم تثبت فى القراءات العشر المتواترة ، والآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى (إنى نذرت للرحمن صوماً) .

الباب الثاني

مزاعم المستشرقين حول محاولات توحيد النص القرآنى وتقييمهم لمدى نجاحها

ويحتوى على فصلين :

الفصل الأول : محاولات توحيد النص المكتوب .

الفصل الثانى : محاولات توحيد النص المقروء .

الفصل الأول

محـــاولات توحيـــد الـــنص المكتـــوب

مزاعم جولدتسيهر بهذا الخصوص:

يقول جولدتسيهر: "ليس هناك نص موحد للقرآن، ومن هنـا نسـتطيع أن نلمـح فـى صياغته المختلفة أولى مراحل التفسير. والنص المتلقى بالقبول (القراءة المشهورة)، الذى هو لذاته غير موحد فى جزئياته، يرجع إلى الكتابة التى تمت بعناية الخليفة الثالث: عثمان دفعـاً للخطر الماثل من رواية كلام الله فى مختلف الدوائر على صور متغايرة، وتداوله فى فـروض العبادة على نسق غير متفق، فهى إذاً رغبة فى التوحيد ذات حظ من القبول" (١٨٩).

فهو هنا يرى أن عثمان ﷺ قد قام بمحاولة لتوحيد النص القرآنى؛ دفعاً للخطر الماثـل من رواية كلام الله –تعالى–، وتداوله فى فروض العبادة على نسق غير متفق.

ثم يعود فيستدرك قائلاً: "بيد أن هذه الرغبة لم يصادفها التوفيق على طول الخط. فـإن النص الأصلى المفترض، الذى ينسب إلى نفسه– بمعنى أدق من الكتب السماوية فـى أديـان أخرى– أن كل كلمة منه، وكل حرف من حروفه– بالمعنى الحرفى– يمثل كلام الله الذى سجل نصه المعتمد منذ أقدم عهود الإسلام، فى مواضع كثيرة، قـراءات معتمـدة علـى الروايـات الموثوق بها تختلف اختلافاً ليس دائماً من نوع عادم الأهمية. وتجاه هذه القـراءات يسـود الميل إلى التسامح فى اختلافها، فلم تستبعد مثل تلك القراءات المختلفة لصالح نص اعتمـدت صحته وحده، كما كان منتظراً من نص إلهى إنما يمكن أن ينسب إلى نفسه حق الصدور عـن الله إذا جاء فى قالب موحد متلقى من الجميع بالقبول بل اعتمدت أصالة كل هـذه الروايـات المختلفة أى صدورها عن المصدر الإلهى جميعاً، واحدة تلو الأخرى" (١٩٠).

فهو بذلك يرى أن محاولة عثمان ﷺ لتوحيد النص القرآنى لم يصادفها التوفيق علـى طول الخط؛ والسبب فى ذلك هو وجود قراءات مختلفة للنص القرآنى منذ أقدم عهود الإسلام، وقد كان من المنتظر– من وجهة نظره– أن تستبعد مثل تلك القراءات المختلفة، ولكن الـذى حدث أنها بقيت واعتمدت على أنها صادرة عن الله ــ تعالى ــ.

ويقول فى حديثة عن الزيادات التفسيرية: "وقد رويت أمثال تلك الزيادات فى النص عن اثنين من صحابة الرسول بوجه خاص، تظهر فى قراءتيهما على وجه العموم أشد الاختلافات التى تمس محصول السور، وكلاهما من أعظم المعلمين مقاماً فى أقدم طبقة إسلامية: عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب" (١٩١).

---

(١٨٩) مذاهب التفسير الإسلامى صــ٦.

(١٩٠) السابق صــ٦،٧.

(١٩١) السابق صــ١٦.

فهو هنا يشير إلى مخالفة كل من ابن مسعود وأبى بن كعب- رضى الله عنهما- لمصحف عثمان ﷺ حتى وصل ذلك إلى محصول السور نفسها.

ويقول: "كما روى عن ابن مسعود فى الاحتجاج لصحة قراءته المخالفة للنص العثمانى، هذا التعبير العنيف "إن رجالاً لم يؤذن لهم قد تصرفوا فى القرآن من تلقاء أنفسهم". كما روى أنه قال فى زيد بن ثابت الذى يعد أبرز شهود النص القرآنى المتلقى بالقبول: "إنه كان صبيا يلعب مع الغلمان فى الوقت الذى كان هو (ابن مسعود) قد حفظ من فم الرسول بضعاً وسبعين سورة" وفى رواية أخرى "لقد أسلمت وزيد بن ثابت فى صلب رجل كافر" فكيف إذا وضعت قراءته، التى تلقاها عن المصدر الأصلى مباشرة، وراء قراءة زيد بن ثابت. ويتبين مدى الإجلال الذى اعترف به الناس إلى جانب القراءات المشهورة- للتغييرات العنيفة- فى قراءتى هذين القارئين، من الظاهرة التالية: فقد أضافت جماعة المتزمتين الدينيين- فيما بعد- إلى مآخذ مختلفة جرى الناس على إبرازها لتسويغ الثورة على الخليفة عثمان وقتله، تخطئته أيضاً فيما نسب إليه من أنه ألقى بالمصحفين اللذين كتبهما ذانك الصحابيان التقيان فى النار: وهو عمل تعسفى غير صالح" (١٩٢).

فهو هنا يرى أن ابن مسعود ﷺ لم يرض بما فعله عثمان ﷺ؛ لأنه كان يرى أنه أحق من زيد بن ثابت ﷺ بهذا الأمر، وأن هناك من عاب على الخليفة عثمان ﷺ أمره بإحراق المصحفين اللذين كتبهما ابن مسعود وأبى بن كعب- رضى الله عنهما-؛ مما كان سببا من أسباب الثورة علية وقتله.

مزاعم بلاشير بهذا الخصوص:

يقول بلاشير: "هذا ويجب أن نميز عدة المراحل فى تكوين الصحف: خلال المرحلة الأولى المشتملة على الأعوام العشرين من الدعوة الإسلامية التى قام بها محمد نفسه، لم تزل المنزلات بكاملها تودع الذاكرة، وتنقلها الألسن إلى الآذان، مما يعلل تردد الجيل الإسلامى الأول، بين نصين من شأنهما أن يكونا منطلقاً للدعوة هما (المدثر والعلق). وبقدر ما كانت المنجمات تتوالى، كانت تجعل فى مجموعات مختلفة الطول تسمى الواحدة منها سورة وهى لفظة غامضة نجدها فى بعض الآيات المكية. لا شك أن مفهوم النص المكتوب كان حاضراً فى أذهان المهتدين المكيين الأول اللذين لم يجاوز عددهم المائة إبان الهجرة سنة ٦٢٢م. ولقد أمدهم بذلك المفهوم ما كانوا يعرفونه من التوراة التى كانت بين أيدى المسيحيين واليهود فى

---

(١٩٢)السابق صـ٢٠،١٩،١٨.

المدينة، أو أناجيل نصارى نجران والحبشة الذين كانوا على علاقات تجارية بهم، ومـــع ذلـــك فإن أنصار محمد لم يشعروا مباشرة بضرورة تدوين الرسالة الجديدة. ولقد يزيد هـــذا الأمـــر غرابة، أن تلك الرسالة وهى الأولى المتلقاة فى اللغة العربية، تعلن عـــن ذاتهـــا أنهـــا آيـــة من الله" (١٩٣).

فهو هنا يرى أنه خلال المرحلة الأولى المشتملة على الأعوام العشـــرين مـــن الـــدعوة الإسلامية كان القرآن يحفظ فى الذاكرة، ولم يكن يكتب منه شئ، مع أن المسلين الأوائل كانوا يعرفون أن هناك كتباً منزلة من الله ــ تعالى ــ ، مكتوبة مع اليهود والنصارى.

ويقول: "ويبدو أن فكرة تدوين مقاطع الوحى الهامة التى نزلت فى الســـنوات الســـالفة على مواد خشنة من الجلود واللخاف، لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد فى المدينة. على أن هـــذه الحاجة إلى التدوين لم تظهر فيما يبدو إلا بين الحين والآخر، وربما كانت تنشأ عـــن تحمـــس شخصى لبعض نصوص تشتمل على أدعية أو أحكام شرعية كانوا يرونها هامة، وقـــد شـــجع النبى حماسة التدوين هذه، ولكنه لم يجعلها واجبة" (١٩٤).

فهو هنا يرى أن فكرة تدوين الوحى إنما نشأت بعد الهجرة إلى المدينة، ولكنها لم تأخذ طابعاً رسمياً، بل شخصياً، ولم تستوعب القرآن كله، بل بعض نصوص منه، وإن كان النبى ﷺ قد شجع تدوين النص القرآنى إلا أنه لم يجعله واجباً.

ويقول: "أما المرحلة الثانية فتبتدئ مع وفاة النبى وقد وجد الخليفة الأول أبو بكر نفسه أمام عالم هائج وعليه أن يقوم بدور كبير من قمع لارتداد خطير إلى الوثنية شرقى الجزيـــرة، ومن فتح يباشر به على الحدود السورية الفلسطينية سقط فيـــه مؤمنـــوا الســـاعة الأولـــى. واستولى الاضطراب على بعض العقول بشأن حفظ الكلام المنزل، وأخذت الفكرة تزداد إلحاحـــاً فى تكوين مصحف يضم المجموعات الفردية. وكانت المبادرة من الخليفة نفسه، ولكن الـــنص الذى جمع وفقاً لمبادرته بقى ذا طابع شخصى، ولا يبدو أنه فاق بنفوذه أيا من النصوص التى حققها غيره من صحابه النبى" (١٩٥).

فهو هنا يرى أن جمع أبى بكرـ رضي الله عنه ـ للقرآن كان خشية لضياعة، ولكن المصـــحف الـــذى جمعه كان شخصياً، شأنه شأن المصاحف التى جمعها الصحابة –رضى الله عنهم– لأنفسهم.

---

(١٩٣) القرآن نزوله، تدوينه، ترجمة وتأثيره صـــ٢٧، ٢٨.

(١٩٤) السابق صـــ٢٨،٢٩.

(١٩٥) السابق صـــ٣٠.

ويقول: "وقد تمت خطوة حاسمة بعد عشرين عاماً إذ أقبلوا فى عهد الخليفة الثالث: عثمان بن عفان (٦٤٤- ٦٥٦) على جمع نص جديد أقيم على أساس أوسع، ومن وجه ما أشمل حصراً. كان المنطلق مصحف أبى بكر، فضموا إليه مقطوعات مبعثرة أو محفوظة غيباً فقط، وتم أخيراً إخراج مصحف رسمى قصد الخليفة إحلاله محل جميع المصاحف الخاصة. على أن هذه الرغبة فى إحلال نص ثابت ظهرت بتدبير كاد يكون هتكاً للقدسيات وهو إتلاف جميع المصاحف التى سجل عليها الأتقياء الموحيات التى جمعت على لسان محمد نفسه وفى حياته"[١٩٦].

فهو هنا يرى أن جمع عثمان ﷺ للقرآن، كان بإضافة مقطوعات مبعثرة أو محفوظة غيباً إلى ما جمعه أبو بكر ﷺ، وأنه قام بإخراج مصحف رسمى، لكنه قام بإحراق جميع المصاحف التى سجل عليها الصحابة –رضى الله عنهم– الموحيات التى جمعت على لسان محمد ﷺ نفسه وفى حياته، وهذا فيه هتك للقدسيات.

لكنه يرى أن جمع عثمان ﷺ الأمة على مصحف واحد، لم يزل الاختلافات التى كانت موجودة بين القراء فيقول: "ومع ذلك فإن مصحف عثمان بقى غير مكتمل فى جوانب كثيرة منه فإن النمط الخطى الذى استعمله الناسخون لم يزل بدائياً، ثم إن استنساخ المصاحف الخمسة الأساسية الموجودة فى العواصم الإسلامية يثير مسألة خطيرة. فالحدث الهام أن التدوين لم يعف من حفظ النص غيباً. وبذلك ظلت الاختلافات النطقية والصرفية قائمة تظهر فى اللهجات المحلية. وإن فئة ذات أهمية بالغة –هى فئة القراء– وجدت وسط الأمة، وهم أشخاص معتبرون إما لمهمتهم الدينية وإما لنفوذهم الشخصى بحيث عظم شأنهم فى المدن الإسلامية وخاصة فى مكة والمدينة والكوفة والبصرة ودمشق" [١٩٧].

ويقول: "وقد تضخمت أهمية مسألة توحيد المصحف فى سنة ٦٦١م، لدى مقتل الخليفة الرابع على بن أبى طالب صهر محمد وابن عمه، فإن الاجتهادات المتعلقة بشرعية الخلافة التى أحدثت حركة انشقاق الشيعة، قد أثارت انفعالات دينية على تعديل نصوص قرآنية قديمة كالنص الذى ينسب إلى ابن مسعود، خادم النبى، وهو نص يختلف فى عدم نقاط عن مصحف عثمان، وقد بقى ما يشهد على وجوده فى الكوفة حتى القرن العاشر" [١٩٨].

فهو هنا يرى أن مسألة توحيد المصحف قد تضخمت بعد مقتل على بن طالب ﷺ، وما تبع ذلك من نزاعات على الخلافة؛ أدت إلى ظهور فرق كالشيعة؛ مما نشأ عنه تعديل نصوص قرآنية قديمة، وهو بهذا يشير إلى النصوص التى جمعها الصحابة لأنفسهم، ويمثل على ذلك

---

(١٩٦) السابق صـ٣٠، ٣١.

(١٩٧) السابق صـ٣١.

(١٩٨) السابق صـ٣٢،٣١.

بالمصحف الذى ينسب إلى ابن مسعود ﷺ، والذى يختلف فـى عـدة نقـاط عـن مصـحف عثمانﷺ، ويرى أنه المصحف الوحيد الذى بقى، حيث أن هناك ما يشير إلـى وجـوده فـى الكوفة حتى القرن العاشر.

ثم يقول بعد ذلك: "فى هذه الفترة يمكننا أن نحدد بداية المرحلة الثالثة والأخيـرة مـن تاريخ المصحف فإن ظهور الأمويين- وتحول عاصمة الخليفة السياسية إلى دمشـق والـدور الذى اتخذته الأوساط العراقية وغدا يزداد أهمية فى الحياة الروحية والفكرية للعالم الإسلامى، كل ذلك أدى إلى أن تتخذ من النص الذى تلقته الأمة مواقف ما تزال تدرك جرأتها" (١٩٩).

ثم يفسر هذه المواقف بقوله: "ففى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مـروان (٦٨٥-٧٠٥) وبناءً على رغبة الحجاج بن يوسف، والى العراق القدير، بذلت الجهود لإخراج الكتاب المقدس بكتابة متجانسة. وبفضل بعض التحسينات التى أدخلت على الخـط ولا سـيما علـى الحركات، اكتسبت تهجئة المصحف زيادة فى الدقة. ويبدو أن جهوداً قد بذلت فى الوقت ذاته، لإتلاف جميع النسخ المصطبغة بالتأثيرات الشيعية، على أنهم لم يتوصلوا إلى ذلك تماماً؛ لأنه كما قلنا بقيت نسخة منها حتى القرن العاشر" (٢٠٠).

فهو بذلك يرى أن هناك تعديل قد أدخل على المصحف العثمانى، فى خلافة عبد الملك بن مروان، بناءً على رغبة الحجاج بن يوسف، ثم يبين أن هذا التعديل كان على الخط، بإدخـال بعض التحسينات عليه ولا سيما على الحركات، فالظاهر من كلامه أن هذا التعديل اقتصر على ما سبق، أى أنه لم يحدث تعديل فى النص نفسه.

لكنه مع ذلك يقول فى موضع آخر: "وبخلاف ذلك فإن مقارنة أقدم المصاحف تميل إلى التأكيد بالرغم من جميع المقاومات التى سلف ذكرها، أن المظهر العام الذى اتخـذه مصـحف عثمان كان مطابقاً من زمن مبكر (قد يكون منذ تعديل عبد الملك له) للمصحف الـذى يقـره العالم الإسلامى كله حالياً" (٢٠١).

إذن فهو يرى أن التعديل الذى قام به عبد الملك بن مروان، يزيد على مجـرد إدخـال التحسينات على الخط، وإلا لما كان هناك فرق بينه وبين مصحف عثمانﷺ، لكنه لم يصـرح بذلك، وأيما كان الأمر فإنه يرى أن هناك تعديل قد أدخل على المصحف العثمانى، فى خلافـة

---

(١٩٩) السابق صـ٣٢.

(٢٠٠) السابق نفس الصفحة.

(٢٠١) السابق صـ٣١.

عبد الملك بن مروان، بناءً على رغبة الحجاج بن يوسف والى العراق.

مزاعم آرثرجفرى بهذا الخصوص:

يقول آرثرجفرى فى عرضه لبعض نتائج أبحاث المستشرقين- تحت عنوان لما قبض النبىﷺ لم يكن فى أيدى قومه كتاب- : "قيل إن النبى ﷺ كان كلما نزلت عليه أية أمر بكتابتها وكان يعرض على جبريل مرة فى كل سنة ما كتب من الوحى فى تلك السنة وعرضه عليه مرتين سنة موته، وهكذا جمع القرآن كله فى حياة النبىﷺ فى صحف وأوراق وكان مرتباً كما هو الآن فى سوره وآياته إلا أنه كان فى صحف لا فى مصحف، وهذا الرأى لا يقبله المستشرقون لأنه يخالف ما جاء فى أحاديث أخرى أنه قبض ﷺ ولم يجمع القرآن فى شئ، وهذا يطابق ما روى من خوف عمر بن الخطاب وأبى بكر الصديق لما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة وقالا: "إن القتل استحر فى قراء القرآن ونخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، ويتبين من هذا أن سبب الخوف هو قتل القراء الذين كانوا قد حفظوا القرآن، ولو كان القرآن قد جمع وكتب لما كانت هناك علة لخوفهما، وفضلاً عن ذلك لا يوافقون على أن ترتيب نص القرآن كما هو اليوم فى أيدينا من عمل النبى ﷺ" [٢٠٢].

فهو هنا يرى -مثل بلاشير- أن القرآن لم يكن مكتمل الكتابة فى عهد النبىﷺ، وإنما كان هناك بعض آيات منه مكتوبة عند بعض الصحابة- رضى الله عنهم-.

ويقول - تحت عنوان اختلاف مصاحف الصحابة-: "روى أن غير واحد من الصحابة جمع القرآن فى مصحف ومنهم على بن أبى طالب، وأبى بن كعب، وسالم مولى أبى حذيفة، وعبد الله بن مسعود، وأبو موسى الشعرى، وعبد الله بن الزبير، وأبو زيد، ومعاذ بن جبل، وغيرهم. وزعم بعض الكتبة أن المراد بالجمع فى هذا الحديث الحفظ، ولكن لا نوافق على قولهم هذا لأن علياً حمل ما جمعه على ظهر ناقته، وجاء به إلى الصحابة، وسمى الناس ما جمعه أبو موسى "لباب النقول" وحرق عثمان ما جمعه أُبَى، وأَبى عبد الله بن مسعود أن يقدم ما جمع من القرآن إلى عامل عثمان بالعراق، ويلزم على هذا أن ما جمعوه كان مخطوطاً فى مصاحف. وكان كل مصحف من هذه المصاحف مصحفاً خاصاً بصاحبه جمع فيه ما عثر عليه من السور والآيات، أما المصحف الذى كتبه زيد بن ثابت لأبى بكر الصديق فكان أيضاً فى نظر المستشرقين مصحفاً خاصاً لا رسمياً كما زعم بعضهم. وكانت هذه المصاحف يختلف بعضها عن بعض لأن كل نسخة منها اشتملت على ما جمعه صاحبها وما جمعه واحد لم يتفق حرفياً

---

(٢٠٢) مقدمة كتاب المصاحف صـ٥.

مع ما جمعه الآخرون " [٢٠٣].

فهو هنا يرى –مثل بلاشير– أنه كان هناك مصاحف لدى جماعة من الصحابة، يختلف بعضها عن بعض، وأن المصحف الذى جمع فى عهد أبى بكر ﷺ، كان كهذه المصاحف شخصياً لا رسمياً.

ويقول –تحت عنوان أخذ مصاحف بعض الصحابة مقاماً يعتد به فى الأمصار–: "لما نشأت الأمصار الإسلامية بعد فتح الشام والعراق كان كل فريق من الناس يحتاج إلى نسخة من القرآن الذى هو أصل دينهم وحكمهم وعاداتهم الاجتماعية فاتفق أهل الكوفة على مصحف ابن مسعود، وأهل البصرة على مصحف أبى موسى الأشعرى، وأهل دمشق على مصحف المقداد بن الأسود، وأهل الشام على مصحف أبى بن كعب، وكانت هذه المصاحف يخالف بعضها بعضاً، ولما اجتمع أهل العراق وأهل الشام ليغزو فُرج أذربيجان كانوا يتنازعون فى القراءات حتى أنكر بعضهم على بعض ما كان يقرؤه من غير مصحفة زاعماً أنه ليس من القرآن، فنشأ عن ذلك الجدل والنزاع، وكان كل هذا من تمسك كل منهم بالمصحف المقروء فى مصره [٢٠٤].

فهو هنا يرى أن مصاحف الصحابة–رضى الله عنهم–، كان لكل منها مقام فى مصر من الأمصار، وأن تمسك أهل كل مصر بمصحف صحابى ما مع اختلاف مصاحفهم؛ أدى إلى وقوع الاختلاف بينهم إذا اجتمعوا مع بعضهم البعض.

ويقول –تحت عنوان جمع عثمان الناس على حرف واحد–: "روى أن حذيفة بن اليمان كان مع الجنود فى فتح أذربيجان وسمع ما كان بين الناس من الجدل والنزاع فى قراءاتهم فركب إلى عثمان بن عفان وقال: "يا أمير المؤمنين أدرك هذا القوم قبل أن يختلفوا فى القرآن اختلاف اليهود والنصارى"، فوقف عثمان بين الناس وقال: "من بيده شئ من كتاب الله فليأت به"، فأتوا بما عندهم على عسب وأكتاف وأوراق وصحف وما عدا ذلك، وأرسل إلى زيد بن ثابت وأعد له رهطاً من أهل قريش وأمرهم أن يجمعوا القرآن فى مصحف، فجمعوا القرآن من الصحف ومن شقق مخطوطة ومن صدور الناس، وكانوا لا يتقبلون شيئاً إلا إذا شهد له شاهدان، وقيل إن عثمان أرسل إلى حفصة أن ترسل إليه الصحف التى نسخها زيد بن ثابت بأمر أبى بكر الصديق فكانت هذه الصحف مصدر نص مصحف عثمان الجديد، ولما فرغوا من جمع هذا المصحف وكتابته جعلوه مصحفاً رسمياً، وبعث عثمان بنسخ منه إلى الأمصار، وأمر

---

(٢٠٣) السابق صـ٦،٥.

(٢٠٤) السابق صـ٦.

بإحراق ما عداها من صحف أو مصاحف، وزعم بعض العلماء أن عثمان إنما أخذ من حفصة النص الرسمى الذى كتبه زيد بن ثابت لأبى بكر ونسخ هذا النص الرسمى بلغة قريش لأن العرب كانوا يقرؤن القرآن بلغات مختلفة، وقال آخرون إن عثمان إنما أتم ما ابتدأ به عمر بن الخطاب من جمع القرآن، ونحن نرتاب ونشك فى هذين الرأيين لأن ما أدى إليه بحثنا فى أحاديث جمع القرآن هو أن اختلاف مصاحف الأمصار كان سبباً فى أن عثمان أمر زيد بن ثابت بتأليف ما فى أيدى أهل المدينة من القرآن لا على أن يكون هذا الجمع والتأليف مصحفاً لأهل المدينة كما كانت نسخة ابن مسعود مصحفاً لأهل الكوفة ونسخة أبى موسى مصحفاً لأهل البصرة بل جمعه ليكون المصحف الرسمى لجميع أمصار الإسلام" [٢٠٥].

فهو هنا يرى أن عثمان ﷺ قام بجمع الناس على حرف واحد؛ نظراً للاختلاف الذى وقع بين الناس؛ مما أدى بهم إلى الجدال والنزاع، وأنه قام بتأليف مصحف جديد مما فى أيدى الناس فى المدينة من قرآن، بالإضافة إلى ما جمعه زيد بن ثابت ﷺ لأبى بكرﷺ، ثم جعله مصحفاً رسمياً، وبعث به إلى جميع الأمصار؛ ليحل محل مصاحف الصحابة –رضى الله عنهم– هناك.

الرد

بعد أن بينت فيما سبق آراء المستشرقين فى مراحل توحيد النص القرآنى المكتوب –حسب زعمهم–، وإن كنت أعتقدها مراحل حفظ النص المكتوب وليس توحيده، أبدأ مستعيناً بالله –تعالى– فى الرد عليهم، وسيكون ذلك ببيان هذه المراحل، فإذا وضح الحق فيها انكشف الباطل، كما قيل: "وبضدها تتميز الأشياء".

أولاً: جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ :

وسيكون الحديث عن ذلك من ناحيتين:

الأولى: جمع القرآن بمعنى حفظه واستظهاره فى عهد النبى ﷺ.

الثانية: جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه فى عهد النبى ﷺ.

---

(٢٠٥) السابق صــ٧.

(١): **جمع القرآن بمعنى حفظه واستظهاره فى عهد النبى ﷺ :**

كان النبى ﷺ ينزل عليه جبريل- علية السلام- بالوحى فى أوقات متعددة، وكــان ﷺ يخاف من أن ينساه بعد ذهاب جبريل- عليه السلام- عنه، فكان يحرك لسانه وشفتيه لأجــل ذلك، فتكفل الله -تعالى- بحفظ كتابة فى صدر نبيه ﷺ، ويدل على ذلك الحــديث الــذى رواه الإمام البخارى عن ابن عباس- رضى الله عنهما- فى قوله -تعالى- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: "كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحى وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه وكان يعرف منه فأنزل الله الآية التى فى لا أقسم بيوم القيامة ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ فإن علينا أن نجمعه فى صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ قال: إن علينا أن نبينه بلسانك قال: وكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قــرأه كمــا وعــده الله"(٢٠٦).

ثم كان النبى ﷺ بعد ذلك يبلغ هذا القرآن لأصحابه- رضى الله عنهم- ويعلمهم كيفية قراءته على الأحرف السبعة التى نزل بها، وكان الصحابة- رضى الله عنهم- بــدورهم يبلــغ بعضهم بعضاً، وكانوا يتسابقون فى حفظه واستظهاره، وكان النبى ﷺ يزكى فيهم هذه الروح، ويرغبهم فى حفظة، ويحثهم على ذلك فى كثير من أحاديثه منها:

---

(٢٠٦) صحيح البخارى- كتاب فضائل القرآن- باب الترتيل فى القراءة وقوله -تعالى- ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ وقوله ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ وما يكره أن يهذ كهذ الشعر (يفرق) يفصل قال ابن عبــاس ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ فصلناه- حديث رقم [٤٧٥٧] ج٤ صــ١٩٢٤ .

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه -باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول اللهﷺ وقــول الله جل ذكره ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ - حديث رقم [٥] ج١ صــ٦، وكتاب التفسير- باب تفسير سورة القيامة- حديث رقــم [٤٦٤٣]، [٤٦٤٤]ج٤ صـــ١٨٧٦، وحــديث رقــم [٤٦٤٥] ج٤ صــ١٨٧٧، وكتاب التوحيد- باب قول الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ وفعل النبىﷺ حين ينزل عليه الــوحى وقال أبو هريرة عن النبى ﷺ : قال الله تعالى: "أنا مع عبدى حيث ذكرنى وتحركت بى شــفتاه" - حــديث رقم [٧٠٨٦] ج٦ صــ٢٧١٦.

والإمام مسلم فى صحيحه- كتاب الصلاة- باب الاستماع للقراءة- حديث رقم [٤٤٨] ج١ صــ٣٣٠ وأخرجه غيرهما .

١-ما رواه الإمام البخارى عن السيدة عائشة- رضى الله عنها- عن النبى ﷺ قال: "مثل الذى يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة ومثل الذى يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران" (٢٠٧).

٢-ما رواه الإمام البخارى عن عثمان رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه قال سعد بن عبيده: وأقرأ أبو عبد الرحمن السلمى فى إمرة عثمان حتى كان الحجاج قال: وذاك الذى أقعدنى مقعدى هذا" (٢٠٨).

٣-ما رواه الإمام ابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى دار الدنيا فإن منزلتك عند آخر أية كنت تقرؤها" (٢٠٩).

---

(٢٠٧) صحيح البخارى- كتاب التفسير- باب تفسير سورة عبس- حديث رقم [٤٦٥٣] ج٤ صـ١٨٨٢.
والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب فضل الماهر بالقرآن والذى يتتعتع فيه- حديث رقم [٧٩٨] ج١ صـ٥٤٩.
وأخرجه غيرهما.

(٢٠٨) صحيح البخارى- كتاب فضائل القرآن- باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه- حديث رقم [٤٧٤٠] ج٤ صـ١٩١٩.
والحديث أخرجه غيره .

(٢٠٩) صحيح ابن حبان- كتاب الرقائق- باب قراءة القرآن- حديث رقم [٧٦٦] ج٣ صـ٤٣.
والحديث أخرجه الإمام الترمذى فى سننه- كتاب فضائل القرآن عن رسول اللهﷺ - باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر- حديث رقم [٢٩١٤] ج٥ صـ١٧٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح.
والإمام النسائى فى السنن الكبرى- كتاب فضائل القرآن- الترتيل- حديث رقم [٨٠٥٦] ج٥ صـ٢٢.
والإمام أبو داود فى سننه- كتاب الصلاة- باب استحباب الترتيل فى القراءة- حديث رقم [١٤٦٤] ج٢ صـ٧٢.
والإمام ابن ماجة فى سننه- كتاب الأدب- باب ثواب القرآن- حديث رقم [٣٧٨٠] ج٢ صـ١٢٤٢.
والإمام أحمد فى مسنده- مسند عبد الله بن عمرو بن العاص- رضى الله عنهما- حديث رقم [٦٧٩٩] ج٢ صـ١٩٢، ومسند أبى هريرةرضي الله عنه - حديث رقم [١٠٠٨٩] ج٢ صـ٤٧١، ومسند أبى سعيد الخدرىرضي الله عنه -حديث رقم [١١٣٧٨] ج٣ صـ٤٠.
والحاكم فى المستدرك- كتاب فضائل القرآن- أخبار فى فضائل القرآن جملة- حديث رقم [٢٠٣٠] ج١ صـ٧٣٩.
والإمام البيهيقى فى سننه- كتاب الحيض- باب كيف قراءة المصلى- حديث رقم [٢٢٥٣] ج٢ صـ٥٣.
والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفة- كتاب فضائل القرآن- من قال لصاحب القرآن أقرأ واراقه- حديث رقم [٣٠٠٥]، [٣٠٠٥٦]، [٣٠٠٥٧]. ج٦ صـ١٣١.
والإمام أبو يعلى فى مسنده- من مسند أبى سعيد الخدرى- حديث رقم [١٠٩٤] ج٢ صـ٣٤٦، وحديث رقم [١٣٣٨] ج٢ صـ٤٩٥.

٤-ما رواه الإمام الترمذى عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حــرف ولام حرف وميم حرف". وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه" (٢١٠).

كما أنه ﷺ كأن يأمرهم بالمداومة على القرآن وتعاهده، ويحذرهم من نسيانه، ويدل على ذلك ما رواه الإمام البخارى عن أبى موسى ﷺ عن النبى ﷺ قال: " تعاهدوا القــرآن فوالــذى نفسى بيده لهو أشد تفصياً من الإبل من عقالها" (٢١١).

ولم يكتف النبى ﷺ بمجرد إبلاغ القرآن أصحابه، حضر من حضر وغاب من غاب، على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب، بل إنه ﷺ كان يعرض القرآن على أصحابه زيادةً فى تعلــيمهم، وتواضعاً منهﷺ، ويدل على ذلك ما رواه الإمام البخارى عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبىﷺ لأُبى: "إن الله أمرنى أن أقرأ عليك ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ قال: وسمانى؟ قال: نعم فبكى"(٢١٢).

وكان الصحابة-رضى الله عنهم- لشدة حرصهم على حفظ القرآن، وزيادةً فى الاستيثاق مما حفظوا، يعرضونه على رسول اللهﷺ ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد عــن زيــد بــن ثابتﷺ قال: "لما قدم النبىﷺ المدينة قال زيد: ذهب بى أبى إلى النبىﷺ فأعجب بى فقالوا: يا رسول الله هذا غلام من بنى النجار معه مما أنزل عليك بضعة عشرة ســورة فأعجــب ذلــك النبىﷺ وقال: يا زيد تعلم لى كتاب يهود فإنى والله ما آمن يهود على كتابى قال زيد: فتعلمت

(٢١٠) سنن الترمذى- كتاب فضائل القرآن عن رسول الله ﷺ- باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما لــه من الأجر- حديث رقم [٢٩١٠] ج٥ صــ١٧٥.
والحديث أخرجه الإمام عبد الرزاق فى مصنفه- كتاب فضائل القرآن- باب تعليم القرآن وفضله- حــديث رقم [٥٩٩٣] ج٣ صــ٣٦٧.
والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفة- كتاب فضائل القرآن- ثواب من قرأ حــروف القــرآن- حــديث رقــم [٢٩٩٣٢] ج٦ صــ١١٨.
والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير- حديث رقم [٨٦٤٧]، [٨٦٤٨]، [٨٦٤٩]، ج٩ صــ١٣٠.

(٢١١) صحيح البخارى-كتاب فضائل القرآن-باب استذكار القرآن وتعاهده-حديث رقم [٤٧٤٤]ج٤صــ١٩٢١ .
والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه- كتاب صلاة المسافرين وقصرها- باب الأمر بتعهــد القــرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها -حديث رقم [٧٩٠] ج١ صــ٥٤٤، وحديث رقــم [٧٩١] ج١ صــ٥٤٥.
وأخرجه غيرهما.

(٢١٢) صحيح البخارى- كتاب فضائل الصحابة - باب مناقب أبى بن كعــب ﷺ - حــديث رقــم [٣٥٩٨] ج٣ صــ١٣٨٥.
والحديث سبق تخريجه

كتابهم ما مرت بى خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليـــه وأجيـــب عنه إذا كتب" [٢١٣].

بل كان النبى ﷺ أحياناً يأمرهم أن يقرؤوا عليه، ويدل على ذلك ما رواه الإمام البخارى عن عبد الله ﷺ قال: قال لى النبىﷺ: "اقرأ علىَّ قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإنى أحب أن اسمعه من غيرى فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ قال: أمسك فإذا عيناه تذرفان" [٢١٤].

وبالإضافة إلى ما سبق فإن النبى ﷺ كان حريصاً أشد الحرص على تعليم القـــرآن مـــن دخل فى الإسلام حديثاً، سواء كان داخل المدينة أو خارجها، فبالنسبة لمن كان يأتى مسلماً إلى المدينة فإن النبى ﷺ كان يقوم بتعليمه بنفسه، إن لم يكن مشغولاً، وإلا دفعه إلى من يعلمـــه، ويدل على ذلك ما رواه الحاكم عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ شغل فـــإذا قدم الرجل وقد أسلم على يد رسول اللهﷺ دفعه إلى رجل منا ليعلمه القرآن فدفع إلىَّ رســـول اللهﷺ رجلاً كان معى فى البيت وكنت أقرأته القرآن فرأى أن لى عليه حقاً فأهدى إلىَّ قوساً ما

(٢١٣) مسند الإمام أحمد – حديث أبى ذرﷺ – حديث رقم [٢١٦٥٨] ، [٢١٦٥٩] ج٥ صـــ١٨٦.
والحديث أخرجه الإمام الترمذى فى سننه – كتاب الاستئذان عن رسول الله ﷺ – باب ما جاء فـــى تعلـــيم السريانية – حديث رقم [٢٧١٥] ج٥ صـــ ٦٧ وقال: حسن صحيح .
والحاكم فى المستدرك – كتاب الإيمان– حديث رقم [٢٥٢] ج١ صـــ١٤٧ وقال : قد استشهدوا جميعاً بعبد الرحمن بن أبى الزناد وهذا حديث صحيح ولا أعرف فى الرخصة لتعلم كتابة أهـــل الكتـــاب غيـــر هـــذا الحديث.
والإمام البيهقى فى سننه الكبرى–كتاب الفرائض– باب ترجيح قول زيد بن ثابت على قـــول غيـــره مـــن الصحابة–رضى الله عنهم أجمعين –فى علم الفرائض– حديث رقم [١١٩٧٥] ج٦ صـــ٢١١، وحديث رقم [٢٠١٩٤] ج١٠ صـــ ١٢٧ .
والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير –حديث رقم [٤٨٥٧] ج٥ صـــــ ١٣٣، وحـــديث رقـــم [٤٨٦٣] ج٥ صـــ١٣٥.

(٢١٤) صحيح البخارى– كتاب التفسير– باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً﴾ –حديث رقم [٤٣٠٦] ج٤ صـــ١٦٧٣.
والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضا فى صحيحه– كتاب فضائل القرآن– باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره– حديث رقم [٤٧٦٢] ج٤ صـــ١٩٢٥، وباب قول المقرئ للقارئ حسبك– حديث رقم [٤٧٦٣] ج٤ صـــ١٩٢٥، وباب البكاء عند قراءة القران – حديث رقم [٤٧٦٨] ، [٤٧٦٩] ج٤ صـــ١٩٢٧.
والإمام مسلم فى صحيحه –كتاب صلاة المسافرين وقصرها– باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر – حديث رقم [٨٠٠] ج١ صـــ٥٥١.
وأخرجه غيرهما.

رأيت أجود منها ولا أحسن منها عطافاً فأتيت رسول اللهﷺ فقلت: ما ترى يا رسول الله فيها؟ فقال: جمرة بكتفيك تقلدتها أو تعلقتها". هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٢١٥) .

قال الحافظ الذهبى: صحيح رواه أبو المغيرة الخولانى (٢١٦).

أما من لم يستطع القدوم فإنهﷺ كان يرسل من الصحابة من يعلمهم القرآن يدل على ذلك:

١- ما رواه الإمام البخارى عن البراء بن عازب-رضى الله عنهما- قال: "أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين من أصحاب النبى ﷺ ثم قدم النبى ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم برسل الله ﷺ حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ فما قدم حتى قرأت سبح اسم ربك الأعلى فى سور من المفصل" (٢١٧).

٢- ما رواه الحاكم عن أبى موسىﷺ "أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً وأبا موسى إلى اليمن وأمرهما أن يعلما الناس القرآن". هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه(٢١٨).

قال الحافظ الذهبى: على شرطهما(٢١٩).

ومما يدل على مكانة القرآن فى نفوس أصحاب رسول الله ﷺ أن من النساء من كن يجدن قرة أعينهن، فى أن يكون مهر إحداهن سورة من القرآن يعملها إياها زوجها، ويدل على ذلك ما رواه الإمام البخارى عن سهل بن سعد ﷺ قال: "أتت النبى ﷺ امرأة فقالت إنها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ﷺ فقال: مالى فى النساء من حاجة فقال رجل: زوجنيها قال:

---

(٢١٥)المستدرك على الصحيحين- كتاب معرفة الصحابة- رضى الله تعالى عنهم- ذكر مناقب عبادة الصامت ﷺ -حديث رقم[٥٥٢٧] ج٣ صـ٤٠١.

والحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده- حديث عبادة بن الصامت ﷺ حديث رقم [٢٢٨١٨] ج٥ صـ٣٢٤.

والإمام الطبرانى فى مسند الشاميين- عبادة عن حنادة بن أبى أمية الأزدى - حديث رقم [٢٢٣٧] ج٣ صـ٢٧٠، ٢٧١.

(٢١٦)تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج ٣ صـ ٨٩.

(٢١٧) صحيح البخارى- كتاب فضائل الصحابة- باب مقدم النبىﷺ وأصحابه المدينة- حديث رقم [٣٧١٠] ج٣ صـ١٤٢٨.

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه- كتاب التفسير- باب تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى- حديث رقم [٤٦٥٧] ج٤ صـ١٨٨٦.

وأخرجه غيره.

(٢١٨) المستدرك على الصحيحين -كتاب فضائل القرآن- ذكر فضائل سور وآى متفرقة- حديث رقم [٢٠٨٤] ج١ صـ٧٥٦.

(٢١٩)تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج ١ صـ ٥٦٧.

أعطها ثوباً قال: لا أجد قال: أعطها ولو خاتما من حديد فاعتل له فقال: ما معك من القرآن؟ قال: كذا وكذا قال: فقد زوجتكها بما معك من القرآن" [٢٢٠]

كما أن الصحابة – رضى الله عنهم – كانوا يتركون لذة النوم؛ من أجل القيام وقراءة القرآن، حتى كان من يمر ببيوتهم ليلاً يسمع دوياً كدوى النحل ،بل إن الملائكة كانت تنزل أحياناً لتستمع إلى بعضهم، روى الإمام البخارى عن أسيد بن حضيرﷺ "أنه بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت وسكنت الفرس ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه فلما أجتره رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها فلما أصبح حدث النبى ﷺ فقال: أقرأ يا بن حضير أقرأ يا بن حضير قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً فرفعت رأسى فانصرفت إليه فرفعت رأسى إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فخرجت حتى لا أراها قال: وترى ما ذاك؟ قال: لا أدرى قال: تلك الملائكة دنت لصوتك ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم". قال بن الهاد: وحدثنى هذا الحديث عبد الله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى عن أسيد بن الحضير [٢٢١].

يتضح مما سبق أن حفاظ القرآن من الصحابة كانوا لا يحصون عدداً ، سواء منهم من

---

(٢٢٠)صحيح البخارى –كتاب فضائل القرآن–باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه–حديث رقم[٤٧٤١]ج٤ صـ١٩١٩.
والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضا فى صحيحه– كتاب الوكالة– باب وكالة المرأة الإمام فى النكاح– حديث رقم [٢١٨٦] ج٢ صـ٨١١، وكتاب فضائل القرآن– باب القراءة عن ظهر قلب– حديث رقم [٤٧٤٢] ج٤ صـ١٩٢٠، وكتاب النكاح– باب تزويج المعسر لقوله تعالى﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾– حديث رقم [٤٧٩٩] ج٥ صـ١٩٥٦، وباب النظر إلى المرأة قبل التزويج –حديث رقم [٤٨٣٣]ج٥ صـ١٩٦٩، وباب السلطان ولى لقول النبىﷺ زوجناكها بما معك من القرآن– حديث رقم [٤٨٤٢]ج٥ صـ١٩٧٣، وباب إذا قال الخاطب للولى زوجنى فلانة فقال قد زوجتك كذا وكذا جاز النكاح وإن لم يقل للزوج أرضيت أو قبلت– حديث رقم [٤٨٤٧] ج٥ صـ١٩٧٥، وباب التزويج على القرآن وبغير صداق– حديث رقم [٤٨٥٤] ج٥ صـ١٩٧٧، وكتاب اللباس– باب خاتم الحديد– حديث رقم [٥٥٣٣] ج٥ صـ٢٢٠٤.
والإمام مسلم فى صحيحه–كتاب النكاح– باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد وغير ذلك من قليل وكثير واستحباب كونه خمسمائه درهم لمن لا يجحف به–حديث رقم[١٤٢٥]ج٢صـ١٠٤٠، ١٠٤١.
وأخرجه غيرهما.

(٢٢١)صحيح البخارى –كتاب فضائل القرآن– باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن – حديث رقم[٤٧٣٠]ج ٤ صـ١٩١٦.
والحديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها– باب نزول السكينة لقراءة القرآن – حديث رقم [٧٩٦] ج١ صـ٥٤٨.
وأخرجه غيرهما.

يحفظه كله أو بعضه ، وأنه لا يوجد مسلم منهم إلا ويحفظ منه شيئاً، يقول الشيخ الزنجـــانى: "وكثر عدد الحفظة فى عهد رسول الله ﷺ ، وقتل فى عهده ﷺ فى بئر معونة مـــن الصـــحابة سبعين من القراء قال الكرمانى كما فى الإتقان: فى الصحيح أن الذين قتلوا فى غــزوة بئـــر معونة من الصحابة – وكان يقال لهم القراء- كانوا سبعين رجلاً. وفى كثير من الأحاديـــث أن أبا بكر ﷺ حفظ القرآن فى حياة رسول اللهﷺ .وقد ذكر أبو عبيدة فى (كتاب القراءات) القراء من أصحاب النبى ﷺ فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة ، وطلحة ،وسعداً، وابـــن مســـعود ، وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة ،وعبد الله بن السائب،والعبادلة،وعائشة ،وحفصة ،وأم ســـلمة ، ومن الأنصار :عبادة بن الصامت ،ومعاذ الذى يكنى أبا حليمة ،ومجمع بن جارية ،وفضالة بن عبيد،ومسلمة بن مخلد. وصرح أن بعض هؤلاء كمل القرآن بعد النبى ﷺ وعد ابن أبـــى داود منهم تميماً الدارى ،وعقبة بن عامر ، أخرج ابن سعد فى الطبقات: أنبأنا الفضل بـــن دكـــين، حدثنا الوليد بن عبد الله بن جميع ، قال حدثتنى جدتى عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث ، وكان رسول اللهﷺ يزورها ويسميها الشهيدة ،وكانت قد جمعت القرآن ، وكان رسول اللهﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها" (٢٢٢).

لكن قد يرد على ذلك إشكال ، وهو الحديث الذى رواه الإمام البخارى عن قتـــادة عـــن أنس ﷺ قال: "جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الأنصار أُبى ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتى" (٢٢٣).

وخطورة ما روى عن أنس ﷺ أنه قد تعلق به بعض الملاحدة لإنكار تواتر القرآن كما سيأتى.

وقبل الرد على ذلك ، أذكر الروايات التى وردت فى هذا الشأن وهى :

١-ما رواه الإمام البخارى عن أنس بن مالك ﷺ قال: "مات النبى ﷺ ولم يجمع القرآن غيـــر أربعة أبو الدرء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال: ونحن ورثناه" (٢٢٤).

٢-ما رواه الإمام الطبرانى عن عامر الشعبى قال : "جمع القرآن على عهد رسول اللهﷺ ستة من الأنصار زيد بن ثابت وأبو زيد ومعاذ بن جبل وسعد بن عبادة وأبى بـــن كعـــب وفـــى

---

(٢٢٢) تاريخ القرآن صـــ١٨، ١٩.

(٢٢٣) صحيح البخارى -كتاب فضائل الصحابة- باب مناقب زيد ثابتﷺ -حديث رقم [٣٥٩٩] ج٣ صـــ١٣٨٦ والحديث سبق تخريجه.

(٢٢٤) صحيح البخارى-كتاب فضائل القرآن-باب القراء من أصـــحاب النبـــىﷺ -حـــديث رقـــم[٤٧١٨] ج٤ صـــ١٩١٣

والحديث سبق تخريجه

حديث زكريا وكان جارية بن مجمع بن جارية قد قرأه إلا سورة أو سورتين"(٢٢٥).

قال الحافظ ابن حجر : إسناده صحيح مع إرساله(٢٢٦).

٣- ما رواه الإمام ابن أبى شيبة عن الشعبى قال: "قراء القرآن فى عهد النبى ﷺ أبى ومعاذ وزيد وأبو زيد وأبو الدرء وسعيد بن عبيد ولم يقرأ أحد من الخلفاء من أصحاب النبى ﷺ إلا عثمان وقرأه مجمع بن جارية إلا سورة أو سورتين" (٢٢٧).

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن هناك رواية للإمام الطبرى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى أول الحديث افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس: منا أربعة من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت،ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبى عامر ،ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت ، فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم فذكرهم" (٢٢٨).

فبناءً على روايتى الإمام البخارى فإن أنساً ﷺ قد ذكر خمسة فقط قد جمعوا القرآن، ثلاثة منهم محل اتفاق ، وهم معاذ بن جبل ، وأبو زيد ، وزيد بن ثابت، والآخران: أُبى بن كعب، وأبو الدرداء -رضى الله عنهم أجمعين-.

وبناءً على قول عامر الشعبى يضاف إلى من سبق سعد بن عبادة ، وعثمان بن عفان ، وسعيد بن عبيد ،وجارية بن مجمع -إلا سورة أو سوريتين -رضى الله عنهم أجمعين-.

والإشكال فى هذا الحديث من ناحيتين:

الأولى : حصر من جمع القرآن من الصحابة فى أربعة أو خمسة، بناءً على روايتى الإمام البخارى.

الثانية: أنه إذا صح ما سبق، فهل ذلك يقدح فى تواتر القرآن أم لا ؟

فبالنسبة للأمر الأول فإن ذلك غير صحيح فى الواقع ومحال، يقول الحافظ ابن حجر: "والذى يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن فى حياة رسول اللهﷺ فقد تقدم فى المبعث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل

---

(٢٢٥) المعجم الكبير – حديث رقم [٢٠٩٢] ج٢ صـ٢٦١.

(٢٢٦)فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج٩ صـ٥٣.

(٢٢٧)مصنف ابن شيبة – كتاب فضائل القرآن- من قرأ القرآن على عهد النبى ﷺ-حديث رقم [٣٠٠٦١] ج٦ صـ١٣١.

(٢٢٨) السابق ج٩ صـ٥١.

منه إذ ذاك وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبى بكر على تلقى القرآن من النبى ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم فى الهجرة : "أنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية وقد صحح مسلم حديث يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وتقدمت الإشارة إليه وتقدم أنه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم فى مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرؤهم وتقدم عن على أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبى ﷺ وأخرج النسائى بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبىﷺ فقال: اقرأه فى شهر الحديث وأصله فى الصحيح وتقدم فى الحديث الذى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبىﷺ فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادلة ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبى ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور فى حديث أنس وعد ابن أبى داود فى كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الدارى وعقبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذاً الذى يكنى أبا حليمة ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبى ﷺ وممن جمعه أيضاً أبو موسى الإشعرى ذكره أبو عمرو الدانى وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة " [229].

ويقول الإمام النووى: "ومع هذا فقد روى غير مسلم حفظ جماعات من الصحابة فى عهد النبى ﷺ وذكر منهم المازرى خمسة عشر صحابياً وثبت فى الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن وكانت اليمامة قريباً من وفاة النبى ﷺ فهؤلاء الذين قتلوا من جامعية يؤمئذ فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها وبقى بالمدينة أو بمكة أو غيرهما ولم يذكر فى هؤلاء الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد انهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم فى الخير وحرصهم على ما دون ذلك من الطاعات وكيف نظن هذا بهم ونحن نرى أهل عصرنا حفظة منهم فى كل بلدة ألوف مع بعد رغبتهم فى الخير عن درجة الصحابة مع أن الصحابة لم يكن لهم أحكام مقررة يعتمدونها فى سفرهم وحضرهم إلا القرآن وما سمعوه من النبى ﷺ فكيف نظن بهم إهماله فكل هذا وشبهه يدل على أنه لا يصح أن يكون معنى الحديث أنه لم يكن فى نفس الأمر أحد لم

---

(229) السابق ج9 صـ 51، 52.

يجمع القرآن إلا الأربعة المذكورون" [٢٣٠] .

لكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن، ما هو الجواب على هذا الحديث وهو ثابت فى صحيح البخارى؟

قلت: قد أجاب الإمام المازرى عنه بثمانية أجوبة ذكرها الحافظ ابن حجر ثم علق عليها وهى: " أولها أنه لا مفهوم له فلا يلزم ألا يكون غيرهم جمعه. وثانيها أن المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التى نزل بها إلا أولئك . ثالثها لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك وهو قريب من الثانى . رابعها أن المراد بجمعه تلقيه من فى رسول اللهﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة . خامسها أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفى حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الأمر فى نفس الأمر كذلك أو يكون السبب فى خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره .سادسها المراد بالجمع الكتابة فلا ينفى أن يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلب وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظاً عن ظهر قلب سابعها أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه فى عهد رسول اللهﷺ إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت أخر أية منه فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين . ثامنها أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه وقد أخرج أحمد فى الزهد من طريق أبى الزاهرية أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: إن ابنى جمع القرآن فقال: اللهم غفراً إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع" [٢٣١] .

فهذه ثمانية أوجه، ذكرها الإمام المازرى فى توجيه الحديث، نقلها عنه الحافظ ابن حجر، ثم علق عليها مضيفاً وجهاً آخر قائلاً:" وفى غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط فلا ينفى ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم" [٢٣٢] .

قلت: والذى أراه صواباً -والله أعلم- ما ذكره الإمام المازرى، ونقله عنه الإمامان ابن حجر والنووى ، وذكره أستاذى الدكتور/ القصبى محمود زلط على أنه رأى لبعض العلماء ، أن الحصر هنا إضافى لا حقيقى ، لاستحالة أن يكون حقيقياً ، لما يلزم عنه من وجوب علم

---

(٢٣٠) المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووى على صحيح مسلم) ج ١٦ صـ ١٩.
(٢٣١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج ٩ صـ ٥١.
(٢٣٢) السابق نفس الجزء والصفحة.

أنس رضي الله عنه أن سواهم لم يجمعه، مع كثرة الصحابة وتفرقهم فى الأمصار، وهذا لا يتم إلا إذا كان لقى كل فرد منهم على حدة، فأخبره أنه لم يكمل جمع القرآن فى عهد النبى ﷺ" [٢٣٣] .

أما الأمر الثانى، وهو إذا افترضنا صحة الحصر وواقعيته، فهل ذلك يقدح فى تواتر القرآن كما يزعم بعض الملاحدة أو لا؟

الجواب : أن ذلك لا يقدح فى تواتر القرآن ، لأنه لم يقل أحد أن من شروط التواتر أن يحفظ القرآن جمعية جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب، بل أن يحفظوا مجموعة ، بمعنى أنه إذا حفظ هؤلاء الأربعة أو الخمسة جميعه ، وحفظ الباقون أجزاءً منه مختلفة كأن يحفظ البعض ثمنه، والبعض ثلثه، والبعض الأخر نصفه مثلاً، فإنه إذا كان هؤلاء مثلاً ألفاً حصل منهم مائة يحفظونه كله، إذا جمع حفظ بعضهم إلى بعض ، وهذا ما أجاب به الإمام المازرى فيما نقله عنه الإمامان ابن حجر والنووى، ونقله عن الإمام النووى أستاذى الدكتور/ القصبى محمود زلط[٢٣٤] .

وبعد فقد اتضح مما سبق أن النبى ﷺ قد حفظ كل ما بلغه جبريل –عليه السلام– من القرآن ، وفقاً لو عد الله –تعالى– له حين قال له ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة: ١٦–١٩)، و ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (طه:١١٤) .

وأن الصحابة –رضى الله عنهم– قد تحملوا الأمانة من رسول الله ﷺ ، فحفظوا القرآن ، ووعوه ، وتعلموه ، وعلموه ، وصلوا به آناء الليل وأطراف النهار ، وتغنوا به فى غدوهم ورواحهم وأسفارهم، وقد كانوا فى ذلك متفاوتين، فمنهم من حفظه كله من رسول الله ﷺ، ومنهم من حفظ بعضه، ومنهم من حفظ بعضه منه ﷺ، وبعضه من إخوانه المؤمنين ، ثم قاموا بنشره فى البلاد التى فتحها الله عليهم ، فرضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

(٢): **جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه فى عهد النبى ﷺ:**

---

(٢٣٣) انظر فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر ج ٩ صـ ٥٢، والمنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووى على صحيح مسلم) للإمام النووى ج١٦ صـ ١٩، ومباحث فى علوم القرآن للدكتور / القصبى محمود زلط صـ ١١٠.

(٢٣٤) انظر فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للحافظ بن حجر ج٩ صـ ٥٢ ، والمنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووى على صحيح مسلم) للإمام النووى ج ١٦ صـ ١٩،٢٠، ومباحث فى علوم القرآن للدكتور / القصبى محمود زلط صـ١١١.

إن القرآن كله كان مكتوباً زمن النبىﷺ ، وذلك خلافاً لمن زعم انه لم يكتب منه إلا القليل ويؤيد ذلك ما يلى :

١- ما رواه الإمام مسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه وحدثوا عنى ولا حرج ومن كذب على -قال همام: أحسبه قال- متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" [٢٣٥] .

فهذا الحديث يدل على أن هناك من الصحابة من كان يكتب عن رسول الله ﷺ الأحاديث مع كتابتهم للقرآن ، فأمرهم النبى ﷺ بعدم كتابة شىء سوى القرآن ؛ حتى لا يختلط بغيره ، مما يدل على أن كتابة القرآن والعناية به كانت ذات طابع رسمى لا شخصى ، بمعنى أن النبى ﷺ كان حريصاً على كتابه القرآن كله، وإلا لم يكن لأمره السابق بعدم كتابة ما سوى القرآن فائدة ، ما دام الأمر متروكاً إلى الصحابة ، إن شاؤوا كتبوا القرآن، وإن شاؤوا لم يكتبوه.

٢ - ما رواه الإمام ابن حبان عن زيد بن ثابت ﷺ قال :" كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع "[٢٣٦] .

فهذا الحديث يبين فيه زيد بن ثابت ﷺ ما كانوا يقومون به عند رسول الله ﷺ، من كتابة القرآن فى الرقاع، مما يدل على أن القرآن كان مكتوباً فى عهد النبى ﷺ، ولذلك قال الحاكم بعد ذكر هذا الحديث :" وفيه الدليل الواضح على أن القرآن إنما جمع فى عهد رسول الله ﷺ "[٢٣٧].

---

[٢٣٥] صحيح مسلم-كتاب الزهد والرقائق -باب التثبت فى الحديث وحكم كتابه العلم -حديث رقم [٣٠٠٤] ج٤ صـ ٢٢٩٨ .

والحديث سبق تخريجه.

[٢٣٦] صحيح ابن حبان -كتاب العلم-حديث رقم [١١٤]ج١ صـ ٢٣٠.

والحديث أخرجه الإمام الترمزى فى سننه -كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ- باب فى فضل الشام واليمن -حديث رقم [٣٩٥٤]ج٥ صـ ٧٣٤.

والإمام أحمد فى مسنده -حديث زيد ثابت ﷺ - حديث رقم [٢١٦٤٧] ج ٥ صـ ١٨٤.

وفى فضائل الصحابة-فضائل قوم شتى من أهل الشام-حديث رقم [١٧٢٨]ج٢ صـ ٩٠٦.

والحاكم فى المستدرك -كتاب التفسير-حديث رقم [٢٩٠٠]، [٢٩٠١] ج٢ صـ ٢٤٩، وكتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين -ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين -حديث رقم [٤٢١٧] ج ٢ صـ٦٦٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفه-كتاب الجهاد -ما ذكر فى فضل الجهاد والحث عليه -حديث رقم [١٩٤٤٨] ج٤ صـ ٢١٨،وكتاب الفضائل -ما جاء فى الشام -حديث رقم [٣٢٤٦٦] ج ٦ صـ ٤٠٩.

والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير -حديث رقم [٤٩٣٣] ج٥ صـ ٥٨

[٢٣٧] المستدرك على الصحيحين ج٢ صـ ٦٦٨.

٣ - ما رواه الحاكم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: "قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى وإلى براءة وهى من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها فى السبع الطوال فما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان : كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وهو ينزل عليه من السور ذوات العدد قال : وكان إذا نزل عليه الشىء دعا من يكتب له فيقول : ضعوا هذه فى السورة التى فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فلم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم" . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٢٣٨).

قال الحافظ الذهبى: تقدم هذا وأنه صحيح (٢٣٩).

---

(٢٣٨) السابق -كتاب التفسير -تفسير سورة التوبة-حديث رقم [٣٢٧٢] ج ٣ صـ ٣٦٠.
والحديث أخرجه الحاكم أيضاً فى المستدرك -نفس الكتاب والباب- حديث رقم [٢٨٧٥] ج٢ صـ٢٤١.
والإمام الترمذى فى سننه -كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ باب ومن سورة التوبة- حديث رقم [٣٠٨٦] ج٥ صـ ٢٧٢ وقال : حسن صحيح.
والإمام النسائى فى السنن الكبرى -كتاب فضائل القرآن -السورة التى يذكر فيها كذا -حديث رقم[٨٠٠٧]ج٥ صـ ١٠.
والإمام أبو داود فى سننه -كتاب الصلاة -باب من جهر بها (بسم الله الرحمن الرحيم)-حديث رقم [٧٨٦] ج١ صـ ٢٠٨.
والإمام أحمد فى مسنده – مسند عثمان بن عفان ﷺ – حديث رقم [٣٩٩] ج١ صـ ٥٧، وحديث رقم [٤٩٩]ج ١ صـ ٦٩ .
والإمام ابن حبان فى صحيحه -كتاب الوحى -ما كان يأمر النبى ﷺ بكتبه القرآن عند نزول الآية بعد الآية -حديث رقم [٤٣]ج١ صـ ٣٠،٣١.
والإمام البيهيقى فى سننه الكبرى – كتاب الحيض -باب الدليل على أن ما جمعته مصاحف الصحابة -رضى الله عنهم- قرآن وبسم الله الرحمن الرحيم فى فواتح السورسوى سورة براءة من جملته – حديث رقم [٢٢٠٥] ج ٢ صـ ٤٢.
والإمام الطبرانى فى المعجم الأوسط-حديث رقم [٧٦٣٨] ج٧ صـ٣٢٨.
وقد قال الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ: لكن فى المتن ما ينكر كما قال العلامة الشيخ أحمد شاكر: فيه تشكيك فى معرفة سور القرآن الثابتة بالتواتر القطعى قراءة وسماعاً وكتابة فى المصاحف، وفيه تشكيك فى إثبات البسملة فى أوئل السور كأن عثمان يثبتها برأيه وينفيها برأيه وحاشاه من ذلك، انظر تحقيق المصاحف ج١ صـ ٢٢٧، وقال الشيخ أبو إسحاق الحوينى: حديث منكر، انظر تحقيق فضائل القرآن صـ ٧٢، قلت: وما يعنينى هنا هو قوله ﷺ:"وكان إذا نزل عليه الشىء دعا من يكتب له فيقول : ضعوا هذه فى السورة التى فيها كذا وكذا"، وهذا لم يعترض عليه احد.
(٢٣٩) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج٢ صـ٢٣٠.

فالشاهد فى هذا الحديث هو قول عثمان ﷺ وكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من يكتب له، فيقول: ضعوا هذه فى السورة التى فيها كذا وكذا" فهذا دليل قاطع صريح على أن القرآن كله إنما كتب فى عهد النبى ﷺ ، ودليل أيضاً على حرص النبى ﷺ على حفظ القرآن وصيانته بكتابته فور نزوله ، مع أن الله –تعالى – قد تكفل بجمعه له فى صدره، وعدم نسيانه له حين قال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (القيامة : ١٦-١٩).

٤ – ما رواه الإمام البخارى عن البراء ﷺ قال: " لما نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ قال النبى ﷺ :ادع لى زيداً وليجىء باللوح والدواة أو الكتف والدواة ثم قال: اكتب ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ وخلف ظهر النبى ﷺ عمرو بن أم مكتوم قال : يا رسول الله فما تأمرنى فإنى رجل ضرير البصر؟ فنزلت مكانها ﴿﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ " [٢٤٠] .

فهذا الحديث يؤيد الحديث السابق ، الذى يصف فيه عثمان بن عفان ﷺ حال النبى ﷺ عند نزول القرآن عليه، فإنه عندما نزلت عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ (النساء:٩٥)، دعا كاتبه زيد بن ثابت ﷺ لكتابتها، مما يؤيد أن جميع القرآن إنما كتب فى حياة النبى ﷺ.

٥ – كثرة كتاب النبى ﷺ ، بالإضافة إلى اهتمامه ﷺ واهتمام أصحابه –رضى الله عنهم– بالقرآن الذى هو أساس هذا الدين ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر من كتاب النبى ﷺ " فقال: "وقد كتب له قبل زيد بن ثابت أبى بن كعب وهو أول من كتب له بالمدينة وأول من كتب له بمكة من قريش عبد الله بن سعد بن أبى سرح ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح وممن كتب له فى الجملة الخلفاء الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن الربيع الأسدى ومعيقيب بن أبى فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهرى وشرحبيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة وآخرين" [٢٤١].

وبعد فقد اتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن القرآن كله كان مكتوباً فى عهد النبى ﷺ.

---

(٢٤٠) صحيح البخارى –كتاب فضائل القرآن –باب كاتب النبى ﷺ– حديث رقم[٤٧٠٤] ج٤ صـ ١٩٠٩ والحديث سبق تخريجه.

(٢٤١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج ٩ صـ ٢٢.

إشارة إلى ثلاث قضايا فى غاية الأهمية:

القضية الأولى: **هل كان المكتوب من القرآن عند رسول الله ﷺ، أو كان مفرقاً بين أصحابه – رضى الله عنهم–؟، وإذا كان عند رسول اللهﷺ، فما فائدة جمع أبى بكر ﷺ القرآن؟**

الحق أن الظاهر والذى يفهم من الأحاديث السابقة : أن النبى ﷺ كان يكتب نسخة لنفسه، ففى الحديث الثالث يقول عثمان ﷺ :" وكان إذا أنزل عليه الشىء دعا به بعض من يكتب له" ، وفى الحديث الرابع عندما نزلت عليه آية ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء:٩٥) دعا زيد بن ثابت ﷺ وكان كاتبه ﷺ ، كما أن الصحابة ﷺ كان بعضهم يكتب لنفسه نسخاً، يحتفظ بها لنفسه،وربما كانوا ينسخون لإخوانهم منها ، ولهذا فقد كان زيد بن ثابت ﷺ –كما سيأتى – يطابق بين جميع النسخ؛ زيادةً فى الاستيثاق والضبط فى جمع القرآن .

القضية الثانية: **هل كان فى الآية الواحدة نسختان مختلفتان فيما بينهما تبعاً لاختلاف القراءات؟، أو بمعنى أدق إذا كان هناك قراءات متعددة تبعاً لنزول القرآن على سبعة أحرف ، فكيف كانوا يكتبون القرآن؟**

الظاهر:أنه إذا كان الرسم يحتمل القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ جميعها ؛ نظراً لخلوه من الإعجام والشكل، فإنهم كانوا يكتبون نسخة واحدة تدل على جميع القراءات ، أما إذا لم يكن يحتملها ، فقد كانوا يكتبون الآية مرتين أو أكثر حسب القراءات الثابتة فيها ، ويدل على ذلك ما سيأتى من أن عثمان ﷺ عندما نسخ المصاحف ووزعها على الأمصار، كان هناك اختلافات بين هذه المصاحف؛ للدلالة على قراءات ثابتة لا يحتملها الرسم ، كزيادة واو فى بعض القراءات، ونقصها فى البعض الأخر.

القضية الثالثة: **إذا ثبت أن جبريل –عليه السلام– كان يعارض النبى ﷺ بالقرآن كل عام مرة، وأنه عارضه فى العام الذى قبض فيه مرتين ، وأنه كان يبين له المنسوخ من الآيات ، فما مصير المكتوب المنسوخ من الآيات؟**

الظاهر: أن النبىﷺ كان يمسح ما نسخ من المكتوب عنده؛ لسهولة ذلك ، أما ما كان فى أيدى الصحابة ، فإن من علم منهم بنسخ شىء مما عنده سواء كان مكتوباً أو محفوظاً فإنه سرعان ما كان يستجيب لذلك، أما من لم يبلغه فإنه ظل محتفظاً به، لأنه تلقاه من النبى ﷺ ، وقد يكون هذا من الأسباب التى دعت إلى جمع القرآن وفقاً للعرضه الأخيرة فى زمن أبى

بكرﷺ ، ونسخ ما جمعه أبو بكر ﷺ فى زمان عثمان ﷺ.

والحق أن النبى ﷺ لم يمت حتى بلغ أصحابه جميع القرآن ، وما نسخ منه سواء من القرآن أو القراءات ، وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ، وأشهدهم على ذلك كما جاء فى حديث حجة الوداع.

ثانيا:جمع القرآن فى عهد أبى بكر رضي الله عنه :

بالنسبة لما قام به أبو بكر رضي الله عنه من جمع للقرآن ، فسأذكر ما ورد من روايات بهذا الخصوص ،ثم أتبعها بالتحليل .

الروايات الواردة بهذا الخصوص :

١- ما رواه الإمام البخارى أن زيد بن ثابت رضي الله عنه وكان ممن يكتب الوحى قال:"أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتانى فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإنى لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر: قلت لعمر : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: هو والله خير فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى ورأيت الذى رأى عمر قال زيد بن ثابت: وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل، لا نتهمك كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر: هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخرها وكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر" [٢٤٢].

٢- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن عروة بن الزبير قال:" لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شئ من كتاب الله فاكتباه"[٢٤٣] .

قال الحافظ ابن حجر رجاله ثقات مع انقطاعه[٢٤٤].

([٢٤٢]) صحيح البخارى -كتاب التفسير - باب قوله : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ من الرأفة -حديث رقم [٤٤٠٢] ج٤ صـ١٧٢٠ .

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه - كتاب فضائل القرآن - باب جمع القرآن - حديث رقم [٤٧٠١] ج٤ صـ١٩٠٧، وكتاب الأحكام - باب يستحب للكاتب أن يكون أميناً عاقلاً - حديث رقم [٦٧٦٨] ج٦ صـ٢٦٢٩.

وأخرجه غيره

([٢٤٣]) المصاحف-جمع أبى بكر الصديق رضي الله عنه القرآن فى المصاحف بعد رسول الله ﷺ-حديث رقم[٢٣]ج١ صـ١٥٧.

والحديث عزاه الإمام الهندى فى كنز العمال إلى ابن أبى داود ج٢ صـ٥٧٣ .

([٢٤٤]) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج٩ صـ١٤ .

وقال الحافظ ابن كثير:منقطع حسن[٢٤٥].

٣- ما ذكره الإمام السيوطى قال: "وقد أخرج ابن أشته فى المصاحف عن الليث بن سعد قال: أول من جمع القرآن أبو بكر وكتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت فكان لا يكتب آيه إلا بشاهدين عدل وأن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع خزيمة بن ثابت فقال اكتبوها فإن رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب وإن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده" [٢٤٦].

٤- ما ذكره الإمام السيوطى أيضاً قال: "وفى مغازى موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال: لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يذهب من القرآن طائفة فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم حتى جمع على عهد أبى بكر فى الورق فكان أبو بكر أول من جمع القرآن فى الصحف" [٢٤٧].

٥- ما ذكره الإمام السيوطى قال: "وأخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن عبيد بن عمير قال:كان عمر لا يثبت آية فى الصحف حتى يشهد رجلان فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها فقال عمر: لا أسألك عليها بيئة أبداً كذلك كان رسول الله" [٢٤٨].

وبعد فهذه خمس روايات تبين ما قام به أبو بكر﷛ من جمع القرآن ، والأصل فيها الحديث الأول (حديث الإمام البخارى) ،وما بعده من آثار وإن كانت ضعيفة إلا أنها لا تخرج عما جاء فى الحديث الأول ، ففيها شرح لمنهج الجمع الذى قام به أبو بكر﷛.

التحليل:

---

(٢٤٥) فضائل القرآن صـ٥٩.

(٢٤٦) الإتقان فى علوم القرآن ج١صـ١٦٣.

(٢٤٧) السابق ج١ صـ١٦٤.

(٢٤٨) الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ج٤ صـ٣٣٢، وقد ذكره الإمام الطبرى بإسناده ، انظر جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) ج١١ صـ٧٨.

وإسناده ضعيف من أجل سفيان بن وكيع تركه العلماء؛ لأن وراقه كان يدس له الأحاديث ويخلط الأسانيد بالمتون، ونبه إلى ذلك فلم يرجع، انظر تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ المزى - ترجمة رقم [٢٤١٨] ج٤ صـ١٠٩، وتهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر -ترجمة رقم [٢١٠]ج٤ صـ ١٠٩، وتقريب التهذيب للحافظ ابن حجر أيضاً- ترجمة رقم[٢٤٥٦] ج١ صـ٢٤٥، والجرح والتعديل للإمام ابن أبى حاتم _ ترجمة رقم [٩٩١] ج٤ صـ٢٣١،والكامل فى ضعفاء الرجال للإمام ابن عدى - ترجمة رقم [٨٤٤] ج٣ صـ٤١٧.

بينت فيما سبق أن القرآن كله كان محفوظاً مكتوباً مصاناً من التحريف والتبديل ، حتى وفاة النبى ﷺ، وأنه ﷺ لم يمت حتى بلغ الأمة جميع ما أنزل إليه، وفقاً لقوله –تعالى– ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾(المائدة:٣)

وسيكون الحديث عن الجمع الذى قام به أبو بكرﷺ فى نقاط محددة:

١- حال الأمة الإسلامية بعد وفاة النبى ﷺ وحتى طرأ ما دعا أبا بكرﷺ لجمع القرآن.

٢- بيان أسباب هذا الجمع ودوافعه.

٣- بيان مراحل الجمع .

٤- بيان مصير ما جمع .

٥- بيان رأى الصحابة _ رضى الله عنهم _ فى ذلك .

(١) حال الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وحتى طرأ ما دعا أبا بكر ﷺ لجمع القرآن.

قال ابن هشام – تحت عنوان افتتان المسلمين بعد موته– : "قال ابن إسحاق: ولما توفى رسول الله ﷺ عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة، فيما بلغنى ، تقول : لما توفى رسول الله ﷺ ارتد العرب، واشرأبت اليهودية والنصرانية، ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية، لفقد نبيهم ﷺ، حتى جمعهم الله على أبى بكر. قال ابن هشام: "حدثنى أبو عبيده وغيرة من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله ﷺ هموا بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد، فتوارى فقام سهيل بن عمرو، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم ذكر وفاة رسول الله ﷺ ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به، وظهر عتاب بن أسيد. فهذا المقام الذى أراد رسول الله ﷺ فى قوله لعمر بن الخطاب إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه" [٢٤٩].

ويعلق الحافظ ابن كثير على ذلك فيقول : "وسيأتى عما قريب إن شاء الله ذكر ما وقع بعد وفاة رسول الله ﷺ من الردة فى أحياء كثيرة من العرب، وما كان من أمر مسيلمة بن حبيب المتنبئ باليمامة ، والأسود العنسى باليمن ، وما كان من أمر الناس حتى فاءوا ورجعوا إلى الله تائبين نازعين عما كانوا فى حال ردتهم من السفاهة والجهل العظيم الذى استفزهم الشيطان به، حتى نصرهم الله وثبتهم وردهم إلى دينه الحق على يدى الخليفة أبى بكر ﷺ وأرضاه ، كما سيأتى مبسوطاً مبيناً مشروحاً إن شاء الله" [٢٥٠].

---

(٢٤٩)السيرة النبوية ج٤ صـ ٢١٨، وانظر البداية والنهاية للحافظ ابن كثير ج٥ صـ ٢٤٤.

(٢٥٠) البداية والنهاية ج٦ صـ٢٤٤، وللمزيد انظر ج٦ صـ٣٠٥ وما بعدها.

فالحاصل من ذلك أمور:

١- أن كثيراً من العرب قد ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ، ومنعوا زكاة أموالهم ، حتى ظهر النفاق فى مكة والمدينة نفسهما ، ووجد بهما من يحدث نفسه بالردة.

٢- مع كل هذا صمم أبو بكر ﷺ على تنفيذ بعث أسامة بن زيدﷺ، الذى جهزه رسول الله ﷺ لقتال الروم

٣- يلاحظ أن الإسلام لم يكن منتشراً إلا فى جزيرة العرب فقط دون غيرها من بلاد الشام والعراق.

٤- قاتل أبو بكرﷺ كل من ارتد ومنع زكاة ماله ، وقال قولته الشهيرة : "والله لـو منعـونى عقالاً كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليها" .

٥- أن هناك من الصحابة من أشار علـى أبـى بكـرﷺ بعـدم قتـالهم ، وإقـرارهم علـى منع الزكاة مؤقتاً فأبى.

ولاشك أن كل هذه الحروب قد توفى فيها كثير من أكابر الصحابة-رضوان الله عليهم-، سواء من القراء وغيرهم.

(٢)أسباب الجمع ودوافعه :

يظهر من حديث الإمام البخارى - رحمه الله - أن عمر بن الخطاب ﷺ، هو الذى أشار على أبى بكرﷺ بجمع القرآن ، وذكر السبب بقوله: "إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القـرآن إلا أن تجمعـوه ، وإنى لأرى أن تجمع القرآن".

ويوضح الحافظ ابن كثير ما حدث يومئذ فيقول: "وذلك أن مسـيلمة التـف معـه مـن المرتدين قريب من مائة ألف ، فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشـر ألفاً، فالتقوا معهم، فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الإعراب، فنادى القـراء مـن كبار الصحابة: يا خالد خلصنا؛ يقولون : ميزنا من هؤلاء الأعراب ، فتميزوا منهم وانفردوا، فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالاً شديداً ، وجعلـوا يتنـادون: يـا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم، حتى فتح الله عليه، وولى جـيش الكفـار فـاراً ، وأتبعتهم السيوف المسلمة فى أقفيتم قتلاً وأسراً؛ وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه، ثـم رجعوا إلى الإسلام. ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة – رضى الله عنهم- فلهذا أشار عمر على الصديق بأن يجمع القرآن؛ لئلا يذهب منه شئ بسبب موت من يكون يحفظـه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال ، فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظاً ، فلا فـرق بـين

حياة من بلغه أو موته. فراجعه الصديق قليلاً ليتثبت الأمر، ثم وافقه، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت فى ذلك، ثم صار إلى ما رأياه –رضى الله عنهم أجمعين– " [٢٥١].

يلاحظ مما سبق فى سبب جمع القرآن ما يلى :

١- أن السبب لم يكن ضياع شئ من القرآن بقتل من يحمله من القراء ؛ وإنما كان الخشية إن استمر الأمر على ذلك أن يذهب منه كثير بمقتل قراءه.

٢- أن القرآن كله كان موجوداً بعد موقعة اليمامة ، سواء منه المكتوب أو المقروء.

٣- أن أبا بكر ﷺ أراد جمع القرآن مكتوباً؛ لأنه أساس لحفظ كتاب الله –تعالى– مكتوباً مقروءً؛ إذ يصير ما جمع مرجعاً عند الاختلاف و التنازع فى المقروء.

(٣) مراحل الجمع.

لقد مر هذا الجمع بعدة مراحل:

المرحلة الأولى: اختيار من يقوم بهذه المهمة الجسيمة.

وقع اختيار كل من أبى بكر وعمر _ رضى الله عنهما _ على زيد بن ثابت ﷺ للقيام بهذه المهمة ؛ لعدة أمور ذكرت فى رواية الإمام البخارى السابقة: "إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه" وهى:

١- أنه شاب فهو أقدر على العمل من غيره.

٢- أنه عاقل فهو أوعى وأحفظ وأدرى به.

٣- أنه غير متهم فلا تتطرق إليه شبهة.

٤- أنه كان من كتاب الوحى لرسول الله ﷺ فيكون أكثر ممارسة له.

المرحلة الثانية: التنفيذ :

وعلى الفور قام زيد بن ثابت ﷺ بما كلف به فيقول –كما فى رواية الإمام البخارى–: "فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ إلى آخرها.

---

(٢٥١) فضائل القرآن صـ ٥٨.

ومن قوله السابق والروايات السالفة يتضح منهجه ﷺ فى الجمع، وأستطيع أن ألخصه فى عدة نقاط:

١- بما أن أمر جمع القرآن قد عرف وانتشر بين المسلمين فى ذلك الوقت ، فيجوز أن يكون قد نودى فى المسلمين، أن من كان قد تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً حفظاً أو كتابةً فليأت به ويؤيده رواية: " اقعدا على باب المسجد "، ويجوز أن يكون زيد بن ثابت ﷺ ،هو من قام بالبحث والتحرى، وسؤال المسلمين عما عندهم من قرآن، تلقوه عن رسول اللهﷺ مباشرة أو بواسطة، والأمران يحتملها قوله فى حديث الإمام البخارى "فتتبعت القرآن ... الخ " ، والذى أراه وأرجحه – والله اعلم – أن أمير المؤمنينﷺ قد نادى فى الناس آنذاك بإحضار ما تلقوه، أو أنهم أحضروه بدون أن يطلب ذلك منهم ، وأن زيداً ﷺ لم يكتف بذلك ، بل تتبع بنفسه القرآن كما سبق وأشار إلى ذلك.

٢- أنه ﷺ كان يتحرى الدقة فيما يجمعه، ولا يكتب إلا ما قامت عليه البينة بأنه من القرآن سواء كان بالإشهاد على ذلك أم بغيره، والذى أرجحه - والله أعلم- أنهﷺ كان يجمع جميع ما كتب من القرآن ، سواء فى ذلك ما كتبه هو وغيره لرسول الله ﷺ ، وما كان فى أيدى الصحابة - رضى الله عنهم-، ثم يطابق ذلك بعضه ببعض ، وبالمحفوظ كذلك، وهذا كله زيادة فى التحرى والدقة، ويتضح من ذلك أن كل آية كتبها ﷺ قد اتفق عليها جمع من الصحابة – رضوان الله عليهم – يستحيل تواطؤهم على الكذب ، ويدل على ذلك قوله : "حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع أحد غيره"، إذن فجميع القرآن سوى هاتين الآيتين وجد مع كثيرين، وبهذا يتضح أنه ﷺ لم يتفرد بهذا العمل ، بل شاركه فيه جميع المسلمون آنذاك.

٣- بعد ذلك قام ﷺ بكتابة ما جمع فى صحف كل سورة على حدة، ولا شك أنه ﷺ لم يكتب فى هذه الصحف إلا ما استقر عليه الأمر فى العرضة الأخيرة.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه ماذا كان يفعل ﷺ إذا وجد فى آية قراءتين أو أكثر من قراءة ، كلها ثابتة فى العرضة الأخيرة هل كان يكتب الآية أكثر من مرة أم لا ؟

الجواب: أن خلو كتابته – لما جمع – من النقط والشكل – سواء كان مقصوداً أم لا – كان عاملاً رئيساً فى استيعاب غالبية القراءات التى ثبت تواترها عن رسول الله ﷺ فى العرضة الأخيرة ، أما ما سوى ذلك فإنه ﷺ كان يكتبه مرتين أو أكثر.

وقفة مع قول زيد بن ثابت رضي الله عنه "حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصارى لم أجدهما مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ إلى آخرها.

وخطورة قوله هذا أنه لو كان المراد أنه لم يحفظ هاتين الآيتين غيره فإن ذلك يقدح فى تواتر القرآن.

والنفى هنا –كما يقول الحافظ ابن حجر– هو نفى كونها مكتوبة لا محفوظة، ثم ساق روايات تؤكد كونها محفوظة عند عثمان وأبى بن كعب –رضى الله عنهما– [٢٥٢].

قلت: وعندى دليلين قاطعين على أنه ﷺ لم يتفرد بهما :

١- أنه وقع فى رواية ابن أبى داود: "حتى فقدت آية كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾، فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت، فأثبتها فى سورتها"[٢٥٣].

فهذا دليل قاطع على أن زيداً ﷺ كان يعرف هذه الآية ويحفظها؛ مما يدل على أن خزيمة ﷺ قد أتى بها مكتوبة.

٢- أنه من المتفق عليه أن من الصحابة خمسة قد جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ كما سبق بيانه ، فلو لم تكن هذه الآية محفوظة لديهم لما صح ذلك ، لأنه بقى منه آيتين، كما أن خزيمة ﷺ ليس ممن جمع القرآن كله بيقين ، مما يؤدى إلى أنه لا يوجد أحد من الصحابة قد جمع القرآن كله فى عهد رسول الله ﷺ، وهذا محال وسبق بيان بطلانه.

(٤) مصير ما جمع من القرآن:

هذه الصحف –كما فى حديث الإمام البخارى– كانت عند أبى بكر ﷺ حتى توفاه الله ، ثم عند عمر ﷺ حتى توفاه الله، ثم عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر – رضى الله عنهما– حتى بعث إليها عثمان ﷺ يطلبها منها.

والسؤال الذى يطرح نفسه لماذا لم ينسخ أبو بكر ﷺ من هذه الصحف نسخاً ويفرقها بين المسلمين؟

---

(٢٥٢) أنظر فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج٩ صـ ١٥،١٦.

(٢٥٣) أنظر المصاحف –جمع أبى بكر الصديق ﷺ القرآن فى المصاحف بعد رسول الله ﷺ حديث رقم [٢٤] ج١ صـ ١٥٨ ، ١٥٩.

الجواب : أن المسلمين وقتئذ كانوا قاصرين على جزيرة العرب، ولم يكونوا آنذاك قد فتحوا الشام أو العرق، كما أنهم كانوا عرباً لم يختلطوا بغيرهم من الأعاجم ، فلسانهم مستقيم، ولغتهم العربية سليمة، وملكة الحفظ عندهم قوية ، فلم يحتاجوا إلى نسخ مما جمع من القرآن، كما أن الاعتماد كان على التلقى لا على المكتوب ، وهذا ملاحظ فى عصرنا هذا، فمن قرأ فى المصحف وحده – بعد إعجامه وشكله– بدون معلم يلقنه القرآن، فإنه لابد وأن يخطئ، فأبو بكر ﷺ أراد أن يصبح ما جمعه مرجعاً للمسلمين إذا حدث تنازع بينهم فى شىء من القرآن.

وهناك سؤال آخر يطرح نفسه ، وهو لماذا لم تنتقل الصحف إلى عثمان ﷺ بعد موت عمر ﷺ ، وإنتقلت إلى السيدة حفصه – رضى الله عنها – ؟.

الجواب :فى الحقيقة لم أقف على من تعرض لهذا الأمر ، ولعل السبب فى ذلك أن أبا بكر ﷺ عندما توفى استخلف عمر ﷺ ، أما عمر ﷺ فإنه جعل الأمر شورى فى ستة من الصحابة ، فكان هناك فاصل زمنى بين موت الخليفة عمر ﷺ ، وتولى عثمان ﷺ الخلافة ، فإنتقل ما كان عند عمر ﷺ إلى إبنته السيدة حفصه – رضى الله عنها – ، وقد كان عند عثمان ﷺ من الحياء ما يمنعه من طلب الصحف منها ، أو لعل اطمأن على سلامتها عندها.

(٥)رأى الصحابة ـرضى الله عنهمـ فى هذا الجمع.

الحق أنه لم يعترض أحد من الصحابة –رضى الله عنهم– على هذا الجمع ، ولم يصدر عن أحد منهم ما يفيد ذلك، كل ما هنالك أن أبا بكر وزيد بن ثابت –رضى الله عنهما– قد تحرجا فى أول الأمر ، خشية أن يكون فى ذلك فعل شىء لم يقم به رسول الله ﷺ ، فما زال عمر بأبى بكر، وهما بزيد بن ثابت–رضى الله عنهم – ، حتى تبين للجميع ما فيه من المصلحة ، وأن رسول الله ﷺ هو أول من سن ذلك بأمره بكتابة القرآن ، ولقد أصبح هذا الجمع من مآثر الصديق ﷺ ، ولو لم يفعل إلاه لكفاه، فقد روى الإمام ابن أبى داود عن على ﷺ قال: "أعظم الناس أجراً فى المصاحف أبو بكر ، فإنه أول من جمع بين اللوحين" (٢٥٤).

قال الحافظ بن الحجر: إسناده حسن (٢٥٥).

---

(٢٥٤) المصاحف–جمع أبى بكر ﷺ القرآن فى المصاحف بعد رسول ﷺ– حديث رقم [١٥] ج١ صـ١٥٣، ١٥٤. والحديث أخرجه الإمام ابن أبى داود أيضاً فى المصاحف –حديث رقم [١٦]، [١٧]، [١٨] ج١صـ ١٥٤، يقول محقق الكتاب : إسناده حسن .

والإمام أحمد فى فضائل الصحابة – فضائل أبى بكر الصديق –رحمة الله عليه ورضوانه – حديث رقم [٢٨٠] ج١ صـ ٢٣٠، وفضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب–حديث رقم [٥١٤] ج١ صـ ٣٥٤

(٢٥٥) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج ٩ صـ١٢.

ثالثاً: نسخ المصاحف فى عهد عثمان رضي الله عنه:

بالنسبة لما قام به عثمان ﷺ من نسخ المصاحف فسأذكر أيضاً ما ورد من روايات بهذا الخصوص، ثم أتبعها بالتحليل:

الروايات الواردة بهذا الخصوص:

١- ما رواه الإمام البخارى عن أنس بن مالك ﷺ أن: " حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان من أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق قال ابن شهاب: وأخبرنى خارجة بن زيد ثابت قال : فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول اللهﷺ يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فألحقناها فى سورتها فى المصحف"(٢٥٦).

٢- ما رواه الإمام الترمذى عن أنس ﷺ : "أن حذيفة قدم على عثمان بن عفان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فرأى حذيفة اختلافهم فى القرآن فقال لعثمان بن عفان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير أن انسخوا الصحف فى المصاحف وقال للرهط القرشيين الثلاثة: ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف بعث عثمان إلى كل أفق بمصحف من تلك المصاحف التى نسخوا قال الزهرى: وحدثنى خارجة بن زيد بن ثابت أن زيد بن ثابت قال:فقدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول

---

(٢٥٦) صحيح البخارى -كتاب فضائل القرآن -باب جمع القرآن -حديث رقم [٤٧٠٢]ج٤ صـ ١٩٠٨.
والحديث أخرجه غيره.

الله ﷺ يقرؤها ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ﴾ فالتمستها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت أو أبى خزيمة فألحقتها فى سورتها قال الزهرى فاختلفوا يومئذ فى التابوت والتابوه فقال القرشيون: التابوت وقال زيد: التابوه فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال: اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش قال الزهرى: فأخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن عبد الله بن مسعود كره لزيد بن ثابت نسخ المصاحف وقال: يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر يريد زيد بن ثابت ولذلك قال عبدالله بن مسعود: يأهل العراق اكتموا المصاحف التى عندكم وغلوها فإن الله يقول ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ فالقوا الله بالمصاحف قال الزهرى: فبلغنى أن ذلك كرهه من مقالة ابن مسعود رجال من أفاضل أصحاب النبى ﷺ ".
هذا حديث حسن صحيح(٢٥٧).

٣- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن ابن شهاب قال: "بلغنا انه كان أنزل قرآن كثير فقتل علماؤه يوم اليمامة الذين قد وعوه فلم يعلم بعدهم ولم يكتب ، فلما جمع أبو بكر وعمر وعثمان القرآن ولم يوجد مع أحد بعدهم ، وذلك فيما بلغنا حملهم على أن يتتبعوا القرآن فجمعوه فى الصحف فى خلافه أبى بكر خشية أن يقتل رجال من المسلمين فى المواطن معهم كثير من القرآن ، فيذهبوا بما معهم من القرآن ، ولا يوجد عند أحد بعدهم، فوفق الله عثمان فنسخ تلك الصحف فى المصاحف ، فبعث بها إلى الأمصار وبثها فى المسلمين"(٢٥٨).

٤- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن أبى قلابة قال: "لما كان فى خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل ، والمعلم يعلم قراءة الرجل فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، قال أيوب : لا أعلمه إلا قال : حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان فقام خطيباً فقال: أنتم عندى تختلفون؟ فمن نأى عنى من الأمصار أشد فيه اختلافاً وأشد لحناً، اجتمعوا يا أصحاب محمد، فاكتبوا للناس إماماً "(٢٥٩).

٥- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن بكير: " أن ناساً كانوا بالعراق يسأل أحدهم عن الآية،

---

(٢٥٧) سنن الترمذى -كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ -باب ومن سورة التوبة -حديث رقم [٣١٠٤] ج٥ صـ ٢٨٤،٢٨٥ .
والحديث سبق تخريجه

(٢٥٨) المصاحف -جمع عثمان -رحمة الله عليه - المصاحف -حديث رقم[٨١].ج١ صـ ٢٠٨، يقول محقق الكتاب : "إسناده صحيح إلى الزهرى ، والأثر من بلاغاته، قلت: لكن البلاغات ضعيفة.

(٢٥٩) السابق -جمع عثمان -رحمة الله عليه- المصاحف -حديث رقم [٧٤] ج١ صـ ٢٠٣، ٢٠٤، يقول محقق الكتاب : رجاله ثقات إلا أن أبا قلابة كثير الإرسال، ولم يصرح هنا بمن حدثه ، فيكون الإسناد منقطعاً.

فإذا قرأها قال: فإنى أكفر بهذه، ففشا ذلك فى الناس واختلفوا فى القرآن، فكلم عثمان بن عفان فى ذلك؛ فأمر بجمع المصاحف فأحرقها، ثم بث فى الأجناد – يعنى التى كتبت" [٢٦٠].

٦- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن مصعب بن سعد قال: "قام عثمان فخطب الناس فقال: أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون فى القرآن وتقولون : قراءة أبى وقراءة عبد الله يقول الرجل: والله ما تقيم قرءاتك، فأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شىء لما جاء به فكان الرجل يجىء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثرة ، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلاً رجلاً فناشدهم لسمعت رسول الله ﷺ وهو أملاه عليك؟ فيقول: نعم ، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتب الناس ؟ قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت، قال: فأى الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص، قال عثمان: ليمل سعيد وليكتب زيد فكتب زيد، وكتب مصاحف ففرقها فى الناس، فسمعت بعض أصحاب محمد يقول: قد أحسن" [٢٦١].

قال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح [٢٦٢].

٧- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن مصعب بن سعد قال: "سمع عثمان قراءة أبى وعبد الله ومعاذ فخطب الناس ثم قال : إنما قبض نبيكم منذ خمس عشرة سنة ، وقد اختلفتم فى القرآن ، عزمت على من عنده شىء من القرآن سمعه عن رسول الله ﷺ لما أتانى به، فجعل الرجل يأتيه باللوح والكتف والعسب فيه الكتاب ، فمن أتاه بشىء قال: أنت سمعت من رسول ﷺ؟ ثم قال: أى الناس أفصح؟ قالوا : سعيد بن العاص ، ثم قال: أى الناس أكتب؟ قالوا: زيد بن ثابت قال: فليكتب زيد وليمل سعيد قال: وكتب مصاحف فقسمها فى الأمصار، فما رأيت أحدا عاب ذلك عليه" [٢٦٣].

قال الحافظ ابن كثير : إسناده صحيح [٢٦٤].

---

(٢٦٠) السابق -جمع عثمان -رحمة الله عليه -المصاحف -حديث رقم [٨٠] ج١ صـ ٢٠٧ ، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(٢٦١) السابق -جمع عثمان -رحمة الله عليه -المصاحف -حديث رقم [٨٢] ج١ صـ ٢٠٨،٢٠٩، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح ، وإن كان أبو إسحاق السبيعى قد اختلط فإن إسرائيل سمع منه قبل الاختلاط.

(٢٦٢) فضائل القرآن صـ ٨٤.

(٢٦٣) المصاحف -جمع عثمان- رحمة الله عليه -المصاحف حديث رقم [٨٣] ج١ صـ٢٠٩، ٢١٠ يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح ، وإن كان أبو اسحاق السبيعى قد اختلط فلم يتبين بى متى كان سماع غيلان منه.

(٢٦٤) فضائل القرآن صـ ٨٤.

٨- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن كثير بن أفلح قال : "لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلاً من قريش والأنصار ، فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت قال: فبعثوا إلى الربعة التى فى بيت عمر فجيء بها، قال : وكان عثمان يتعاهدهم ، فكانوا إذا تدارؤا فى شيء أخروه ، قال محمد: قلت لكثير -وكان فيهم من يكتب - : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا ،قال محمد: فظننت ظناً ، إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الآخرة فيكتبونها على قوله" (٢٦٥).

قال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح (٢٦٦).

٩- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن سالم بن عبد الله :" أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التى كتب منها القرآن فتأبى حفصة أن تعطيه إياها ، قال سالم : فلما توفيت حفصة ورجعنا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبدالله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف فأرسل بها إليه عبدالله بن عمر ، فأمر بها مروان فشققت ، وقال مروان : إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف ، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب ، أو يقول: إنه قد كان شيء منها لم يكتب" (٢٦٧).
قال الحافظ ابن كثير: إسناد صحيح(٢٦٨).

١٠- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن محمد بن أبى : "أن ناساً من أهل العراق قدموا إليه فقالوا: إنما تحملنا إليك من العراق ، فأخرج لنا مصحف أبى، قال محمد : قد قبضه عثمان، قالوا: سبحان الله ، أخرجه لنا قال : قد قبضه عثمان"(٢٦٩).

١١- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن عقبة بن جرول الحضرى قال: "لما خرج المختار كنا هذا الحى من حضرموت أول من يسرع إليه فأتانا سويد بن غفلة الجعفى فقال: إن لكم على حقاً وإن لكم جواراً، وإن لكم قرابة ، والله لا أحدثكم إلا شيئا سمعته من المختار ، أقبلت من مكة فإنى لأسير، إذ غمزنى غامز من خلفى فإذا المختار ، فقال لى: يا شيخ ما بقى فى قلبك من حب ذلك الرجل؟ ، يعنى علياً، قلت : إنى أشهد أنى أحبه بسمعى وقلبى وبصرى ولسانى، قال : قلت : أبيت والله إلا تثبيطاً عن آل محمد وترثيثاً فى إحراق

---

(٢٦٥) المصاحف -جمع عثمان -رحمة الله عليه- المصاحف -حديث رقم [٩٨] ج١ صـ ٢١٣،٢١٤، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(٢٦٦) فضائل القرآن صـ ٨٥.

(٢٦٧) المصاحف -جمع عثمان-رحمة الله -المصاحف -حديث رقم [٨٥] ج١ صـ ٢١١، ٢١٢ ، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح.

(٢٦٨) فضائل القرآن صـ ٨٦.

(٢٦٩) المصاحف -جمع عثمان-رحمة الله عليه المصاحف -حديث رقم [٨٦] ج١ صـ ٢١٢، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح..

المصاحف–أو قال حراق هو أحدهما يشك أبو داود –فقال سويد : والله لا أحدثكم إلا شيئاً سمعته من على بن أبى طالب ، سمعته يقول : يأيها الناس ، لا تغلو فى عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً – أو قولوا له خيراً– فى المصاحف وإحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذى فعل إلا عن ملاء منا جميعاً ، فقال : ما تقولون فى هذه القراءة ؟ فقد بلغنى أن بعضهم يقول: إن قراءتى خير من قراءتك ، وهذا يكاد أن يكون كفراً ، قلنا : فما ترى ؟ قال: أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت ، قال: فقيل: أى الناس أفصح، وأى الناس أقرأ؟ قالوا : أفصح الناس سعيد بن العاص وأقرؤهم زيد بن ثابت ، فقال : ليكتب أحدهما ويمل الآخر ، ففعلا، وجمع الناس على مصحف قال: قال على : والله لو وليت لفعلت مثل الذى فعل" (270) .

قال الحافظ بن حجر: إسناده صحيح(271).

١٢- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن مصعب بن سعد قال: "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحد" (272) .

قال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح(273).

١٣- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن غنيم بن قيس المازنى قال: "قرأت القرآن على الحرفين جميعاً ، والله ما يسرنى أن عثمان لم يكتب المصحف ، وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله، قال : قلت له : يا أبا عنبر لم؟ قال: لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرأون الشعر"(274) .

١٤- ما رواه الإمام ابن أبى داود عن أبى مجلز قال : "لولا أن عثمان كتب القرآن لألقيت الناس يقرأون الشعر"(275) .

---

(270) السابق –جمع عثمان–رحمة الله عليه –المصاحف –حديث رقم [٧٦،٧٧] ج ١ صـ ٢٠٥ ، ٢٠٦، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح .

(271) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج ٩ صـ ١٨.

(272) المصاحف –باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف –حديث رقم [٤١] ج١ صـ ١٧٨، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح .

والحديث رواه الإمام البخارى فى التاريخ الكبير ج ٧ صـ ٣٥٠.

(273) فضائل القرآن صـ ٧٨.

(274) المصاحف –باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف –حديث رقم [٤٢] ج١ صـ ١٧٨ ، يقول محقق الكتاب: إسناده حسن.

(275) السابق –باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف –حديث رقم [٤٣] ج١ صـ ١٧٩، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح.

١٥- ما ورواه الإمام ابن أبى داود عن عبد الرحمن بن مهدى قال: "خصلتان لعثمان ليستا لأبى بكر ولا لعمر : صبره نفسه حتى قتل مظلوماً وجمعه الناس على المصحف "[٢٧٦] .

التحليل:

بعد أن عرضت ما سبق من روايات بشأن ما قام به عثمان ﷺ من نسخ للمصاحف، أبدأ فى الحديث عنه فى نقاط محددة:

١-الدوافع والأسباب.

٢-اختيار اللجنة.

٣-ما قامت به اللجنة.

٤-مصير ما نسخ من المصاحف وما سواه.

٥-موقف الصحابة -رضى الله عنهم- من ذلك.

(١) **الدوافع والأسباب**.

يتضح من الحديثين الأول والثانى أن حذيفة ﷺ كان فى غزوة فتح أرمينية وأذربيجان ، وأنه فى هذه الغزوة التى اجتمع فيها أهل الشام وأهل العـراق، وقـع اخـتلاف بيـنهم فـى قراءة القرآن، ويبين أبو قلابة فى الحديث الرابع أن الاختلاف وقع بين المسلمين فى المدينة، وأن سبب ذلك أن كل معلم كان يعلم تلاميذه القرآن على قراءة معينة، فـإذا التقـى الغلمـان اختلفوا، فقام فيهم عثمان ﷺ خطيباً ، وقال : أنتم عندى تختلفون ؟ فمن نأى عنى أشد اختلافا.

أما عن خطورة هذه الاختلافات فيبينها الحديث الخامس ، الذى يذكر فيه بكير أن مـن أهل العراق من كان يسأل عن الآية، فإذا قرأت له قال: إنى أكفر بهذه ، ففشا ذلك بين الناس.

فالحاصل : أنه قد وقع اختلاف بين المسلمين فى القراءة ، وصل إلـى حـد أن يقـول أحدهما لصاحبه: كفرت بما تقول ، وأن ذلك قد فشا وذاع حتى وصل خبره إلى عثمان ﷺ ، ثم رآه حذيفة ﷺ أيضاً فأفزعه ؛ مما دعاه إلى الإسراع إلى أمير المؤمنين عثمان ﷺ لإخباره.

ويلاحظ أن ذلك لم يحدث إلا بعد انتشار الإسلام ، واتساع رقعتـه ، واخـتلاط العـرب بالعجم، والذى أود أن أوضحه أنه قد حدثت اختلافات زمن النبىﷺ بين الصحابة؛ نظراً لنزول القرآن على سبعة أحرف - كما سبق بيانه - ، كما أن الاختلاف بين القراء ظل موجوداً بعـد نسخ عثمان ﷺ المصاحف.

([٢٧٦]) السابق -باب اتفاق الناس مع عثمان على جمع المصاحف -حديث رقم [٤٤] ج١ صـ ١٧٩ ، يقول محقق الكتاب: إسناده صحيح.

فالذى يظهر لى –والله أعلم– أن السبب والدافع الحقيقى ليس هو هـذه الاختلافـات ، وإنما ما يمكن أن يترتب عليها من تنازع وفتنة وقتال ؛ يؤدى إلى أن يتمسك كل جماعة بمـا فى أيديهم ، وقد يكون فيه ما نسخ، وفى الفتنة قد تمتد الأيدى الخفية فتعبث بالمصاحف التى فى أيدى المسلمين بالتحريف والزيادة والنقصان.

كل ذلك يؤدى إلى أن يصبح بين المسلمين بعد ذلك مصاحف متعددة مختلفة فيما بينها، كنسخ التوراة والأناجيل التى بأيدى كل من اليهود والنصارى.

ويدل على ذلك قول حذيفة ﷺ فى الحديثين الأول والثانى: " يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى"، فاختلافهم لم يصل بعد إلى درجة الاختلاف عند اليهود والنصارى، لكن من الجائز أن يصل إليه إن ترك هذا الأمر بدون تحـرك عاجل سريع ، خاصةً أن أهل الشام وأهل العراق لم يكن عندهم مصحف رسمى ، أو مرجـع مجمع عليه من الصحابة–رضوان الله عليهم– يمكن أن يرجعوا إليه عند التنازع ، كالصـحف التى جمعت فى عهد أبى بكر الصديق ﷺ، وذلك لأن أبا بكر ﷺ حين جمع القرآن لم تكن هذه البلاد قد فتحت بعد، ولم يحدث بين المسلمين ما يستدعى أن ينسخ مما جمع نسـخاً لتـوزع بـين المسلمين .

وهنا فكر عثمان ﷺ فى هذه المشكلة الخطيرة ، وهداه تفكيره إلى أن الحل الأمثل الذى يقضى على هذه الفتنة هو أن يكون فى كل بلد مصحف متفق عليه بين جميع المسلمين، كـى يصبح مرجعاً عند الاختلاف ، فأرسل على الفور إلى أم المؤمنين السيدة حفصة – رضـى الله عنها– يسألها أن ترسل إليه الصحف التى جمعت فى عهد أبى بكر ﷺ ؛ كى ينسخها ثم يردها إليها مرة أخرى ، فأجابت طلبه.

(٢) **اختيار اللجنة**:

يبين الحديثين السادس والسابع أن عثمان ﷺ استشار المسلمين فى اختيار من يقـوم بهذه المهمة، حيث سألهم أى الناس أفصح ؟ فأجابوا :سعيد بن العاص ، ثم سألهم أى الناس أكتب؟ فأجابوا: زيد بن ثابت ، فاختارهما على أن يكتب زيد ويمل سعيد–رضى الله عنهما.

ويبين الحديثين الأول والثانى أنه ﷺ أرسل إلى كل من : زيد بن ثابـت ، وسـعيد بـن العاص، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الرحمن بن هشام –رضى الله عنهم–، وأمرهم أن ينسخوا الصحف فى المصاحف.

ويبين الحديث الثامن أنه ﷺ جمع لهذا الأمر اثنى عشر رجلاً من قـريش والأنصـار، ومنهم أبى بن كعب ، وزيد بن ثابت – رضى الله عنهما– ، ولم يسم الراوى بقية الاثنى عشر رجلاً.

فالظاهر –والله اعلم– أنه ﷺ اختار اثنى عشر رجلاً لهذه المهمة ، ثم اختار منهم أربعة، هم المذكورون فى رواية الإمام البخارى: زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام –رضى الله عنهم– أما الروايات التى ذكرت الاثنين الأولين فقط؛ فلأن زيداً الكاتب وسعيداً الممل.

(٣)ما قامت به اللجنة:

يبين الحديثين السادس والسابع أن عثمان ﷺ نادى فى الناس أن يأتوا بما تلقوه عن رسول الله ﷺ ، وأنه كان يناشدهم رجلاً رجلاً لسمعت ذلك من رسول الله ﷺ ؟ فيقول نعم.

وتدل الأحاديث الأول، والثانى، والثامن أنه ﷺ قام بنسخ الصحف التى جمعت فى عهد أبى بكر ﷺ فى المصاحف.

فالراجح أنهم اقتصروا على نسخ الصحف فى المصاحف ، أما جمع عثمان ﷺ ما فى أيدى الناس من قرآن، فيحتمل أمرين، أو هما معاً:

الأول: أنه ﷺ أراد الزيادة فى التأكيد والتحقق والتثبت.

الثانى: أنه ﷺ أراد أن يجمع ما فى أيدى الناس؛ حتى يحرقه بعد نسخ المصاحف؛ حتى لا يكون نواة لفتنة أخرى تظهر بعد ذلك.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه هل جمع عثمان ﷺ المسلمين على حرف واحد من الأحرف السبعة ، أوعلى بعضها، أو عليها كلها ؟

الجواب : أن العلماء اختلفوا فى ذلك على ثلاثة أقوال :

الأول: أنه ﷺ جمع المسلمين على حرف واحد من الأحرف السبعة ، وهو حرف قريش، بدليل قوله للرهط القرشيين – كما سبق– " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم".

وأيضاً لأن الأحرف السبعة إنما شرعت تخفيفاً عن الأمة فى بادئ الأمر، فلما كثر الاختلاف بين المسلمين وكانوا مخيرين فيها ، رأى عثمان ومن معه من الصحابة –رضوان الله عليهم –أن يختاروا حرفاً واحداً من الأحرف السبعة ؛ ليجمعوا الأمة عليه ؛ لما فى ذلك من عظيم المصلحة.

الثانى: أنه ﷺ جمع المسلمين على جميع الأحرف السبعة .

الثالث: أنه ﷺ جمع المسلمين على بعض الأحرف السبعة ، وهو ما ثبت عن النبى ﷺ فى العرضة الأخيرة التى عرضها عليه جبريل –عليه السلام –قبل موته [٢٧٧] .

ويلاحظ عند التدقيق أن الرأيين الثانى والثالث متوافقان؛ لأن أصحاب الرأى الثانى لا يقولون بأنه جمع المسلمين على ما نسخ فى العرضة الأخيرة.

والراجح هو الرأى الثانى، والثالث لعدة أمور:

الأول : انه ما كان لعثمان ﷺ ولا لأحد من الصحابة –رضوان الله عليهم– أن يترك حرفاً من الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن ، وثبت تواترها ، ولم ينسخ ؛ لأنه جزء من القرآن لا يجوز تبديله ، ولا تغييره ، ولا محو شىء منه إلا بأمر الله تعالى ، قال تعالى ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾(يونس : ١٥،١٦).

أما تخيير الله – تعالى– للمسلمين فإنه فى القراءة بأى حرف شاءوا، لا باختيار حرف ومحو ما عداه.

الثانى : أن عثمان ﷺ ما قام إلا بنسخ المصاحف من الصحف التى جمعت فى عهد أبى بكرﷺ ، والتى جمعها على ما تواتر من الأحرف السبعة التى لم تنسخ ، وثبتت فى العرضة الأخيرة –كما سبق بيانه–.

الثالث: أن الذى يطالع فى كتب القراءات يجد العديد من اللهجات العربية فى بعض القراءات، الأمر الذى يدل دلالة واضحة على أن عثمان ﷺ لم يجمع الناس على حرف قريش فقط [٢٧٨].

---

(٢٧٧) انظر فى ذلك فتح البارى فى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر ج ٩ صـ ٣، والمنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووى على صحيح مسلم) للإمام النووى ج٦ صـ ١٠٠، والأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات للدكتور/ شعبان محمد إسماعيل صـ ٢٩ وما بعدها ، ومقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد احمد مفلح القضاة، والدكتور/ احمد خالد شكرى، والدكتور/ محمد خالد منصور صـ ٣٩ وما بعدها ، والأحرف السبعة للإمام الدانى صـ ٦٠ وما بعدها .

(٢٧٨) انظر هذه النقطة فى الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات للدكتور / شعبان محمد إسماعيل صـ ٣٤ ، وقد ذكر عدة أمثلة لذلك.

الرابع : أنه ﷺ قال: "إذا اختلفتم فى شى من القرآن فاكتبوه بلسان قريش"، ولم يقل لهم اكتبوه كله بلسان قريش ، بل فى حالة الاختلاف فقط ،ولم يؤثر عنهم اختلاف إلا فى كلمة (التابوت) كما يقول الزهرى فى الحديث الثانى ، حيث قال الرهط القرشيون: اكتبوه التابوت، وقال زيد بن ثابت: بل التابوه ، فرفعوا الأمر إلى عثمان ﷺ فقال: اكتبوه التابوت.

وهذا اختلاف فى الرسم والكتابة لا القراءة .

الخامس: أنه جاء فيما سبق من أحاديث أنه ﷺ استشار الصحابة –رضى الله عنهم– فى أن يجمع الناس على مصحف واحد، لا على حرف واحد أو قراءة واحدة، فلم يرد فيها لفظ الحرف أو القراءة ، وإنما لفظ المصحف ، مما يفيد انه ﷺ أراد جمعهم على المكتوب لا المقروء ؛ فإن العبرة فيه التلقى.

(٤)**مصير ما نسخ من المصاحف وما سواه**:

بعد أن انهى الصحابة –رضى الله عنهم– المكلفين بنسخ الصحف فى المصاحف– مهمتهم، قام عثمان ﷺ بإعادة الصحف إلى السيدة حفصة –رضى الله عنها– ، ثم بعث بنسخة مما نسخ إلى البلاد التى فتحها المسلمون آنذاك ، وقد اختلف فى عدد المصاحف التى أرسلت إلى الأقطار الإسلامية على أقوال:

١– أنها ستة: المكى، والشامى، والبصرى، والكوفى، والمدنى العام، والمدنى الخاص الذى حبسه ﷺ لنفسه ، وهو المسمى بالإمام.

٢– أنها ثمانية: خمسة متفق عليها: الكوفى، والبصرى، والشامى، والمدنى العام، والمدنى الخاص، وثلاثة مختلف فيها: المكى، ومصحف البحرين، ومصحف اليمن .

٣– أنها أربعة: العراقى، والشامى، والمصرى، والمصحف الإمام وقد ذهب إلى هذا الرأى أكثر العلماء ، كما ذكر الإمام الدانى.

وقيل : إنها خمسة، و قيل: تسعة [٢٧٩] .

وقد رجح بعض الباحثين أنها ستة فقط لعدة أمور:

([٢٧٩]) انظر المقنع فى رسم مصاحف أهل الأمصار للإمام الدانى صـ١٩، والبرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى ج١ صـ ٢٤٠ ، والإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى ج١ صـ١٧٦، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ٤٠٣،٤٠٢ ، وتاريخ القرآن للشيخ الزنجانى صـ ٤٤، ٤٥، ومباحث فى علوم القرآن للدكتور/ القصبى محمود زلط صـ١٢٧،والاختلاف بين القراءات للدكتور/ أحمد البيلى صـ ٦٧.

١- عدد القراء الذين بعثهم عثمان ﷺ لإقراء الناس يوافق هذا العدد، وهم: عبد الله بن السائب مع مصحف مكة ، والمغيرة بن أبى شهاب مع مصحف الشام ، وعامر بن عبد قيس مع مصحف البصرة ، وأبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمى مع مصحف الكوفة ، وزيد بن ثابت لإقراء أهل المدينة، والسادس جعله خاصاً به.

٢- أن مؤرخى القراءات تعرضوا لذكر ما بين مصاحف الأمصار من اختلاف بالذكر والحذف، مما لا تحتمله نسخة واحدة، وتراهم فى هذا المقام يذكرون المصاحف الستة دون غيرها.

٣- القراءات العشر ومواطنها، حيث لم تنشأ فى أى قطر سوى ما سبق قراءات كقراءة أهل مصر، أو أهل البحرين، أو أهل اليمن[٢٨٠].

أما ما كان فى أيدى المسلمين وما جمعوه من مصاحف، فيبين الحديثين الأول والخامس أنه ﷺ قد أمر بما سواه من كل مصحف أو صحيفة أن يحرق، ويفيد الحديثين العاشر والحادى عشر أنه ﷺ قام بذلك بنفسه، والجمع بينهما أنه ﷺ أمر بذلك، فمن نسبه إليه فعلى اعتبار أنه الآمر به.

ويبين الحديث العاشر أن ناساً من أهل العراق ذهبوا إلى محمد بن أبى بن كعب يسألونه عن مصحف أبيه ، فأجابهم: بأن عثمان ﷺ قد قبضه.

أما عن الصحف التى جمعت فى عهد أبى بكر ﷺ والتى نسخ منها المصاحف، فيدل حديث الإمام البخارى على أن عثمان ﷺ بعد أن فرغ من نسخ المصاحف قام برد الصحف مرة أخرى إلى السيدة حفصة ــ رضى الله عنها ــ، ويبين الحديث التاسع أن مروان بن الحكم حينما كان أميراً على المدينة كان يرسل فى طلب الصحف من أم المؤمنين حفصة ــ رضى الله عنها ــ فتأبى أن تعطيه إياها، فلما توفيت-رحمها الله-بعث إلى أخيها عبد الله بن عمر - رضى الله عنهما- بعد ما رجعوا من جنازتها يطلب منه الصحف، فلما أحضرها له أحرقها، وذلك خشيةً منه أن يخرج من يقول: إنه قد كان منها شئ لم يكتب، وقد كان بعيد النظر فى هذا الأمر؛ فلعل هذه الصحف إن طال بها الزمان أن تقع فى يد من يزيد فيها أو ينقص، فيكون ذلك باباً للفتنة، فسداً لهذا الباب قام بإحراقها؛ حيث أن ما فيها قد نسخ فى المصاحف التى وزعت على الأمصار.

(٥) موقف الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ من ذلك :

---

[٢٨٠] انظر الاختلاف بين القراءات للدكتور / احمد البيلى صـ ٦٧،٦٨،٦٩.

لقد نال ما قام به عثمان ﷺ إجماع الصحابة – رضى الله عنهم – واستحسانهم إلا عبد الله بن مسعود ﷺ، ففى الحديث الحادى عشر يقول على ﷺ : "يا أيها النـــاس لا تغلـــوا فـــى عثمان ولا تقولوا له إلا خيراً ـــ أو قولوا له خيراً ـــ فى المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذى فعل فى المصاحف إلا عن ملاء منا جميعاً، فقال: ما تقولون فى هذه القـــراءة؟، فإنه بلغنى أن بعضهم يقول: إن قراءتى خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً، قلنا فمـــا ترى؟ ، قال : أن يجمع الناس على مصحف واحد، فلا تكون فرقة ولا يكون اخـــتلاف، قلنـــا: فنعم ما رأيت" ، فهذا يدل على أنه ﷺ قد استشار الصحابة فى ذلك ولم يفعله من تلقاء نفسه.

وفى الحديث الثانى عشر يقول مصعب بن سعد: "أدركت الناس متوافرين حـــين حـــرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم ينكر ذلك منهم أحد" ، ففى ذلك إجماع ممن حضر هذا الأمر من المسلمين.

وفى الحديثين الثالث عشر والرابع عشر مدح كل من: غنيم بن قيس المـــازنى، وأبـــى مجلز ما قام به عثمان ﷺ ، معللين ذلك بأنه لولاه لانصرف الناس عن القرآن إلى الشعر.

وفى الحديث الخامس عشر يقول عبد الرحمن بن مهدى :" خصلتان لعثمان بن عفـــان ﷺ ليست لأبى بكر وعمر ـــ رضى الله عنهما ـــ صبره نفسه حتى قتل مظلوماً، وجمعه الناس على المصحف، كما أنه لم يرد عن أحد من الصحابة ـــ رضى الله عنهم ـــ اعتراض على ذلك إلا ما روى عن ابن مسعود ﷺ.

موقف عبد الله بن مسعود ﷺ من ذلك :

يبين الحديث الثانى أن عبد الله بن مسعود ﷺ كره تولية زيد بن ثابـــت ﷺ فـــى نســـخ المصاحف، وقال :"يا معشر المسلمين، أعزل عن نسخ كتابة المصاحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفى صلب رجل كافر".

وروى أيضا عنه أحاديث تفيد أموراً ثلاثة :

١ – غله لمصحفه .

٢– أمره بغل المصاحف .

٣ – كراهية تولية زيد ﷺ وعدم توليته فى نسخ المصاحف.

وتعليل ذلك بأمور :

١ – أنه أسلم وزيد بن ثابت لم يولد بعد .

٢ – أنه أخذ من فم رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، وزيد مازال صبيا يلعب مع الغلمان [٢٨١] .

وللرد على ذلك أقول:

أولاً : لم يعترض عبد الله بن مسعود ﷺ على نسخ المصاحف فى حد ذاته، وإنما كان اعتراضه على عدم توليته وتولية زيد بن ثابت ﷺ، وقد كان يرى أنه أحق بذلك منه.

ثانياً : لم يتفرد زيد ﷺ بهذا العمل ، بل شاركه فيه غيره من الصحابة، كما سبق بيانه.

ثالثاً : أن اختيار زيد ﷺ كان بمشاورة المسلمين وإجماعهم، وان عثمان ﷺ لم يختره ، وإنما سألهم : أى الناس أقرأ ؟ ، فاختاروه، كما سبق بيانه.

رابعاً : أن تقدم إسلام ابن مسعود ﷺ وأخذه القرآن من رسول الله ﷺ مباشرة، لا يلزم عنه بالضرورة أن يكون أقرأ من زيد بن ثابت ﷺ أو أعلم منه بالقرآن.

خامساً : أن ابن مسعود ﷺ كان فى ذلك الوقت بالكوفة فى مهمة رسمية، فكان العذر لعثمانﷺ فى عدم توليته فى هذا الأمر، لاستعجاله نظرا لخطورة الموقف[٢٨٢].

سادساً: أنه جاء فى الحديث الثانى ما يفيد أن ناس من أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم ــ قد كرهوا مقالة ابن مسعود ﷺ كما يقول الزهرى، مما يدل على أن موقفه هذا كان موقفاً فردياً خاصاً به مستنكراً من باقى الصحابة –رضى الله عنهم–.

سابعاً: أنه كان لابد من اختيار زيد بن ثابت ﷺ للقيام بهذه المهمة؛ لأنه هو الذى قام بجمع الصحف فى عهد أبى بكر ﷺ، وكانت هذه الصحف المرجع الأساس للمصاحف التى نسخت منها، فهو أدرى الناس بها.

ثامناً: أنه لم يؤثر عن ابن مسعود ﷺ اعتراض على أبى بكر وعمر ــ رضى الله عنهما ــ فى توليته عند جمع القرآن أول مرة، ولذلك قيل: فهلا اعترض على أبى بكر وعمر.

تاسعاً: أنه روى أن ابن مسعود ﷺ قد رجع عن قوله هذا ، بل وهدأ الغاضبين لأجله[٢٨٣] .

وأيما كان الأمر فإن موقف ابن مسعود ﷺ لا يقدح فى نسخ المصاحف الذى حظى

([٢٨١]) انظر المصاحف للإمام ابن أبى داود ج١ صـ ١٨٤ وما بعدها .

([٢٨٢]) انظر هذه النقطة فى فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ج ٩ صـ١٩.

([٢٨٣]) انظر مباحث فى علوم القرآن للدكتور/ القصبى محمود زلط صـ ١٢٦، ١٢٧، والمصاحف لابن أبى داود باب رضاء عبد الله بن مسعود بجمع عثمان ﷺ المصاحف – حديث رقم [٦٦] جـ١ صـ ١٩٣، وفضائل القرآن لابن كثير صـ ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣.

بإجماع الصحابة والمسلمين كافة، ويتضح من ذلك أيضاً أن ابن مسعود ﷺ لم يذكر ما نسبه إليه جولدتسيهر من قوله : " إن رجالاً لم يؤذن لهم قد تصرفوا فى القرآن من تلقاء أنفسهم".

إشارة إلى ثلاث قضايا فى غاية الأهمية:

القضية الأولى: ما أثر عن ابن مسعود وأبى بن كعب ــ رضى الله عنهما ــ من : عدم كتابة الأول المعوذتين والفاتحة فى مصحفه (٢٨٤).

وإضافة الثانى هذا الدعاء فى مصحفه "اللهم إنا نستعين ونستهديك ونستغفرك، ونتوب إليك وتؤمن بك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله نشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق" (٢٨٥).

بالنسبة لما ذكر عن أبى بن كعب ﷺ فإن هذا الدعاء لم تثبت قرآنيته، ولم ينقل نقلاً متواتراً، بل غاية الأمر أنه ﷺ أثبته فى مصحفه، وقد سبق فى الفصل الثانى من الباب الأول بيان أن الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ كانوا يكتبون أشياء أخرى مع القرآن فى مصاحفهم من تفسير وخلافه، يقول الإمام ابن قتيبة :" وإلى نحو هذا ذهب أبى فى دعاء القنوت، لأنه رأى رسول الله ﷺ يدعو به فى الصلاة دعاءً دائماً، فظن أنه من القرآن وأقام على ظنه، ومخالفة الصحابة" (٢٨٦) .

وعلى من يزعم أن هذا الدعاء قرآن الإتيان بالدليل على ذلك، كما أن أبياً ﷺ كان حاضراً وقت جمع القرآن فى عهد أبى بكر ﷺ ، ووقت نسخ المصاحف فى عهد عثمان ﷺ، فلو ثبتت قرآنية هذا الدعاء عنده لنقل إلينا حتى خلافه مع الصحابة فى ذلك.

أما بالنسبة لما أثر عن ابن مسعود ﷺ من عدم كتابة الفاتحة فى مصحفه، فلا يحتاج إلى رد؛ لأن ثبوت قرآنيتها أمر مقطوع به، وقد شكك الإمام ابن قتيبة فيما روى عن ابن مسعود ﷺ فى ذلك فقال: " وأما فاتحة الكتاب فإنى أشك فيما روى عن عبد الله من تركه إثباتها فى مصحفه، فإن كان هذا محفوظاً فليس يجوز لمسلم أن يظن به الجهل بأنها من القرآن، وكيف يظن به ذلك وهو من أشد الصحابة عناية بالقرآن، وأحد الستة الذين انتهى

---

(٢٨٤) انظر الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى ج١ صـ ١٧٦.

(٢٨٥) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ ٢٦٤.

(٢٨٦) تأويل مشكل القرآن صـ ٤٧.

إليهم العلم، والنبى ﷺ يقول : " من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه قراءة ابـــن أم عبد". وعمر يقول فيه: " كنيف ملئ علماً". وهو مع هذا متقدم الإسلام بدرى لم يــزل يســمع رسول الله ﷺ يؤم بها، وقال: " لا صلاة إلا بسورة الحمد" وهى السبع الثمانى، وأم الكتاب، أى أعظمه، وأقدم ما نزل منه، كما سميت مكة أم القرى، لأنها أقدمها، قال الله عز وجــل ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ ولكنه ذهب، فيما يظن أهل النظر، إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان والزيادة والنقصان، ورأى ذلك لا يجوز على سورة الحمد لقصرها، ولأنها تثنى فى كل صلاة وكل ركعة، ولأنه لا يجوز لأحد من المسلمين ترك تعلمهــا وحفظها، كما يجوز ترك تعلم غيرها وحفظه، إذ كانت لا صلاة إلا بها. فلما أمن عليها العلــة التى من أجلها كتب المصحف، ترك كتابتها وهو يعلم أنها من القرآن، ولو أن رجلاً كتب فــى المصحف سوراً وترك سوراً لم يكتبها، لم نر عليه فى ذلك وكفاً إن شاء الله تعالى" [٢٨٧] .

إذن فإن ثبت ذلك عن ابن مسعود ﷺ فليس حجة؛ إذ لا يلزم من عدم كتابته لهــا عــدم قطعه بقرآنيتها.

أما ما أثر عنه من عدم كتابته المعوذتين فى مصحفه، فقد ذهب جمع من العلماء إلــى القول ببطلانه ، يقول الإمام ابن حزم: "كل ما روى عن ابن مســعود ﷺ أن المعــوذتين وأم القرآن لم تكن فى مصحفه فكذب موضوع لا يصح وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتان"[٢٨٨].

ويقول الإمام النووى : "أجمع المسلمون أن المعوذتين والفتاحة وسائر السور المكتوبة فى المصحف قرآن وأن من جحد شيئاً منه كفر وما نقل عــن ابــن مســعود فــى الفاتحــة والمعوذتين باطل ليس بصحيح"[٢٨٩].

وقد صحح الحافظ ابن حجر ما روى عن ابن مسعود ﷺ فى ذلك ، ورد على من ذهــب إلى بطلانه [٢٩٠].

وقد رد بعض الباحثين على ذلك بأنه يحتمل أنه لم يسمعهما من النبى ﷺ ، ولم يتواترا

([٢٨٧]) السابق صـــ ٤٩،٤٨،٤٧.

([٢٨٨]) المحلى ج١ صـــ ١٣ .

([٢٨٩]) المجموع شرح المهذب ج٣ صـــ ٣٥٠.

([٢٩٠]) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـــ ٢٧٦، ومباحــث فــى علــوم القــرآن للدكتور/ القصبى محمود زلط صـــ ١٣٠، وانظر أصل قول الحافظ ابن حجر فى فتح البارى فــى شــرح البخارى ج٨ صـــ٧٤٢، ٧٤٣.

عنده، فتوقف فى أمرهما، وإنما لم ينكر ذلك عليه، لأنه كان بصدد البحث والنظر، والواجب عليه التثبت فى الأمر [٢٩١] .

ويقول الإمام ابن قتيبة :" إن عبد الله ذهب فيما يرى أهل النظر إلى أن" المعوذتين" كانتا للعوذة والرقية وغيرهما، كما كان يعوذ بأعوذ بكلمات الله التامة، وغير ذلك فظن أنهما ليستا من القرآن، وأقام على ظنه ومخالفة الصحابة جميعاً" [٢٩٢] .

وما حمل هؤلاء على التوفيق أن قراءة عاصم عن زرعة عن ابن مسعود ثبت فيها المعوذتان والفاتحة، وهى صحيحة، ونقلها عن ابن مسعود صحيح [٢٩٣].

فالحاصل هنا أمران :

١ – عدم كتابة المعوذتين فى مصحفه وقوله إنهما ليست من كتاب الله[٢٩٤].

٢ – قراءته لهما.

إذن فلابد من الجمع بين الأمرين، فالظاهر – والله أعلم– : أنه ﷺ قد أنكرهما فى أول الأمر لما ذكره الإمام ابن قتيبة من أنه رأى النبى ﷺ يعوذ بهما فظن أنهما ليستا من القرآن، ثم لما ثبتتا لديه قرأ بهما.

ويدل على ذلك ما يلى :

١ – ما رواه الإمام أحمد عن زر قال: "قلت لأبى : إن أخاك يحكهما من المصحف فلم ينكر قيل لسفيان بن مسعود ، قال : نعم وليسا فى مصحف بن مسعود كان يرى رسول الله ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين ولم يسمعه يقرؤهما فى شئ من صلاته فظن أنهما عوذتان وأصر على ظنه وتحقق الباقون كونهما من القرآن فأودعوهما إياه" [٢٩٥] .

٢ –ما رواه الإمام الطبرانى عن علقمة عن عبد الله ﷺ : "أنه كان يحك المعوذتين من

([٢٩١]) مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزقانىج١ صـ ٢٧٦.

([٢٩٢]) تأويل مشكل القرآن صـ ٤٣.

([٢٩٣]) انظر المحلى للإمام ابن حزم ج١ صـ١٣، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ ٢٧٥ ، ومباحث فى علوم القرآن للدكتور/ القصبى محمود زلط صـ ١٣٠.

([٢٩٤]) انظر صحيح ابن حبان للإمام ابن حبان كتاب الحدود-باب الزنى وحده-حديث رقم [٤٤٢٩] ج١٠ صـ٢٧٤ .

والمعجم الكبير للإمام الطبرانى-حديث رقم [٩١٤٨]، [٩١٤٩] ج٩ صـ ٢٣٤، وحديث رقم [٩١٥٠] ج٩ صـ٢٣٥ .

ومصنف ابن أبى شيبة للإمام ابن أبى شيبة-كتاب فضائل القرآن- فى المعوذتين -حديث رقم [٣٠٢٠٥] ج٦ صـ ١٤٦.

([٢٩٥]) مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ مسند البصريين ـ رضى الله عنهم ـ حديث زر بن حبيش عن أبى بن كعب ـ حديث رقم [٢١٢٢٧] ج٥ صـ ١٢٩.

وإسناده صحيح.

المصاحف ويقول إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ولم يكن يقرأ بهما" [٢٩٦].

٢ – ما رواه الإمام البخارى عن زر بن حبيش ؓ قال: "سألت أبى بن كعب عن المعوذتين فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: قيل لى فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ" [٢٩٧] .

٣ – ما رواه الحاكم عن عقبة بن عامر ؓ : "أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين قال : فأمنا بهما رسول الله ﷺ فى صلاة الفجر". هذا حديث صحيح عن شرط الشيخين ولم يخرجاه[٢٩٨] .

---

(٢٩٦) المعجم الكبير – حديث رقم [٩١٥٢] ج٩ صـ ٢٣٥.

والحديث رجاله ثقات ماعدا حسان بن إبراهيم قال الإمام الكرمانى: سمعت الإمام أحمد بن حنبل يوثق حسان بن إبراهيم، وعن الإمام يحى بن معين قال: لا بأس به وعنه أيضاً: أنه ثقة ، وقال الإمام أبو زرعة: لا بأس به وقال الإمام : النسائى ليس بالقوى ، وقال الإمام ابن عدى : قد حدث بإفردات كثيرة وهو عندى من أهل الصدق إلا أنه يغلط فى الشئ وليس ممن يظن به أنه يتعمده فى باب الرواية إسناداً أو متناً وإنما هو وهم منه وهو عندى لا بأس به، وقال الإمام العقيلى: فى حديثه وهم، وقال الإمام ابن المدينى كان ثقة وأشد الناس فى القدر ، روى له الأئمة: البخارى، ومسلم، وأبو داود ، انظر تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ المزى – ترجمة رقم [١١٨٥] ج٦ صـ٨، وتهذيب التهذيب للحافظ بن حجر – ترجمة رقم [٤٧٧] ج٢ صـ ٢١٤ ، وتقريب التهذيب للحافظ بن حجر أيضاً – ترجمة رقم [١١٩٤] ج١ صـ١٥٧ ، والجرح والتعديل للإمام ابن أبى حاتم – ترجمة رقم [١٠٥٦] ج٣ صـ٢٣٨، والثقات للإمام ابن حبان – ترجمة رقم [٧٤٦٤] ج٦ صـ٢٢٤ والتعديل والتجريح للإمام أبى الوليد الباجى – ترجمة رقم [٢٤٨] ج٢ صـ٤٩٩ ، وضعفاء العقيلى للإمام العقيلى – ترجمة رقم [٣٠٩] ج١ صـ٢٥٥ ، والكامل فى ضعفاء الرجال للإمام ابن عدى – ترجمة رقم [٥٠١] ج٢ صـ ٣٧٢ والضعفاء والمتروكين للإمام النسائى – ترجمة رقم [١٥٨] ج١ صـ٣٤، وعليه فيكون الإسناد حسناً .

(٢٩٧) صحيح البخارى–كتاب التفسير–باب تفسير سورة قل أعوذ برب الفلق–حديث رقم [٤٦٩٢] ج٤ صـ١٩٠٤.

والحديث أخرجه غيره

(٢٩٨)المستدرك على الصحيحين–كتاب فضائل القرآن–ذكر فضائل سور وآى متفرقة–حديث رقم[٢٠٨٣]ج١صـ٧٥٦.

والحديث أخرجه الحاكم أيضاً فى المستدرك ــ أول كتاب الصلاة ــ باب التأمين ــ حديث رقم [٨٧٦] ج١ صـ ٣٦٦ .

والإمام النسائى فى سننه (المجتبى) ــ كتاب الافتتاح ــ القراءة فى ركعتى الفجر ــ حديث رقم [٩٥٢] ج٢ صـ ١٥٨ ، وكتاب الاستعاذة ــ حديث رقم [٥٤٣٤] ج٨ صـ ٢٥٢.

وفى السنن الكبرى ــ كتاب افتتاح الصلاة ــ القراءة فى الصبح بالمعوذتين ــ حديث رقم [١٠٢٤] ج١ صـ ٣٣٠، وكتاب الاستعاذة ــ باب الاستعاذة ــ حديث رقم [٧٨٥١] ج٤ صـ ٤٤١.

والإمام ابن خزيمة فى صحيحه ــ كتاب الصلاة ــ باب قراءة المعوذتين فى الصلاة ضد قول من زعم أن المعوذتين ليستا من القرآن ــ حديث رقم [٥٣٦] ج١ صـ ٢٦٨.

والإمام البيهقى فى سننه الكبرى ــ كتاب الحيض ــ جماع أبواب القراءة ــ باب فى المعوذتين ــ حديث رقم [٣٨٥٥] ج٢ صـ ٣٩٤.

والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفه ــ كتاب فضائل القرآن ــ فى المعوذتين ــ حديث رقم [٣٠٢١٠] ج٦ صـ ٢٤٦.

والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير ــ حديث رقم [٩٣١] ج١٧ صـ ٣٣٧.

قال الحافظ الذهبى : على شرط مسلم [٢٩٩].

فيتضح مما سبق أن ابن مسعود ﷺ كان يشك فى أمرهما؛ لأنه كان يرى النبى ﷺ يعوذ بهما الحسن والحسين، ولم يسمعه يقرأ بهما فى صلاته، كما يتضح أن هناك من الصحابة من عرض له مثل ذلك، فسأل النبى ﷺ عن ذلك، فبين له النبى ﷺ أنهما من القرآن، كما يدل على ذلك الحديثين الثالث والرابع السابقين، فلعل ابن مسعود ﷺ أقام على ظنه هذا حتى تأكد من قرآنيتهما فقرأ بهما.

القضية الثانية : قول زيد بن ثابت ﷺ فى الحديث الأول الذى رواه الإمام البخارى : " فقدت آية من سورة الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بهما فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصارى ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ فألحقناها فى سورتها فى المصحف".

وخطورة هذا القول أنه لو كان قوله هذا فى جمع عثمان ﷺ، لفهم منه أن القرآن كله لم يجمع فى عهد أبى بكر ﷺ ، بل ترك منه هاتان الآيتان وربما غيرهما، أو أنه جمع كله ثم فقدت منه هاتان الآيتان، وهذا أخطر من سابقه، وقد اختلف فى قوله السابق هذا ، فقال الحافظ ابن كثير: "وأما ما رواه الزهرى عن خارجه عن أبيه فى شأن آية الأحزاب، وإلحاقهم إياها فى سورتها، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف، كما جاء مصرحاً به فى غير هذه الرواية عن الزهرى عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: فألحقناها فى سورتها من المصحف، وليست هذه الآية ملحقة فى الحاشية فى المصاحف العثمانية" [٣٠٠] .

وقال الحافظ بن حجر:"قوله قال ابن شهاب وأخبرنى خارجة ...الخ هذه هى القصة الثالثة وهى موصولة إلى ابن شهاب بالإسناد المذكور كما تقدم بيانه واضحاً وقد تقدمت موصولة مفردة فى الجهاد وفى تفسير سورة الأحزاب وظاهر حديث زيد بن ثابت هذا أنه فقد آية الأحزاب من الصحف التى كان نسخها فى خلافة أبى بكر حيث وجدها مع خزيمة بن ثابت ووقع فى رواية إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع عن ابن شهاب أن فقده إياها إنما كان فى خلافة أبى بكر وهو وهم والصحيح ما فى الصحيحين وأن الذى فقده فى خلافة أبى بكر الآيتان من سورة براءة وأما التى فى الأحزاب ففقدها لما كتب المصحف فى خلافة عثمان وجزم ابن كثير بما وقع فى رواية ابن مجمع وليس كذلك والله أعلم"[٣٠١].

---

(٢٩٩) تلخيص المستدرك بذيل المستدرك ج١ صـ٥٦٧.

(٣٠٠) فضائل القرآن صـ ٨٦.

(٣٠١) فتح البارى فى شرح صحيح البخارى، ج٩ صـ ٢١.

قلت: قول زيد بن ثابت ﷺ السابق إن كان وقت جمع القرآن فى عهد أبى بكر ﷺ كما ذكر الحافظ ابن كثير فلا إشكال فيه، ويكون كالآيتين من سورة براءة اللتين سبق الحديث عنهما.

أما إن كان وقت نسخ عثمان ﷺ المصاحف ، فقد سبق أن بينت أن المنهج الذى اتبع فى نسخ المصاحف كان بمطابقة الصحف بما جمع فى أيدى الناس آنـذاك، فالظاهر ـ والله أعلم ـ أنه ﷺ لم يجد هاتين الآيتين مكتوبتين إلا عند خزيمة بن ثابت ﷺ مع وجودهما فى الصحف، بمعنى أنه فقدهما أولاً فلم يجدهما سوى فى الصحف، ثم وجدهما بعد ذلك مع خزيمة بن ثابت ﷺ؛ لأنه قال: "كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بهما" ، فلو لم تكن فى الصحف فلماذا لم يجمعها فى زمان أبى بكر مع تذكرها؟ وقد كان هو من جمع القرآن فى عهد أبى بكر ﷺ وإن كانت فى الصحف ثم فقدت، فكيف يستقيم ذلك مع أن الصحف استمرت مصانة عند أبى بكر ﷺ حتى توفاه الله، ثم عند عمر ﷺ حتى توفاه الله، ثم عند السيدة حفصة بنت عمر ـ رضى الله عنها ـ حتى بعث إليها عثمان ﷺ يطلبها منها؟ كما أن زيد بن ثابت ﷺ لم يذكر أنها فقدت من الصحف.

القضية الثالثة : ماذا كان يفعل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى الآية التى بها أكثر من قراءة ثابتة عن رسول الله ﷺ ؟

الجواب: أنه إذا كان رسم الكلمة يحتمل القراءتين أو القراءات الثابتة؛ نظراً لخلوه من الإعجام والشكل، فإنهم كانوا يكتبونها فى جميع المصاحف برسم واحد، وهذا هو الكثير الغالب، وأما ما لا يحتمل ذلك برسم واحد، فإنه كان يكتب فى كل مصحف بحسب قراءة القطر الذى سيرسل إليه المصحف، وهذا قليل مثل: قوله تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة :١٣٢)، حيث كتبت فى مصحف أهل المدينة والشام "وأوصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب" وهى قراءة نافع وأبى جعفر المدنيين وابن عامر الشامى وكتبت فى بقية المصاحف "ووصى" وهى قراءة باقى القراء [٣٠٢] .

(٣٠٢)انظر الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولهما من شبهات للدكتور/ شعبان محمد إسماعيل صـ٣٢،٣٣

رابعاً: إدخال بعض التحسينات على الخط الذى كتب به المصحف العثمانى:

وقد مرت هذه التحسينات بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : ما قام به أبو الأسود الدؤلي من وضع حركات الإعراب، عن طريق نقاط توضع فوق الحرف، أو تحته لتدل على، الفتحة، والكسرة، والضمة(٣٠٣) .

وقد اختلف فى سبب ذلك، فتذكر بعض الروايات أن أبا الأسود الدؤلي سمع ابنته تلحن، فدفعه ذلك إلى التفكير فى عمل شئ يقى الناس من اللحن، وتذكر مصادر أخرى أن أبا الأسود سمع رجلاً فارسياً اسمه سعد، وقد لحن فى كلامه فضحك منه من سمعه، وبعضها يذكر أن زياداً ـ وكان أمير البصرة ـ سمع لحناً فاحشاً من قوم حضروا عنده، فطلب من أبى الأسود أن يضع للناس ما يمنعهم من الخطأ فى كلامهم، وتشير بعض الروايات إلى أن أبا الأسود سمع بعض من يخطئ فى القرآن، فدفعه ذلك إلى نقط المصحف، ووضع أبواب فى النحو، وتذكر بعض المصادر أن أمير المؤمنين علياً ﷺ سمع لحناً فى العراق فأمر أبو الأسود أن يضع للناس النحو، أو أنه دفع إليه صحيفة فيها بعض من ذلك وأمره أن ينحو نحوها (٣٠٤) .

وروى الإمام الدانى عن العتبى قال: "كتب معاوية ﷺ إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما قدم عليه كلمه فوجده يلحن فرده إلى زياد وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول "أمثل عبيد الله يضيع"، فبعث زياد إلى أبى الأسود فقال يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله تعالى فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل فوجه زياد رجلاً فقال له: اقعد فى طريق أبى الأسود فإذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه ففعل ذلك فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته فقال : ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ فاستعظم ذلك أبو الأسود وقال عز وجه الله أن

---

(٣٠٣) انظر فى ذلك نقط المصاحف للإمام الدانى صـ٣،٤ ،وتاريخ القرآن للشيخ الزنجانى صـ ٦٥، ٦٦، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى جـ١ صـ٤٠٧،٤٠٨، وتاريخ الأدب العربى أو حياة اللغة العربية لحفنى ناصف صـ ٦٣، وفى علم الكتابة العربية للدكتور/ عبد الله ربيع صـ ١٢٠ ، وتاريخ القرآن للدكتور/ عبد الصبور شاهين صـ٦٧، ورسم المصحف دراسة لغوية تاريخية للدكتور/ غانم قدرى الحمد صـ٤٩١.

(٣٠٤) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية للدكتور/ غانم قدرى الحمد صـ٤٩١، وانظر قصة سعد الفارسى فى الفهرست للإمام ابن النديم جـ١ صـ ٥٩.

يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال : يا هذا قد أجبتك إلى ما سألت ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن إلىَّ ثلاثين رجلاً فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة ثم لم يزل يختار منهم حتى اختار رجلاً من عبد قيس فقال: خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فإذا فتحت شفتى فانقط واحدة فوق الحرف وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف وإذا كسرتها فاجعل النقطة فى أسفله فإن اتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين فابتدأ بالمصحف حتى أتى على آخره ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك" (٣٠٥) .

وأيما كان الأمر فإنه يتضح مما سبق أمران :

١ – أن وقوع اللحن والخطأ؛ بسبب اختلاط العرب بغيرهم من العجم، وظهور ذلك فى القرآن الكريم؛ كان هو السبب الرئيس فى وضع نقاط الإعراب.

٢ – أن أول من وضع علامات الإعراب هو أبو الأسود الدؤلي.

لكن الإمام ابن النديم يذكر رأياً آخر فيقول: "أكثر العلماء على أن النحو أخذ عن أبى الأسود الدؤلي وأن أبا الأسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ عليه السلام ـ، وقال آخرون رسم النحو نصر بن عاصم الدؤلي ويقال الليثى" (٣٠٦) .

وأيضاً فإن الإمام الدانى بعد أن ذكر الرواية السابقة عن العتبى، والتى تفيد أن أبا الأسود هو أول من قام بذلك، عقب ذلك بذكر روايات تفيد أن نصر بن عاصم هو أول من قام بذلك (٣٠٧) .

ويمكن الجمع بينهما كما يقول الإمام الدانى: "يحتمل أن يكون يحيى ونصر أول من نقطاها للناس بالبصرة وأخذا ذلك عن أبى الأسود إذ كان السابق إلى ذلك والمبتدئ به" (٣٠٨) .

الخلاصة :

١ – أن المصاحف العثمانية كانت خالية من الشكل (علامات الإعراب).

٢ – أن اختلاط العربى بغيرهم من الأمم التى دخلت الإسلام؛ أدى إلى فساد الألسنة؛ مما نشأ عنه وقوع اللحن والخطأ فى الكلام، حتى امتد ذلك إلى كتاب الله – تعالى–.

---

(٣٠٥) نقط المصاحف صـ ٤٢٣، وانظر رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية للدكتور/ غانم قدرى الحمد صـ٤٩٢، وتاريخ القرآن للشيخ الزنخانى صـ ٦٥، ٦٦، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى جـ١ صـ ٤٠٨.

(٣٠٦) الفهرست جـ١ صـ ٥٩.

(٣٠٧) انظر نقط المصاحف صـ ٦٢٥.

(٣٠٨) السابق صـ ٦، وللمزيد من التوسع انظر رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية للدكتور/ غانم قدورى الحمد صـ ٤٩٥، إلى صـ ٥٠٠ ، وقد رجح أن أبا الأسود هو أول من قام بذلك.

٣ – أن أول تحسين للمصحف العثمانى كان بوضع نقاط للدلالة على علامات الإعـراب (الفتحـة والكسرة والضمة)، وزيد عليها الغنة، وكان ذلك بلون يخالف لون المـداد الـذى كتـب بـه المصحف.

٤ – أن أول من اخترع هذه الطريقة هو أبو الأسود الدؤلي .

المرحلة الثانية : ما قام به نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر من وضع نقـاط الإعجـام؛ للتميز بين الحروف المتشابهة، وفى ذلك يقول الشيخ الزنجانى :" ومكث القارئ يقرأ ولا يعلـم هل القراءة الصحيحة والقرآن المنزل هو قوله (ننشزها) بالزاى المعجمة أو (ننشرها) بالراء المهملة أو (لتكون لمن خلفك) بالفاء أو (لمن خلقك) بالقاف ولذلك كثر التصحيف فى العراق؛ ففزع الحجاج أمير العراق إلى كتابه فى زمن عبد الملك، وسألهم أن يضعوا علامات لتمييـز الحروف المتشابهة ودعا نصر بن عاصم الليثى ويحيى بن يعمر العدوانى تلميذى أبى الأسود الدؤلي لهذا الأمر، وكانت عامة المسلمين تكره أن يزيد أحد شيئاً على ما فى مصحف عثمان ولو للإصلاح خشية الابتداع، وتردد كثير منهم فى قبول الإصلاح الذى أدخله أبو الأسود، فبعد البحث والتحرى قرر نصر ويحى ــ وكانا من التقوى بحيث لا يتهمان فى دينهمـا ــ إدخـال الإصلاح الثانى وهو أن توضع النقط أفراداً وأزواجاً لتمييز الأحـرف المتشـابهة بالأسـلوب الموجود الآن بيننا ولكن سبق القول أن الحركات والسكنات كانـت بطريقـة الـنقط، وكـذلك الإعجام أيضاً كان بطريق النقط . فمنعاً للبس بعض الحركات والسكنات والإعجام كـان رسـم كتابة المصحف مثلاً يكتب الحركة بلون أحمر، والإعجام بلون يخالف الأحمر" [٣٠٩] .

ويقول الشيخ الزرقانى – بعد أن ذكر اختلاف المؤرخين فى تاريخ الإعجام –: " وسواء كان هذا أو ذاك فإن إعجام المصاحف لم يحدث على المشهور إلا فى عهد عبـد الملـك بـن مروان إذ رأى أن رقعة الإسلام قد اتسعت، واختلط العرب بالعجم، وكادت العجمة تمس سلامة اللغة، وبدأ اللبس والإشكال فى قراءة المصحف يلح بالناس، حتى يشق على السواد منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصاحف وكلماته وهى غير معجمة. هنالك رأى بثاقب نظـرة أن يتقدم للإنقاذ، فأمر الحجاج أن يعنى بهذا الأمر الجلل، ونـدب الحجـاج ــ طاعـة لأميـر المؤمنين ــ رجلين يعالجان هذا المشكل، هما: نصر بن عاصم الليثـى، ويحيـى بـن يعمـر العدوانى. وكلاهما كفء قدير على ما ندب له، إذ جمعا بين العلم والعمل، والصلاح والـورع، والخبرة بأصول اللغة ووجوه قراءة القرآن. وقد اشتركا أيضاً فى التلمذة والأخـذ عـن أبـى الأسود الدؤلي" [٣١٠] .

الخلاصة :

([٣٠٩]) تاريخ القرآن صــ ٦٧، ٦٨.

([٣١٠]) مناهل العرفان فى علوم القرآن جــ١ صــ ٤٠٦ ، ٤٠٧ .

١ – أن المصاحف العثمانية كانت خالية مما يميز الحروف المتشابهة (الإعجام).
٢ – أن اختلاط العرب بغيرهم من الأمم التى دخلت فى الإسلام، بعد اتساع رقعته؛ أدى إلى ضعف اللغة؛ مما نشأ عنه اللبس والإشكال فى قراءة المصحف لصعوبة التفريق بين الحروف المتشابهة.
٣ – أن ثانى تحسين للمصحف العثمانى كان بوضع نقاط للتمييز بين الحروف المتشابة، وكانت بلون يخالف لون نقاط الإعراب، ولون المداد الذى كتب به المصحف.
٤ – أن ذلك كان فى خلافة عبد الملك بن مروان على يد يحيىبن يعمر ونصر بن عاصم.

المرحلة الثالثة : ما قام به الخليل بن أحمد الفراهيدى من تغيير نقاط الإعراب التى وضعها أبو الأسود الدؤلي، واستبدالها بعلامات من جنس الحروف، حيث جعل للفتحة ألفاً صغيرة مبطوحة فوق الحرف، وللكسرة ياء صغيرة تحت الحرف، وللضمة واو صغيرة فوق الحرف؛ وكان ذلك لأن الناس استثقلوا الجمع بين نقاط الإعجام والإعراب معاً ، وفى ذلك يقول الإمام ابن النديم: "قال محمد بن يزيد : الشكل الذى فى الكتب من عمل الخليل وهو مأخوذ من صور الحروف، فالضمة واو صغيرة الصورة فى أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف" (٣١١) .

كما أنه أضاف إلى ذلك صوراً لعلامات أخرى، يقول الإمام الدانى: "ثم جعل الخليل بن أحمد الهمز والتشديد والروم والإشمام" (٣١٢) .

وبعد فقد اتضح مما سبق المراحل التى مر بها المصحف العثمانى من تحسينات ؛ تبعاً لاحتياج الناس، وأنه لم يحدث تعديل فى النص الذى جمع فى عهد عثمان ﷺ ، لا على يد الحجاج ولا غيره، وإنما هى بعض التحسينات على الخط الذى كتب به.

إشارة إلى قضيتن فى غاية الأهمية:

القضية الأولى : ما رواه الإمام ابن أبى داود عن عوف بن أبى جميلة "أن الحجاج بن يوسف غير فى مصحف عثمان أحد عشر حرفاً، قال: كانت فى البقرة : (لم يتسنَّ وانظر) بغير هاء، فغيرها (لم يتسنه) بالهاء. وكانت فى المائدة : (شريعة ومنهاجاً)، فغيرها (شرعة ومنهاجاً). وكانت فى يونس : (هو الذى ينشركم)، فغيرها (يسيركم). وكانت فى يوسف: (أنا آتيكم بتأويله)، فغيرها (أنا أنبئكم بتأويله). وكانت فى المؤمنين :

---

(٣١١) الفهرست جـ١ ، صـ٥٩.
(٣١٢)نقط المصاحف صـ٦.

(سيقولون لله لله لله) ثلاثتهن، فجعل الآخرين (الله الله). وكانت فى الشعراء فى قصة نوح: (من المخرجين)، وفى قصة لوط: (من المرجومين)، فغير قصة نوح (من المرجومين)، وقصة لوط (من المخرجين). وكانت فى الزخرف : (نحن قسمنا بينهم معايشهم) فغيرها (معيشتهم). وكانت فى الذين كفروا: (من ماء غير ياسن)، فغيرها (من ماء غير ءاسن). وكانت فى الحديد: (فالذين ءامنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير)، فغيرها (وأنفقوا). وكانت فى إذا الشمس كورت: (وما هو على الغيب بظنين)، فغيرها (بضنين)" [٣١٣] .

قلت: هذا الحديث سنده ضعيف جداً؛ لأن فيه عباد بن صهيب، وهو متروك، قال عنه الإمامان البخارى والنسائى : متروك، وقال الإمام ابن حبان: كان قدرياً داعية، وقال الإمام ابن عدى : لعباد بن صهيب تصانيف كثيرة ومع ضعفه يكتب حديثه ابن أبى داود، وقال الإمام على بن المدينى : عباد بن صهيب ذهب حديثه، وقال الإمام أبو بكر بن أبى شيبة : تركنا حديث عبادبن صهيب قبل أن يموت بعشرين سنة، وذكره الإمام البخارى فى الضعفاء الصغير، والإمام العقيلى فى ضعفاء العقيلى، والإمام ابن حبان فى المجروحين" [٣١٤] .

وبالإضافة إلى ضعف سنده فإنه متنه باطل جملة وتفصيلاً.

أما بطلان متنه جملة فلعدة أمور :

١ – أنه لا دليل على ذلك، ولو كان الأمر كما جاء فى الحديث السابق لنقل نقلاً متواتراً، لا أن يروى فى حديث ضعيف.
٢ – أنه على فرض أنه قد فعل ذلك، فكيف تقره الأمة الإسلامية على ذلك، وفيها أكابر التابعين وقتذاك، كالحسن البصرى، وغيره من سادات التابعين وأبناء الصحابة .
٣ – أن الحجاج كان والياً على العراق، ولم تكن باقى أقطار الإسلام تحت سلطته، فكيف له أن يغير ما ذكر فى المصحف العثمانى خاصة وأن نسخه متفرقة فى الأمصار؟.
٤ – أنه على فرض أن الحجاج فعل ذلك وسكت الناس خوفاً منه فى عصره، فما الذى أسكتهم

---

(٣١٣) المصاحف ـ اختلاف مصاحف الأمصار التى نسخت من الإمام ـ حديث رقم [١٤٢] ج ١ صـ٢٨٢،٢٨١،٢٨٠ .

(٣١٤) انظر الجرح والتعديل للإمام ابن أبى حاتم ج ٦ صـ ٨١، والكامل فى ضعفاء الرجال للإمام ابن عدى – ترجمة رقم [١١٧٩] ج٤ صـ٣٤٦، وضعفاء العقيلى للإمام العقيلى – ترجمة رقم [١١٢٨] ج٣ صـ٤٤، والمجروحين للإمام ابن حبان –ترجمة رقم [٧٨٨] ج٢ صـ١٦٥،١٦٤، والضعفاء والمتروكين للإمام النسائى – ترجمة رقم [٤١١] ج١ صـ ٧٤، والضعفاء الصغير للإمام البخارى –ترجمة رقم [٢٢٨] ج١ صـ٧٥، ولسان الميزان للحافظ ابن حجر – ترجمة رقم [١٠٢٩] ج٣ صـ٢٣٠.

بعد موته؟ [٣١٥] .

٥ – أن العمدة فى حفظ القرآن على التلقى لا على القراءة من المصاحف، وبالمقارنة يتضح أن ما تواتر من القراءات موافق للمصحف الذى جمع فى عهد عثمان ﷺ ، وأنه لم يتغير فيه شئ حتى الآن.

أما بطلان المتن تفصيلاً :

فإن الأحرف التى ينسب إلى الحجاج تغييرها فى الحديث السابق هى :

١ – ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ بالهاء، كانت يتسن بغير هاء، فغيرها (البقرة: ٢٥٩)

وهذه الآية فيها قراءتان متواترتان ، هما :

الأولى: يتسن بغير هاء، وهى قراءة حمزة، والكسائى، ويعقوب، وخلف .

الثانية: يتسنه بالهاء ، وهى قراءة باقى القراء العشرة .

وهذا فى حالة الوصل، أما الوقف فليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى يتسنه بالهاء، وقد رسمت فى جميع المصاحف العثمانية بالهاء" [٣١٦] .

٢ – ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ بالياء، كانت شريعة بالياء، فغيرها ؛ (المائدة : ٤٨) .

وهذه الآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى شريعة بالياء.

٣ – ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾ بالسين والياء، كانت ينشركم بالنون والشين، فغيرها؛ (يونس : ٢٢)

وهذه الآية فيها قراءتان متواترتان، هما :

الأولى: ينشركم بالنون والشين، وهى قراءة ابن عامر، وأبى جعفر، وهى مرسومة كذلك فى المصاحف الشامية.

---

(٣١٥) انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ ٢٧٣،٢٧٤.

(٣١٦) انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ١٨٨، ١٨٩، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ٨٢، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام لابن خالوية صـ١٠٠، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ١٤٢،١٤٣، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ ٢٣١، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشرللشيخ الدمياطى صـ ٢٠٨.

الثانية : يسيركم بالسين والياء، وهى قراءة باقى القراء العشرة، وهى مرسومة كذلك فى باقى المصاحف. [٣١٧]

٤ – ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ﴾، كانت آتيكم، فغيرها (يوسف : ٤٥) .

وهذه الآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (أنبئكم بتأويله).

٥ – ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾، ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾كانت الثانية والثالثة الله، الله ، فغيرهما (المؤمنون : ٨٩،٨٧،٨٥).

وهاتين الآيتين فيهما قراءتان متواترتان ، هما:

الأولى: الله ، الله ، وهى قراءة أبى عمرو، ويعقوب، وكذلك رسمتا فى المصاحف البصرية.

الثانية: لله ، لله ، وهى قراءة باقى القراء العشرة، وكذلك رسمتا فى مصاحف الحجاز والشام والعراق. [٣١٨]

٦،٧– ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾، ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ ، كانت الأولى (من المخرجين) ، والثانية (من المرجومين)، فأبدلهما (الشعراء :١١٦،١٦٧).

وهاتان الآيتان ليس فيهما إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى فى الأولى (من المرجومين)، وفى الثانية (من المخرجين).

٨ – ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾، كانت معايشهم، فغيرها (الزخرف:٣٢). وهذه الآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة ، وهى (معيشتهم).

٩ – ﴿مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾، كانت ياسن، فغيرها، (محمد: ١٥).

وهذه الآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى (آسن).

---

(٣١٧) انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٣٢٥، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ ١٢١، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ٣٢٩، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ ٢٨٢، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ ٣١١.

(٣١٨) انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ ٤٤٧، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ ١٦٠، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالوية صـ ٢٥٨ ، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ ٤٩١، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ ٣٢٩، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٤٠٥.

١٠- ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، كانت واتقوا، فغيرها (الحديد: ٧)

وهذه الآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى: وأنفقوا، كما أن صدر الآية يشهد لعجزها ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾، وما بعدها كذلك يشهد لها ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ (الحديد:٨) ،و ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (الحديد:١٠)

١١- ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ بالضاد، كانت بظنين بالظاء، فغيرها (التكوير :٢٤).

وهذه الآية فيها قراءتان متواترتان هما :

الأولى: بظنين بالظاء، وهى قراءة ابن كثير، وأبى عمرو ، والكسائى، ورويس عن يعقوب .

الثانية: بضنين بالضاد ، وهى قراءة باقى القراء العشرة، وكذلك رسمت فى جميع المصاحف العثمانية. [٣١٩] .

والقراءة الثانية وإن كانت مخالفة لرسم المصحف إلا أن ذلك مغتفر، لتواتر القراءة، ولكونه من مخالفة الرسم المقبول، لا المردود، يقول الإمام ابن الجزرى: "على أن مخالف صريح الرسم فى حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء (تسئلنى) فى الكهف وقراءة (وأكون من الصالحين) والظاء من (بضنين) ونحوذلك من مخالفة الرسم المردود فإن الخلاف فى ذلك يغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من حروف المعانى فإن حكمه فى حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه وهذا هو الحد الفاصل فى حقيقة اتباع الرسم ومخالفته" [٣٢٠] .

---

(٣١٩) انظر السبعة فى القراءات للإمام ابن مجاهد صـ٦٧٣، والتيسير فى القراءات السبع للإمام الدانى صـ٢٢٠، والحجة فى القراءات السبع المنسوب للإمام ابن خالويه صـ٦٤، وحجة القراءات للإمام ابن زنجلة صـ٧٥٢، والنشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ ٣٩٨، ٣٩٩، وإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ٥٧٤.

(٣٢٠) النشر فى القراءات العشر ج١ صـ ١٢،١٣.

وبعد فقد اتضح أن كل ما زُعم أن الحجاج قد غيره، فإنه ثابت متواتر، اجتمعت فيه شروط التواتر، أما ما زُعم أنه كان أولاً ثم غير، فإن بعضه ثبت تواتره ويحتمله الرسم فكيف يكون الحجاج قد غيره؟ ، والباقى لم يتواتر فلو كان الحجاج قد غيره لثبتت القراءة به؛ إذ أن سلطته فى تغيير المكتوب، لا المحفوظ المقروء.

فهذا الحديث يعتبر دليلاً على من يزعم أن الحجاج غير فى المصحف العثمانى شيئاً لا دليلاً له.

القضية الثانية: قد سبق وبينت أن خلو المصاحف من الإعجام والشكل كان سبباً فى استيعاب القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ، فماذا كانوا يفعلون عند إِعجام المصاحف وشكلها؟، هل كانوا يعجمونها ويشكلونها على بعض القراءات، أو على كلها، وكيف ذلك ؟

الجواب : أنهم كانوا يعجمون المصحف ويشكلونه على قراءة واحدة فقط دون غيرها، وربما أعجموا وشكلوا مصاحف كثيرة ، كل مصحف على قراءة من القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ، ويدل على ذلك ما ذكره الإمام الدانى قال: "وطوائف من أهل الكوفة والبصرة قد يدخلون الحروف الشواذ فى المصاحف وينقطونها بالخضرة وربما جعلوا الخضرة للقراءة المشهورة الصحيحة وجعلوا الحمرة للقراءة الشاذة المتروكة وذلك تخليط وتغيير، وقد كره ذلك جماعة من العلماء. أخبرنى الخاقانى أن محمد بن عبد الله الأصبهانى حدثهم بإسناده عن أحمد بن جبير الأنطاكى قال: إياك والخضرة التى تكون فى المصاحف فإنه يكون فيها لحن وخلاف للتأويل وحروف لم يقرأ بها أحد، قال أبو عمرو: وأكره من ذلك وأقبح منه ما استعمله ناس من القراء وجهلة من النقاط من جمع قراءات شتى وحروف مختلفة فى مصحف واحد وجعلهم لكل قراءة وحرف لوناً من الألوان المخالفة للسواد كالحمرة والخضرة والصفرة واللازورد وتنبيههم على ذلك فى أول المصحف ودلالتهم عليه هناك لكى تعرف القراءات وتميز الحروف إذ ذلك من أعظم التخليط وأشد التغيير للمرسوم" [٣٢١] .

فهذا النص يدل على أن الغالب كان إفراد كل قراءة بمصحف معجم مشكول، وإن كان هناك من كان يجمع أكثر من قراءة، سواء متواترة فقط، أم مع شادة، ويفرق بينها باختيار لون لكل قراءة.

([٣٢١]) نقط المصاحف صــ ٢٠.

الفصل الثانى

محاولات توحيد النص المقروء

مزاعم جولدتسيهر بهذا الخصوص:

يقول جولدتسيهر" -بعد أن تحدث عن الحرية فى القراءة: "أما أن مثل هذه الحرية، التى لا تشجع الإيمان الثابت بحصانة الوحى المقدس، قد أثارت من ناحية أخرى عدم ارتياح فى دوائر أشد محافظة فى التفكير، وأما أنه لم يكن يعد بديهياً فى كل مكان أن تقبل هذه الحرية، لا بالنظر إليها على أنها تعبير عن الحيطة الصامتة فحسب، بل بالاعتراف لها بحق أساسى من يبدو الصحة، فهذا ما يبدو ظاهراً من القصة التالية، التى ترجع كما هو المعتاد إلى أقدم عهود الإسلام: ففى وصف نعيم أهل الجنة (الآية ٢٦ من سورة الواقعة)، ذكر أن أصحاب اليمين ينعمون فى: "طلح منضود". وهنا روى عن على أنه قال: ما شأن الطلح؟ إنما هو : "وطلع منضود" ثم قرأ ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ (الآية ١٤٨ من سورة الشعراء). فقال له الحاضرون : هل تريد أن تحولها إلى هذا المعنى؟ فقال على: إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول"[٣٢٢].

فهو هنا – بعد أن ذكر أدلته على وجود الحرية فى القراءة، والتى سبق مناقشتها فى الفصل الرابع من الباب الأول- يرى أن هذه الحرية والخوف على النص القرآنى منها قد وجد منذ القدم، ويستدل على ذلك بأن علياً ﷺ بعد أن سمع قوله -تعالى- : ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾قال: ما شأن الطلح؟ إنما هو "وطلع منضود، ثم قرأ ﴿طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ ، فقال له الحاضرون: هل تريد أن تحولها إلى هذا المعنى؟ فأجاب: بأن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحول.

ثم يذكر بعد ذلك رأياً وسطاً بين الرأيين فيقول: "بيد أن رأياً وسطاً تم له الانتصار، فلم يحكم بالاعتماد المطلق لنص قرآنى لا يجوز "أن يهاج"، كما لم يسمح من ناحية أخرى بالحرية المجردة عن القيود. وقد لقى هذا التوسط فى الأمر اعتماده المأثور على حديث لمحمد ﷺ صار نقطة البدء وحجر الأساس لإحقاق علم القراءات الذى أزدهر فيما بعد. ومقتضى هذا الحديث أن الله [سبحانه] أنزل القرآن على سبعة أحرف ينبغى عد كل منها صادراً عن المصدر الإلهى. وهو حديث، وإن كان يبدى شبهاً كبيراً برأى التلمود فى نزول التوراة بلغات كثيرة فى وقت واحد، فإنه يبدو عديم الصلة بهذا الرأى. وهو فى معناه الصحيح، الذى لم يقف علماء الدين الإسلاميون أنفسهم موقفاً واضحاً منه- ذكر فى تفسيره: ٣٥ وجها -لا علاقة له فى الأصل بتاتاً باختلاف القراءات؛ بيد أن "كثرة إهاجة" نص القرآن حملت فى وقت جد مبكر على تفسير الحرف فى هذا المقام بالقراءة، واستخدام الحديث فى الدلالة على التصويب المقيد ببعض النظم والشروط للقراءات السائدة وذلك لما روى من أن الرسول أصدر هذا المبدأ، حينما عرضت عليه اختلافات فى قراءة نص القرآن" [٣٢٣].

---

(٣٢٢) مذاهب التفسير الإسلامى صـ٥٢.

(٣٢٣)السابق صـ٥٢، ٥٣، ٥٤.

فهو هنا يرى أن هناك رأيا وسطاً اعتمد على حديث مروى عن النبى ﷺ ، يفيد أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، يجب عد كل منها صادراً عن المصدر الإلهى، وإن كان العلماء قد اختلفوا فى تعيين المراد منها، وذكر فى تفسيرها ٣٥ وجهاً، لا علاقة لها باختلاف القراءات، فإنه قد استُدل بهذا الحديث على تعدد القراءات، حيث فسر الحرف منذ القدم بالقراءة؛ بدليل أن النبىﷺ قال هذا الحديث، بعد ما عرض عليه اختلاف بين الصحابة-رضى الله عنهم- فى القراءات.

ثم يقول بعد ذلك: "وليس مفترضاً-فيما يظهر- أن يكون القصد إلى تحديد حسابى ثابت مفهوماً من عدد السبعة فى هذا الحديث- الذى روى فى مجاميع السنة المعتد بها على الرغم من أن ثقة مثل أبى عبيد القاسم بن سلام (توفى ٢٢٤هـ =٨٣٧م) دمغة بأنه شاذ غير مسند- حتى مع حمله على التفسير السالف. بل المراد من هذا العدد حتى فى حالة اتخاذه دليلاً على فروق النص (اختلاف القراءات)، هو إفادة معنى الكثرة، فالقرآن نزل على أحرف كثيرة العدد، وكل منها يمثل على قدم المساواة كلام الله المعجز" [٣٢٤].

فهو هنا يشكك فى صحة الحديث الذى يفيد نزول القرآن على سبعة أحرف، حيث يرى أن أبا عبيد القاسم بن سلام قد دمغه بأنه شاذ غير مسند، وعلى فرض صحته فليس المراد به حقيقة العدد، بل إفادة معنى الكثرة.

ثم يقول: "وباطراد تنظيم العادات المتصلة اتصالاً وثيقاً بالحياة الدينية، برزت الحاجة إلى إقامة حاجز حسب الإمكان فى وجه الحرية السائدة فى تناول نص الوحى الإلهى، فلم يعد ممكناً عملياً بعد أن يقضى على هذه الحرية بالكلية، ويوحد نص القرآن توحيداً كاملاً. وكما أنه فى شئون العبادات والمعاملات الفقهية، مع حرية الاعتراف باختلاف المذاهب من ناحية، قد أقيم مبدأ يحد من عنان الحرية باشتراط ألا يسمح بعمل مخالف إلا إذا أمكن أن يعتمد على حديث جيد أو سابقة موثوق بها وقعت فى دوائر الصحابة أو التابعين، وهذا مع التسامح من ناحية أخرى إلى حد معلوم إزاء حرية الاجتهاد، كذلك حصل فى مسألة نص القرآن توفيق بين الحرية الفردية ومطالب التسوية بين القراءات المختلفة. فلا اعتراف بصحة قراءة، ولا تدخل قراءة فى دوائر التعبير القرآنى المعجز المتحدى لكل محاولات التقليد، إلا إذا أمكن أن تستند إلى حجج من الرواية موثوق بها. وكل قراءة صحيحة بهذا المعنى ذات حق من طبيعة الإعجاز فى كلام القرآن الإلهى. ولكن لا يجوز الخروج على هذه الاختلافات الثابتة بالرواية فى النص" [٣٢٥].

([٣٢٤]) السابق صـ٥٤.

([٣٢٥]) السابق صـ٥٤، ٥٥.

فهو هنا يرى أنه بناءً على ما سبق فإنه أصبح من المستحيل توحيد النص القرآني، فاكتفى المسلمون بإقامة حاجز أمام الحرية فى القراءة، كما فى حرية الاجتهاد فى العبادات والمعاملات، وهذا الحاجز كان باشتراط استناد القراءة على حجج من الرواية الموثوق بها، وإلا لم تكن القراءة صحيحة.

ثم بعد ذلك يتكلم عن نشأة علم القراءات فيقول: "وقد ذكر أن أول من بحث فى القراءات بحث نقد وتمحيص، وتلمس وجوه النظر التى عللت بها، وفحص طرق الإسناد التى تعتمد عليها غرائب القراءات فحصاً دقيقاً، هو يهودى من البصرة دخل فى الإسلام: هارون بن موسى (المتوفى حوالى ١٧٠-١٨٠هـ) الذى التحق بقبيلة الأزد عن طريق الولاء. وعلى الرغم من قوله بمذهب الاعتزال فى حرية الإرادة، فقد روى عنه البخارى ومسلم، كما وثقه النقاد المتشدد يحيى بن معين" (٣٢٦).

فهو هنا يذكر أن أول من بحث فى أسانيد القراءات وعللها ونقدها ومحصها، هو هارون بن موسى، الذى كان يهودياً ثم أسلم، وقد روى عنه الإمامان البخارى ومسلم، ووثقه الإمام ابن معين، على الرغم من قوله بمذهب الاعتزال فى حرية الإرادة.

ثم يقول بعد ذلك: "بيد أن تقييد الحرية بهذه النظرة الناقدة، لا يزال دائماً كثير المرونة إذا أريد عدم السماح بتغيير أساسى فى صياغة النص بمقدار زائد على ما يمكن أن يكون مرغوباً فيه. فإن الاستناد على حجج موثوق بها ليس أمراً عسيراً، ما دام ذلك راجعاً إلى مجرد اعتماد شفوى. وأكثر القراءات المخالفة التى ذكرناها فيما سبق قد أسندت إلى أرفع من يؤخذ عنهم مكانة من القبول فى القرن الأول: إلى ابن عباس، وعائشة، وعثمان، مبتكر الإشراف على كتابة القرآن، وابنه أبان وإلى ثقات معترف بهم من مرتبة عبد الله بن مسعود، وأبى بن كعب اللذين اثنى عليهما أطيب علماء الدين القدامى ذكراً، مثل قتادة ومجاهدة وغيرهما" (٣٢٧).

فهو هنا يرى أن الحاجز السابق لم ينجح فى تقييد الحرية فى القراءة لسهولته؛ حيث أن أكثر القراءات المخالفة -والتى ذكرها فيما سبق وتم نقدها- قد أسندت إلى أكابر الصحابة كابن عباس، والسيدة عائشة، وعثمان، وابن مسعود، وابن بن كعب، وغيرهم- رضى الله عنهم-.

ثم يذكر بعد ذلك الحل الذى وصل إليه المسلمون لتجاوز هذا الأمر فيقول: "وهنا يبدأ التفسير الحرفى للحديث الغامض الدلالة عن الأحرف السبعة. فكما حصل الاعتراف فى التشريع بأئمة المذاهب الأربعة، حصل الاعتراف أيضاً فى دائرة القراءة القرآنية على مضى

---

(٣٢٦)السابق صـ٥٥، ٥٦.

(٣٢٧)السابق صـ٥٦.

الوقت بسبع مدارس تمثل كل منها اتجاهاً فى القراءة؛ ويؤيد قراءات كـل مدرسـة إمامهـا بالرواية المعتمدة. وينبغى قصر حق التساوى فى إقامة النص القرآنى علـى قـراءات هـذه المدارس السبع. وبمقتضى ذلك، سرعان ما صار مطلوباً إلى من يتخصص بعلـم القـراءات (القارئ أو المقرئ) أن يستبطن النص المقدس بهذه القراءات السبع، وإلا لم يكن لـه حـق التحلى بلقب قارئ القرآن. وهذه الأستاذية يحصل إبرازها دائما كلما أُثنى على أحد من العلماء بأنه مقرئ. وتظهر المساواة عملياً بين القراءات أحياناً، فى أنه، على الرغم من أن كل طريقة للقراءة على حدة متلقاة بالقبول فى منطقة خاصة من العالم الإسلامى، يبدو أنه يحصل أيضا- كما حكى ذلك الشعرانى (المتوفى سنة ١٥٦٥ م) عن قراء زمانه مؤاخذاً لهم على ذلـك- أن يتلو القراء فى كل كلمة جميع ما صح اعتماده من القراءات" [٣٢٨].

فهو هنا يرى أنه مع مضى الوقت حصل الاعتراف بسبع مدارس فى القـراءات فقـط- بينها اختلافات فى القراءة، وذلك كما حدث الاعتراف فى التشريع بأئمة المـذاهب الأربعـة-؛ تفسيراً للحديث الغامض الذى يفيد أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وبناءً عليه فقد اشـترط العلماء على القارئ أو المقرئ أن يكون ملماً بقراءات هؤلاء القراء السبعة، كما أن هناك من كان يعيب على القراء -كالإمام الشعرانى- قراءتهم بجميع القراءات السبع فى كل كلمة مـن القرآن، مع أن كل قراءة كانت سائدة فى منطقة خاصة من العالم الإسلامى، مما يؤكـد أنهـا متساوية من حيث الصحة، وأن هناك من كان يجمعها كلها، وهو القارئ أو المقرئ.

ثم يذكر أن ما سبق لم يكن كافياً أيضاً فى وضع حاجز أمام الحرية فى القراءة فيقـول: "بيد أنه لا يجوز غض النظر عن أنه فى هذا التحديد سرعان ما تجاوز عنصر الحريـة حـد القراءات السبع. فكما أمكن للعالم الجغرافى: المقدسى (فى الثلث الأخير مـن القـرن الرابـع الهجرى، والثلث الأخير من القرن العاشر الميلادى) الذى قسم القراءات السائدة فـى عصـره وفى المنطقة التى باشر فيها ملاحظاته الجغرافية إلى أربع مجاميع أساسـية موزعـة علـى الأقاليم، أن يحدثنا عن ثلاث عشرة قراءة معدودة حسب إسنادها إلى من رويت عـنهم مـن الثقات، مضيفاً إلى ذلك قوله : إن الكل صحيح فى رأى أكثر الأئمة، كذلك نسمع من جانب أخر عن ثمانية أو عشرة من القراء المعتد بهم اللذين تتالى ظهورهم حتى القرن التاسع المـيلادى حقا لقى العدد المتكاثر من مجاميع القراءات فيما بعد تخفيضاً أرجعه إلى سبع مدارس، حصلت بها المطابقة من جديد لحديث الأحرف السبعة المفسر بهذا المعنى"[٣٢٩].

---

(٣٢٨)السابق صـ٥٦، ٥٧.

(٣٢٩) السابق صـ٥٧، ٥٨.

فهو هنا يذكر أن الناس لم يقفوا على حد القراءات السبع، بل تجاوزوا هذا العدد، بدليل أن المقدسى قد تحدث عن ثلاث عشرة قراءة مسندة إلى الثقات، وموجودة بين النـــاس، ثـــم أضاف أن الكل صحيح فى رأى أكثر الأئمة، وبدليل أنه سُمع عن ثمان قراءات، كما سُمع عن عشرة قراء معتد بهم تتالى ظهورهم حتى القرن التاسع الميلادى، ثم يرجع فيـــذكر: أن ذلـــك العدد المتكاثر لقى تخفيضاً أرجعه إلى سبع مدارس، حصل بها المطابقة من جديد لحديث نزول القرآن على سبعة أحرف المفسر بها.

ثم يذكر السبب فى ذلك قائلاً: "وقد أريد بالوقوف عند حد هذا العدد المعين إقامة حـــاجز يحول دون فيض الخواطر الاختيارية، وإن صدرت عن تفكير خصيب. وكان القصد بهذا أخيراً إلى الوقوف على أرض ثابتة نوعاً تجاه التصرف الاختيارى الآخذ فى النمو، وما كان يخشـــى من عدم التقيد بحائط ولا ضابط"(٣٣٠).

فهو يرجع السبب فى الرجوع إلى القراءات السبع كسابقه، وهو إقامة حاجز ضد حرية القراءة.

ثم بعد ذلك يذكر أن هناك من العلماء من لم يرتض بذلك فيقول: "بيد أن هذه المطـــامح القاصدة إلى الحد النسبى من الحرية فى تناول نص القرآن، لم تتغلغل بوجه عام : ويمكننا أن نلاحظ فى هذا الجانب من العالم الإسلامى اضطراباً وتردداً محوطاً بالألغاز. فمن علماء الـــدين البارزين من لا يرتض أن قاعدة الأحرف، تقصد إلى التحديد بعدد، موجهين النظر إلى الأمـــر الواقع من أن تلك القراءات المسماة بالقراءات السبع المعتمدة لا تستوعب فى حقيقة الأمر كل القراءات الممكنة التى قرأ بها الأئمة من الثقات القدماء. وهذا التحديد ليس إلا ابتداعاً محضاً من عمل المتأخرين. وليس له أدنى سند فى الرواية القديمة ومن التدليس إيجاد علاقـــة بـــين مدارس القراء وحديث الأحرف السبعة"(٣٣١).

فهو هنا يرى أن من علماء الدين البارزين من لم يقبل ذلك الأمر؛ حيـــث أن القـــراءات السبع لا تستوعب كل القراءات الممكنة التى قرأ بها الأئمة الثقات القدماء، وأن هذا التحديـــد إنما هو ابتداع من المتأخرين.

---

(٣٣٠) السابق صـــ ٥٩.

(٣٣١) السابق نفس الصفحة.

ثم يقول بعد ذلك : "وممثلون معترف بهم لعلوم الدين، وخاصة علوم القرآن، يناضـلون عن مبدأ الحرية المطردة. فنجد بين خصوم التحديد بالقراءات السبع أبا بكر بن العربى (قاضى إشبيلية توفى سنة ٥٤٦هـ=١١٥١م) ، وأبا محمد مكى بن أبى طالـب القيسـى (المقـرئ المتوفى سنة ٤٣٧هـ=١٠٤٥م) الإمام المعتد به فى فن القراءات، وغيرهما أيضاً من أشهر الأسماء، بل إن العالم الذى اشتهر أساساً بأنه مؤلف مصدر هام فى تاريخ الحروب الصـليبية عن نور الدين، وصلاح الدين، وإن كان على الرغم من أنه قدر حق قدره فى دائـرة علـوم الدين بالذات بين سائر العلوم الإسلامية، لم ينل ما يستحقه من قدر فى هذه الوجهة من علوم القراءات، وهو أبو شامة (المتوفى سنة ٦٦٥هـ=١٢٦٨م) يصرح فى تعبير حاسم عن هـذا الرأى : أن إجماع أهل العلم على خلاف أن حديث الأحرف السبعة مراد به القـراءات السـبع الموجودة الآن، وإنما يظن ذلك بعض أهل الجهل. وقد ألف أبو شامة كتاباً خاصاً فى وجـوه التفسير المختلفة لحديث الأحرف السبعة، ويبدو أن هذا القول مأخوذ منه"(٣٣٢).

فهو هنا يرى أن كلاً من: القاضى أبى بكر بن العربى، والإمام مكى بـى أبـى طالـب، والإمام أبى شامة يرى أن الأحرف السبعة ليست هى القراءات السبع، بل صرح الأخير بـأن إجماع أهل العلم على هذا، وأن أهل الجهل هم الذين يعتقدون ذلك، وهم بذلك ــ مـن وجهـة نظره ــ يناضلون عن الحرية فى قراءة النص القرآنى.

ثم يقول بعد ذلك: "وفى الواقع لم يبق الناس واقفين فى العصور المتأخرة عند مجـاميع القراءات السبع (أو العشر) المعتمدة، فإن شارح البخارى المشهور : شهاب الدين القسطلانى (المتوفى سنة ٩٢٣هـ=١٥١٧م)، الذى حمل إلى قبره بالقاهرة فى نفس اليوم الذى دخل فيه الفاتح العثمانى السلطان سليم منتصراً، كثيراً ما يحيل فى كتابه (شرح البخارى) على كتابـه الكبير فى قراءات القرآن الأربع عشرة. وورد على لسان الجارية الضليعة فى العلم : تـودد، افتخارها بأنها تستطيع أن تقرأ القرآن بالقراءات السبع والأربع عشرة" (٣٣٣).

فهو يذكر أن الناس فى العصور المتأخرة لم يقفوا عنـد حـد القـراءات السـبع، بـل تجاوزوها، ويستدل على ذلك بدليلين، الأول : ما قام به الإمام شهاب الدين القسـطلانى فـى شرح البخارى من إحالته كثيراً على كتابه فى القراءات الأربع عشرة، والثانى : ما ورد على لسان الجارية تودد من افتخارها بقراءتها القرآن بالقراءات السبع والأربع عشرة.

---

(٣٣٢) السابق صـ ٥٩، ٦٠.

(٣٣٣) السابق صـ ٦٠، ٦١.

ثم يدعم هذا الرأى فيقول: "هذا الرأى يتجاوب تماماً مع موقف أهل السنة المدعوم بالنقل عن العصر الأول تجاه القراءات، وقد كان يعد مجافياً للورع رفض قراءات مروية عن الثقات الأتقياء، مهما شذت هذه القراءة عن طريق القراءة المشهورة. وقد عرفنا الصحابيين عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب أنهما مصدرا أشد التغييرات تغلغلاً فى نص القرآن، وعلى الرغم من ذلك فقد كان فيما أبرز على وجه التخصيص من الخلال الذميمة لمذهب من مذاهب المدارس الكلامية المخالفة أن مؤسس هذا المذهب، وهو ضرار بن عمرو، رفض قراءتى هذين الإمامين جميعاً ولم يعترف بأنهما من الوحى المنزل"[٣٣٤].

فهو هنا يذكر أن ما انتهى إليه الأمر من حرية القراءة، متفق مع موقف أهل السنة المدعوم بالنقل عن العصر الأول، ويستدل على ذلك بعدم رفض القراءات المروية عن الثقات الأتقياء مهما كانت شاذة؛ حيث أن رفضها يكون مذموماً، كما حدث مع ضرار بن عمرو حين رفض قراءتى ابن مسعود وأبى ــ رضى الله عنهما.

ثم يقول: "وأبعد مقياس من الحجر على حرية القراءة يصل إلى المطالبة بوجوب مطابقة القراءات لقواعد اللغة العربية، وإمكان تأسيسها على هيكل الرسم لكتابة الحروف العربية الصامتة، وهو اشتراط لا ينطبق حقاً على قراءات الإمامين السالف ذكرهما مع ما فى تلك القراءات من زيادات فى النص واستبدال ألفاظ بأخرى"[٣٣٥].

فهو هنا يرى أن فى اشتراط موافقة القراءات لقواعد اللغة العربية، ومطابقتها لهيكل الرسم العثمانى، حجر على حرية القراءة؛ لأنه لا ينطبق على قراءات ابن مسعود وأبى ــ رضى الله عنهما ــ ؛ لأن فيهما زيادات واستبدال ألفاظ بأخرى.

ثم يقول: "والمتكلمون على وجه الخصوص، هم الذين لم يرتضوا الحد من حريتهم تجاه النص القرآنى المأثور وهم يقولون: إنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف، إذا كانت تلك الأوجه صواباً فى اللغة العربية، وإن لم يثبت أن النبى ﷺ قرأ بها"[٣٣٦].

فهو يرى أن المتكلمين خاصة كانوا المناضلين عن مبدأ الحرية فى القراءة؛ حيث كانوا يقرأون باجتهادهم إذا كان صواباً فى العربية سواء قرأ به النبى ﷺ أم لا.

---

(٣٣٤) السابق صـ ٦١.

(٣٣٥) السابق صـ ٦٢.

(٣٣٦) السابق نفس الصفحة.

ثم يستدرك قائلاً: "حقاً لم يرض أحد بمثل هذه الحرية الفردية إلا إذا صدرت عن ثقات أهل السنة المعترف بهم، فلا يجوز أن تحمل تلك الحرية طابع التمرد الجرئ على كل زمـــام، ولا طابع الأستاذية المدرسية المطبقة على نص القرآن. وبعد هذا ينبغى للاعتراف بـــالقراءات المخالفة أن يمكن إثبات اعتمادها على طائفة جادة من القائلين بها، تكون متعالية عن مستوى الخواطر الشخصية المتعرضة للتقلبات النفسية. فما يطعن فيه بهذا المعنى ويرفض (ومن ذلك ما افترضه المتكلمون) يعد فى طبقة الشواذ التى رفضها حتى دعاة الحرية رفضـــاً شـــديداً ، وهى الافتراضات المقررة بالكلية، التى لم يأخذ بها قارئ رشيد . نعم تتناول علـــوم العربيـــة أيضاً هذه الشواذ فى دائرة بحوثها. ولكن دراسة القرآن الدينية الناقدة تقـــف منهـــا موقـــف الرفض، بل كذلك موقف الطعن الشديد" [٣٣٧].

فهو هنا يرى أن أحداً لم يرض بما سبق من الحرية الفردية إلا إذا صدرت عـــن ثقـــات أهل السنة المعترف بهم؛ وذلك خوفاً من انفلات زمام الأمر، فلابد أن يكون القارئ متعالياً عن مستوى الخواطر الشخصية المتعرضة للتقلبات النفسية، أما ما لم يكن كذلك من القراءات فقد رفض ، وأصبح فى دائرة الشواذ وإن تناولته علوم العربية فى دائرة بحوثها.

ثم يذكر بعد ذلك أمثلة لما لاقاه دعاة الحرية فى سبيل دعوتهم من متشددى أهل الســـنة والقائمين على التراث الدينى فيقول: "وإلى العصور المتأخرة تشن هذه الدراســـات القرآنيـــة الناقدة حملات عنيفة من الجدل على ذلك الاختيار الحر؛ فقد كانت توجد دائماً رءوس مستقلة التفكير لا تعد الظواهر غير المستقيمة فى نص القرآن مظاهر تقديس لا تمـــس ، وإن غـــض النظر عنها قراء ثقات، معترف بهم، أو تسامحوا فيها، وأيدوا صحتها أيضاً فى بعض الأحيان ولكن كان على أمثال هؤلاء النقاد أن يكونوا دائماً على أهبة تلقى الاحتجاج العنيف من قبـــل أهل السنة المتشددين، الذين وإن خرجوا فى إباحة حرية القـــراءة علـــى قـــراءات "القـــراء" المعترف باعتمادها، قد ردوا الافتراضات الاختيارية إلى دائرة الشواذ المرفوضـــة ، وحكمـــوا بعدها فى طبقتها بل لقد اقتضت أيضاً هذه الافتراضات الاختيارية فى بعض الأحيان ــ لا سيما إذا حاول قراء محترفون أن يحصلوا لها على حق صحيح من الاعتراف ــ عقوبة صارمة من قبل الدوائر القائمة على التراث الدينى، والتى لم تكن تميل كثيراً إلى توسيع نطـــاق الحريـــة. ففى سنتى ٣٢٢ و ٣٢٣ للهجرة (٩٣٤-٩٣٥م) لقى اثنان من القراء المحترفين فى بغـــداد عقاباً شديداً ، حينما أرادا إشاعة قراءات مخالفة للنص العثمانى: أحدهما (ابن شنبوذ) الـــذى يعد من تلاميذه المعافى بن زكريا أبرز تلاميذ الطبرى الكبير، عقدت له محاكمة قاسية بإشارة

([٣٣٧]) السابق صـــ ٦٢ ، ٦٣.

الوزير المشهور أيضاً بتجويد الخط: ابن مقلة، وذلك بسبب قراءات يسيرة الاختلاف تماماً من حيث المبدأ وفى هذه المحكمة وقف ابن شنبوذ موقفاً شديد التحدى أمام القضاة والقراء المحترفين، بل روى أنه لم يراع الحيطة أصلاً تجاه الوزير ؛ فبعد أن حكم هذا بتأديبه على وجه مهين، دعا ابن شنبوذ عليه أن يقطع الله يده؛ والمعروف أن الله [سبحانه] استجاب دعاءه وأخيراً حكم عليه بالسجن، ولم يسترجع حريته ثانياً إلا بعد أن سجل فى احتفال مشهود توبته من ضلاله، وذلك فى محضر بقى محفوظاً بنصه ومن الغريب أنه رمى أيضاً بأنه أخذ فى قراءته القرآن زيادات عبد الله بن مسعود ، وأبى بن كعب"[٣٣٨].

فهو هنا يذكر أنه كان هناك دائماً نقاد مستقلون فى التفكير، لا ينظرون إلى النص القرآنى على أنه لا يمكن أن يُمس، مما كان له أثر فى تلقى الاحتجاجات العنيفة من أهل السنة المتشددين، الذين وإن وافقوا على حرية القراءة إلا أنهم ردوا الافتراضات الاختيارية إلى دائرة الشواذ المرفوضة ، بل قد وصل الأمر – إذا حاول أحد القراء أن يحصل لها على حق صريح من الاعتراف – أن تقابل بعقوبة صارمة من قبل الدوائر القائمة على التراث الدينى ، التى لم تكن تميل إلى توسيع نطاق الحرية، ويمثل على ذلك بحادثتين، **الأولى**: ما وقع لابن شنبوذ حين قرأ بزيادات ابن مسعود وأبى بن كعب –رضى الله عنهما–، وهى –من وجهة نظره – يسيرة من حيث المبدأ؛ حيث عقدت له محاكمة قاسية بإشارة الوزير ابن مقلة، الذى لم يراع ابن شنبوذ الحيطة معه ، ووقف منه موقفاً شديد التحدى أمام القضاة، والقراء المحترفين، وبعد أن حكم عليه بالتأديب على وجه مهين، دعا عليه أن يقطع الله يده، فاستجاب الله له، كما حكم عليه بالسجن فسجن حتى تاب وسجلت توبته فى احتفال مشهود.

ثم بعد ذلك يذكر الحادثة الثانية قائلاً: "ومن مدرسة ابن شنبوذ يعد أبو بكر العطار المقرئ (المتوفى ٣٥٤هـ= ٩٦٥م) الذى عقدت له أيضاً محاكمة قاسية بسبب حريته فى القراءة، وأدى ذلك إلى إطراح كتبه المشتملة على حجج قراءاته المختلفة، وعلى الرغم من إقراره بالتوبة رسمياً، تخلصاً من المطاردة، روى أنه ظل يقرأ بقراءاته إلى أن مات"[٣٣٩].

فهو هنا يرى أن أبا بكر بن العطار الذى يعد من مدرسة ابن شنبوذ، قد عقدت له أيضاً محاكمة قاسية، وطرحت كتبه المشتملة على حجج قراءته المخالفة، وقد روى أنه ظل يقرأ بقراءاته إلى أن مات مع أنه أقر رسمياً بالتوبة تخلصاً من المطاردة.

ثم يذكر بعد ذلك أن ما سبق لم يقتصر فقط على القراء ، بل تعداه إلى علماء اللغة أيضاً

---

(٣٣٨) السابق صـ ٦٣،٦٤،٦٥.

(٣٣٩) السابق صـ٦٥.

الذين بذلوا جهوداً كبيرة فى تسوية مشاكل القرآن اللغوية -من وجهه نظره- فيقول: " وكان بغيضاً إلى علماء الدين ذلك التدخل الذى تبعثه الخلافات المدرسية من قبل علماء العربية على وجه الخصوص، على الرغم من أنهم عادة كانوا يبذلون جهوداً كبيرة فى تسوية مشاكل القرآن اللغوية ، دون أن يتناولوا النص المأثور بشئ من التغيير بيد أنهم كانوا يعدون على وجه العموم غير مسموح لهم أن يتناولوا بناء النص المقدس من وجهة نظرهم كما يتناوله القراء المختصون"(٣٤٠).

ثم يقول: "نعم فى أزمنة أقدم من ذلك حصل الاعتراف أيضاً بقراءات اقتضتها ضرورة المطابقة بين قواعد النحو، فقرأ أحدهم (ابن أبى عبلة): "اقتتلتا"، واكتفى آخر (لعبيد بن عمير) بقراءة : "اقتتلا" وفى أزمنة متأخرة عن ذلك اشتد النكير على استعمال التصحيح النحوى. فقد لقى مثلاً العالم اللغوى الشهير المبرد. معاملة غير رقيقة حينما صرح على استحياء عن رأى له فى تسوية انحراف فى التركيب. ذلك أنه ورد فى الآية ١٧٧ من سورة البقرة، وهى موضع من المواضع القرآنية التى ذهبت مثلاً فى الخلق الإسلامى، وفيها جرى الحديث عن تحويل القبلة: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين... الخ" وفى هذا الحمل : ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾، عدم انسجام بلا ريب ، يمكن إخضاعه حقاً بواسطة الذكاء العقلى لنير مطالب التركيب النحوى؛ ولكنه فى ذوق المبرد بعيد أن يرد فى كلام الله. وقد وجد اللغوى المشهور أيضاً الشجاعة التى جعلته يقول : لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت: ولكن البَرَّ بفتح الباء. من أجل ذلك كان عليه أن يتحمل سخط أهل السنة عليه قروناً طويلة بعد وفاته، إذ كانوا يرون فى القراءة المتلقاة بالقبول ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ بكسر الباء تحقيقاً للإعجاز البلاغى فى كلام الله"(٣٤١).

فهو هنا يذكر أن النحويين لم يكن مسموح لهم بحرية القراءة كالقراء ؛ بيد أنه فى أزمنة سابقة حصل الاعتراف بقراءات اقتضتها ضرورة مطابقتها لقواعد النحو، كقراءة "اقتتلتا"، و"اقتتلا"، وهذا عكس ما حدث بعد ذلك من اشتداد النكير على التصحيح النحوى للقراءات ويضرب على ذلك مثاليين، الأول: ما حدث للإمام المبرد حين رأى عدم انسجام فى تركيب ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ ﴾ بكسر الباء، فصرح أنه لو كان ممن يقرؤن القرآن لقرأها بفتح الباء، مما حَّمله سخط أهل السنة عليه قروناً طويلة بعد وفاته.

ثم يذكر المثال الثانى قائلاً: "ولم يسلم الزمخشرى الدقيق التفكير (المتوفى

---

(٣٤٠)السابق صـ ٦٦.

(٣٤١)السابق صـ ٦٦،٦٧.

٥٣٨هـ=١٠٤٣م) من التخطئة اللازعة من ذلك الجانب نفسه، بسبب مثل هذه الافتراضات اللغوية. ففى الآية ١٣٧ من سورة الأنعام : ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾ وهى آية وردت فى تركيبها الجملى قراءات كثيرة، منها أيضاً قراءة لابن عامر : زين ... قتل أولادَهم شركائِهم، على الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول. ولكن هذا التشتيت فى التركيب لم يوافق الذوق النحوى الدقيق عند الزمخشرى، الذى التزمنا بالإلمام بنشاطه فى نطاق تفسير القرآن فى فصل متأخر من هذا الكتاب. وذلك حيث يقول : "والفصل بينهما بغير الظرف فشئ لو كان فى مكان الضروريات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً ، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته؟" وقد نقب الزمخشرى أيضاً عن باعث من جهة الرسم الكتابى، اقتضى فى نظرة قراءة ابن عامر التى لا يعول عليها" [٣٤٢].

فهو هنا يذكر أن الإمام الزمخشرى أيضاً كالإمام المبرد، حيث خطأ قراءة ابن عامر (قتل أولادَهم شركائِهم)، بنصب أولادهم، وجر شركائهم؛ لأن فيها الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول، وهذا شئ إن وقع فى الشعر فسمج مردود، فكيف به فى القرآن المعجز.

ثم يذكر ما حدث للإمام الزمخشرى جراء ذلك فيقول: "وعلى هذا الموقف أرسل الناقد السنى : ابن المنير، قاضى الإسكندرية المالكى، صرخته المدوية بعد ذلك بقرن من الزمان، إذ وجد فى رأى الزمخشرى زيغاً صريحاً : "ولم يعلم الزمخشرى... ضرورة أن النبى قرأها على جبريل كما أنزلها عليه، ثم تلاها النبى على عدد التواتر من الأئمة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقرؤن بها خلفاً عن سلف إلى ابن عامر، فقرأها أيضاً كما سمعها ، فهذا معتقد أهل الحق فى جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد ، فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى ولا بقول أمثاله ممن لحن ابن عامر ... وأما الزمخشرى فظن أنها تثبت بالرأى غير موقوفة على النقل، وهذا ما لم يقل به أحد من المسلمين ، وما حمله على هذا الخيال إلا التغالى فى اعتقاد اطراد الأقيسة النحوية، فظنها قطعية حتى يرد ما يخالفها، وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد اللغة، بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة. فالقرآن يقدم المقياس المصحح للاستعمال العربى الصحيح، لا العكس. وهذا مبدأ أخذ به الزمخشرى نفسه بالنسبة إلى القراءات المشهورة ودافع عنه بشدة وهنا حشد ذلك السنى المعارض للزمخشرى شواهد من الشعر، تشهد على صحة جواز الفصل لغة بين المضاف والمضاف إليه ، وهى أمثلة يزعم الزمخشرى حقاً أنها من الضرورات السائغة فى الشعر، لكنها على كل حال لا يليق رفضها. ومما يسجل الحجية الجديرة بالقراءة المشهورة

---

[٣٤٢] السابق صـ ٦٧، ٦٨.

ذلك المبدأ الأساسى المعترف بالاعتماد عليه فى الدوائر الواسعة المدى، والذى صرح به أيضاً ذلك القاضى المالكى السالف الذكر فى تعليقه على الآية ٣٨ من سورة المائدة. ومقتضـــاه أن النظر الاستقرائى (المستقرأ من جميع الوجوه) فى القراءات يؤدى إلى الاقتناع بأن القـــراءات المنتشرة انتشاراً عاماً أكثر موافقة فى القاعدة المطردة لمقتضيات البلاغة من القراءات المخالفـــة" [٣٤٣].

فهو هنا يذكر أن الإمام ابن المنير قد تعقب الإمام الزمخشرى فى قوله السابق بأمرين:

١-تواتر سند القراءة التى اعترض عليها، وتيقن صدورها عن أفصـــح مـــن نطـــق بالضـــاد محمدﷺ، بخلاف ما يراه الإمام الزمخشرى من ثبوتها بـــالرأى فقـــط؛ لظنـــه أن الأقيســـة النحوية قطعية حتى يرد ما يخالفها، وليس الغرض تصحيح القراءة بقواعد اللغـــة ، بـــل العكس.

٢-حشد شواهد من الشعر، الذى يعتبر الإمام الزمخشرى ورود ذلك فيـــه ضـــرورة ليســـت مرفوضة ، ثم يذكر أن الإمام ابن المنير صرح: بأن الاستقراء يـــدل علـــى أن القـــراءات المنتشرة انتشاراً عاماً أكثر موافقة فى القاعدة المطردة لمقتضيات البلاغة من غيرها.

مزاعم بلاشير بهذا الخصوص:

يقول بلاشير -بعد أن تحدث عما حدث للمصحف فى عهد عبد الملـــك بـــن مـــروان-: "وبالرغم من هذه التحسينات المادية، فإن دور القراء قد احتفظ بكامل الأهمية التى ســـبق أن عرفناها له، لأن الإصلاح الخطى الذى أشرنا إليه لم يبلغ مرتبة بحيث يمكننا معها الاســـتغناء نهائياً عن التلاوة غيباً. إن النص المكتوب يرشد القارئ ويجنـــب قلـــب الألفـــاظ والإغفـــال، واللبس، ولكنه غير كاف لجعل نطق القارئ كاملاً. وهذا فى الواقع ناتج عن طابع النقص فى الخط العربى، فضلاً عن أن عوامل أخرى عديدة قد ساعدت على أن تحفظ للقراء أهميتهم فى الحياة الدينية، ثم إن التلاوة العلنية للنصوص القرآنية فى بعض المناسبات ولـــدرس الكتـــاب المقدس منذ الطفولة أهمية لا يستهان بها"[٣٤٤].

فهو هنا يعترف بأن المعول عليه فى حفظ القرآن هو التلقى، وأن جمع القرآن مكتوباً لم يغن عن جمعه محفوظاً؛ فإن القراء أصبح لهم دور هام فى الحياة الدينية ، وذلك -من وجهة نظره - يرجع إلى :

([٣٤٣]) السابق صـــ ٦٨، ٦٩ ، ٧٠.

([٣٤٤]) القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره صـــ ٣٢،٣٣.

١-أن التحسينات التى أدخلت على الخط لم تبلغ درجة بحيث يمكن الاستغناء بها عن الحفظ.
٢-وجود عوامل أخرى ساعدت على أن تحفظ للقراء أهميتهم فى الحياة الدينية ، لكنه لم يبين هذه العوامل ، ولعل منها ما ذكره بعد ذلك من التلاوة العلنية للقرآن فى بعض المناسبات ، وتدريسه منذ الصغر للأطفال.

ثم يقول بعد ذلك: "إلا أن خاصية محيرة لمفاهيمنا تأتى فى المقدمة، فلقد أقر منذ زمن مبكر من المحتمل أن يكون فى القرن الثامن، أن المصحف يمكن تلاوته على أوجه مختلفة تدعى القراءات. هذه القراءات تتناول وجوهاً من التلفظ الصامت والمحرك وفروقاً طفيفة فى التفاصيل لا تؤثر على معنى النص بشكل عام، ثم وقفات تتعلق بفصل الآيات . وفى منتصف القرن التاسع أخذ يرجح الرأى القائل بأن هذا المذهب يرتكز على سبع سلاسل من العلماء المشهورين"[٣٤٥].

فهو هنا يرى أن الاختلاف بين القراءات موجود منذ زمن مبكر، يحتمل أن يكون القرن الثامن الميلادى، وأنه فى منتصف القرن التاسع أخذ يرجح القول بأنه يرجع إلى سبع سلاسل من العلماء المشهورين.

ثم يقول: "هذا التعدد فى القراءات لم يشعر به أنه قصور أو نقصان فى المصحف بل على العكس كانوا يميلون مبدئياً إلى أن يروا فى ذلك تسامحاً محموداً، يفسح المجال لجميع إمكانات النص القرآنى. ولقد أدى هذا التساهل إلى ما كان يجب أن ينتظر منه وهو أن يستخدمه التأويل العقلانى أو الشيعى. ولكن سرعان ما تراءى للفقهاء والمتكلمين الشديدى الارتباط بمذهب السلطة، ما تقتضيه تلك القراءات المختلفة من التبعات وما يمكن أن تقود إليه من التجاوز فكشفوا وأعلنوا بحق عما فيها من تهديد لقدسية المصحف ومنبع غزير للاختلافات العقدية والشرعية. وفى مطلع القرن العاشر رفع فى بغداد اثنتان من الدعاوى كانت نتائجها بالغة، على علماء كان من بينهم ابن شنبوذ الذى ذهب لحد الإدعاء بأن له حقاً بتعديل نص عثمان آخذاً بعين الاعتبار الروايات المختلفة ذات المصدر الشيعى. وفى النهاية تمت التسوية بإقرار مجموعة القراءات السبع القانونية لكنما زيد عليها سبع قراءات أخرى تقبلوها مع التحفظ أو الاستنكار. وتألفت بحوث متعلقة بالقراءات السبع القانونية، وغدا بحث الأندلسى الدانى (المتوفى سنة ١٠٥٢) بحث نوعاً ما كلاسيكياً . هكذا صار مقبولاً لدينا أن نتكلم عن نص قانونى للمصحف كان قد وضع واعتمد بشكل نهائى فى منتصف القرن العاشر. وهذا النص الشرعى كان عثمانياً بكل وضوح" [٣٤٦].

فهو هنا يرى أن اختلاف القراءات كان متساهلاً فيه؛ مما أدى إلى أن يستخدمه التأويل العقلانى أو الشيعى فيقرأون برأيهم؛ وهذا بدوره أدى بالعلماء والمتكلمين شديدى الارتباط

([٣٤٥]) السابق صـ ٣٣.
([٣٤٦]) السابق صـ ٣٤.

بمذهب السلطة أن يقفوا ضد هذه القراءات؛ لما لها من تهديد لقدسية المصحف، وتؤدى إلى اختلافات عقدية وشرعية، ثم يذكر: أن هناك دعوتين رفعتا فى بغداد فى القرن العاشر الميلادى كانت نتائجهما بالغة، وهو بذلك يقصد ما وقع لابن شنبوذ وأبى بكر بن العطار، والذين سبق وذكرهما جولدتسيهر، لكنه اكتفى هنا بالإشارة إلى ما حدث لابن شنبوذ فقط، ثم يقرر أنه بعد هذه الدعاوى، تم إقرار القراءات السبع القانونية، مع سبع أخرى تقبلوها مع التحفظ أو الاستنكار، ثم ألفت بحوث فى القراءات السبع، وهذا كله ــ من وجهة نظره ــ يعتبر آخر مرحلة لاعتماد النص القانونى للمصحف فى منتصف القرن العاشر الميلادى.

مزاعم آرثرجفرى بهذا الخصوص:

يقول آرثرجفرى فى عرضه لبعض نتائج أبحاث المستشرفين -تحت عنوان خلو مصحف عثمان من النقط والشكل-: "وكانت هذه المصاحف كلها خالية من النقط والشكل فكان على القارئ نفسه أن ينقط ويشكل هذا النص على مقتضى معانى الآيات"، ثم يضرب بعد ذلك المثال (بعلمه) الذى سبق مناقشته، ثم يقول: "فكان حينئذ لكل قارئ اختيار فى الحروف وكذلك اختيار فى الشكل أيضاً وفضلاً عن ذلك فقد وقع اختيار بعض القراء كما يتبين ذلك من كتب القراءات على كثير مما كان فى المصاحف التى منع عثمان استعمالها. ثم بعد ذلك ظهرت بالتدريج فى كل مصر من الأمصار قراءة كانت مشهورة معهودة فى ذلك البلد وتبعها الناس دون غيرها . فظهرت قراءة أهل الكوفة وقراءة أهل البصرة وقراءة أهل الشام وقراءة أهل حمص وقراءة أهل مكة وقراءة أهل المدنية وهى اختيار القراء المشهورين من هذه الأمصار"[٣٤٧].

فهو هنا يرى أنه كانت هناك حرية فى قراءة النص القرآنى ، تبعاً لعدم نقطة وشكله؛ وهذا بدوره أدى إلى اختيار كل قارئ قراءته التى يقرأ بها؛ مما نتج عنه ظهور قراءات مشهورة معهودة فى الأمصار، لكل بلد قراءة تبعها الناس دون غيرها.

ثم يقول بعد ذلك -تحت عنوان قوة اختيار بعض القراء-: "واتفق بعد حين أن قد قوى اختيار بعض القراء دون البعض فى هذه الأمصار المذكورة فصار اختيار هؤلاء القراء فيما بعد قاعدة أهل مدنهم وأسس القراء اختيارهم على مبادئ ثلاثة، الأول: أن تكون القراءة موافقة لنص المصحف العثمانى، الثانى: أن تكون روايتها من الصحابة، الثالث: أن تكون مطابقة للعربية. أخيراً فى سنة ٣٢٢ اقترع بينها العلامة أبو بكر ابن مجاهد أعلم أهل عصره

---

(٣٤٧) السابق صـ٧،٨.

فى علم القراءات، ورجح اختيار القراء السبعة وهم نافع من أهل المدنية وابن كثير من أهـل مكة وابن عامر من أهل الشام وأبو عمرو من أهل البصرة وعاصم وحمزة والكسائى من أهل الكوفة بناءً على الحديث المشهور أن النبى ﷺ قال: انزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه. ولم يقبل جميع العلماء اختيار ابن مجاهد فاستحسن بعضهم قـراءة أبـى جعفـر المدنى وآخر قراءة يعقوب البصرى أو قراءة خلف الكوفى، وحتى الآن يعتمد كثير من العلماء قراءة القراء العشرة ويثبتون أن كل قراءة رويت عن العشرة هى قراءة متواترة"(٣٤٨).

فهو هنا يرى أنه بعد ذلك، صارت القراءة فى المـدن علـى قـراءات بعـض القـراء المشهورين فى هذه المدن، وأن هؤلاء القراء أسسوا اختيارهم على شروط ثلاثة :

١-موافقة رسم المصحف.

٢-مطابقة العربية.

٣-أن يكون راوى هذه القراءة من الصحابة.

وهذا نتج عنه اشتهار قراء فى كل قطر، ثم اقترع بينهم الإمام ابن مجاهد، فاختار سبعة بناءً على حديث نزول القرآن على سبعة أحرف، ثم أضاف العلماء الذين لم يقبلوا اختياره هذا ثلاثة مع السبعة الأولين فصاروا عشرة وقرروا أن قراءاتهم متواترة ، بخلاف ما سواها.

ثم يقول بعد ذلك -تحت عنوان ترجيح وتعميم قراءة حفص-: "لكل من القراء العشـرة رواة كثيرون فانتخب الناس بعد حين من مجمـوع روايـات الـرواة روايتـين لكـل قـارئ فاستحسنوا من روايات رواة نافع رواية رش ورواية قالون ومن روايات رواة ابن كثير رواية البزى ورواية قنبل ومن روايات رواة ابن عامر رواية ابن ذكوان ورواية هشام ومن روايات رواة أبى عمرو رواية الدورى ورواية السوسى ومن روايات رواة عاصـم روايـة حفـص ورواية أبى بكر ومن روايات رواة حمزة رواية خلف ورواية خلاد ومن روايات رواة الكسائى رواية الدورى ورواية الحارث وكذا من روايات رواة أبى جعفر رواية ابن جماز ورواية ابـن وردان ومن روايات رواة يعقوب رواية روح ورواية رويس وبعد ذلك لم يعتمدوا القـراءة إلا إذا كانت من هذه الروايات المختارة واستمرت هذه الروايات معمولاً بها فى كل عصر إلى أن فاقت ثلاثة منها على غيرها وهى رواية الدورى عن أبى عمرو البصرى ورواية ورش عـن نافع المدنى ورواية حفص عن عاصم الكوفى. ثم نشرت رواية حفص حتى تغلبت على رواية

(٣٤٨) السابق صـ ٨.

الدورى كافة وتغلبت أيضاً على رواية ورش إلا فى المغرب، فبقيت رواية حفص عن عاصم الكوفى القراءة المشهورة المستعملة فى أيامنا فى كثير من بلاد العالم الإسلامى"[٣٤٩].

فهو هنا يرى أنه كان لكل قارئ من القراء العشرة رواة كثيرون ، انتخب الناس منهم بعد ذلك راويين فقط، لم يعتمدوا القراءة إلا إذا كانت عنهم، ثم بعد ذلك فاقت ثلاث روايات ما سواها، وهى رواية الدورى عن أبى عمرو ، ورواية ورش عن نافع ، ورواية حفص عن عاصم، ثم انتشرت رواية حفص عن عاصم حتى تغلبت على رواية الدورى، وعلى رواية ورش إلا فى المغرب ، وأصبحت هى القراءة المشهورة المستعملة فى الوقت الحالى فى أغلب البلاد الإسلامية.

الرد

بعد أن عرضت فيما سبق آراء المستشرقين حول محاولات توحيد النص المقروء، أبدأ – مستعيناً بالله تعالى – فى الرد عليهم، وسيكون الرد ـــ بمشيئة الله تعالى ـــ ببيان وجه الصواب فى هذه القضية حتى يتبين الحق من الباطل.

أولاً: **بالنسبة للقرآن والقراءات فى عهد النبى ﷺ فأقول** :

إنه قد سبق وبينت أن النبى ﷺ بلغ جميع ما أنزل إليه للصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ، وأن الصحابة ـــ رضى الله عنهم ـــ قد قاموا بتحمل هذه الأمانة ، وكان القرآن شغلهم الشاغل يتلونه آناء الليل وأطراف النهار، وكان الشاهد منهم يبلغ الغائب، والأدلة على ذلك كثيرة ، سبق ذكر بعضها فى الفصل الأول من هذا الباب.

لكن السؤال الذى يطرح نفسه فى هذا المقام، هو هل أنزل القرآن على سبعة أحرف أولاً، ثم بلغه النبى ﷺ لأصحابه ، أو اختلفوا فى القراءات أولاً تبعاً للحرية فى القراءة ، ثم بين لهم أنه لا شئ فى هذا الحرية؛ حيث أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف؟ وهل حديث الأحرف السبعة شاذ غير مسند كما يرى جولدتسيهر أن أبا عبيد القاسم بن سلام يذهب لذلك؟ وما معنى الأحرف السبعة؟ وما العلاقة بينها وبين القراءات السبع؟

ولمزيد من الإيضاح سأبدأ بذكر روايات هذا الحديث ثم أتبعها بالتحليل.

أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف:

١-ما رواه الإمام البخارى عن عمر بن الخطاب ﷺ قال "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة

---

(٣٤٩)السابق صـ٨،٩

الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ علـى حـروف كثيـرة لـم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة فتبصرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت: كذبت فإن رسـول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ: أرسله اقرأ يا هشـام فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت ثم قال: اقرأ يا عمـر فقرأت القراءة التى أقرأنى فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"(٣٥٠).

٢-ما رواه الإمام البخارى عن ابن عباس – رضى الله عنهمـا – أن رسـول الله ﷺ قـال: "أقرأنى جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف".

وفى رواية الإمام مسلم زاد ابن شهاب "بلغنى أن تلك السبعة الأحرف إنما هى فى الأمر الذى يكون واحداً لا يختلف فى حلال ولا حرام"(٣٥١).

٣-ما رواه الإمام مسلم عن أبى بن كعب ﷺ قال: "كنت فى المسجد فدخل رجل يصـلى فقـرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فلما قضيتا الصلاة دخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه ودخل آخر فقـرأ سـوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله ﷺ فقرأا فحسن النبى ﷺ شأنهما فسقط فى نفسى مـن التكذيب ولا إذ كنت فى الجاهلية فلما رأى رسول الله ﷺ ما قد غشينى ضرب فى صدرى ففضت عرقاً وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً فقال لى: يا أبى أرسل إلى أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثانية أقرأه على حرفين فرددت إليـه أن هون على أمتى فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل رده رددتكها مسـألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتى اللهم اغفر لأمتى وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى الخلـق

---

(٣٥٠) صحيح البخارى -كتاب فضائل القرآن – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف -حديث رقـم [٤٧٠٦] ج٤ صـ١٩٠٩ .

والحديث سبق تخريجه.

(٣٥١) صحيح البخارى – كتاب فضائل القرآن – باب أنزل القرآن على سبعة أحرف -حديث رقم [٤٧٠٥] ج٤ صـ١٩٠٩.

والحديث أخرجه الإمام البخارى أيضاً فى صحيحه – كتاب بدء الخلق – بابا ذكر الملائكة – حـديث رقـم [٣٠٤٧] ج٣ صـ١٧٧.

والإمام مسلم فى صحيحه – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب بيان أن القرآن علـى سـبعة أحـرف وبيان معناه- حديث رقم [٨١٩] ج١ صـ ٥٦١.

وأخرجه غيرهما.

كلهم حتى إبراهيم ﷺ"[٣٥٢].

٤-ما رواه الإمام مسلم عن أبى بن كعب ﷺ: "أن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غفار قال: فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا"[٣٥٣].

٥-ما رواه الإمام ابن حبان عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أنزل القرآن على سبعة أحرف والمراء فى القرآن كفر ثلاثاً ما عرفتم منه فأعملوا به وما جهلتم منه فردوه الى عالمه" قال أبو حاتم ﷺ : قوله ﷺ: ما عرفتم منه فأعلموا به أضمر فيه الاستطاعة يريد أعملوا بما عرفتم من الكتاب ما استطعتم وقوله: وما جهلتم منه فردوه الى عالمه فيه الزجر عن ضد هذا الأمر وهو أن لا يسألوا من لا يعلم ، وفى رواية الإمام النسائى إلى قوله المراء فى القرآن كفر، وفى رواية الإمام أحمد عن أبى جهم ﷺ: "أن رجلين اختلفا فى آية فقال هذا: تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال الآخر: تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبىﷺ فقال الحديث إلى قوله فإن مراء فى القرآن كفر"[٣٥٤].

٦-ما رواه الإمام ابن حبان عن أبى كعب ﷺ قال: "لقى رسول الله ﷺ جبريل فقال له رسول الله ﷺ: إنى بعثت إلى أمة أميين فيهم الغلام والجارية والعجوز والشيخ الفانى قال: مرهم فليقرؤا القرآن على سبعة أحرف"، وفى رواية الإمام الترمذى زاد فيه والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قطً قال: "وفى الباب عن عمر وحذيفة بن اليمان وأم ايوب وهى امرأة أبى أيوب وسمره وابن عباس وأبى جهم بن الحرث بن الصمة وعمرو بن العاص وأبى بكرة،

---

(٣٥٢) صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه – حديث رقم [٨٢٠] ج١ صـ ٥٦١.
والحديث أخرجه غيره.

(٣٥٣) صحيح مسلم – كتاب صلاة المسافرين وقصرهم– باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه – حديث رقم [٨٢١] ج١ صـ ٥٦٢ .
والحديث أخرجه غيره.

(٣٥٤) صحيح ابن حبان – كتاب العلم – حديث رقم [٧٤] ج١ صـ ٢٧٥.
والحديث أخرجه الإمام النسائى فى السنن الكبرى – كتاب فضائل القرآن – المراء فى القرآن – حديث رقم [١٤٧٨] ج٢ صـ ٧٦.
والإمام أحمد فى مسنده – مسند أبى هريرة ﷺ – حديث رقم [٧٩٦٧] ج٢ صـ ٣٠٠، وحديث أبى جهم بن الحرث بن الصمة ﷺ حديث رقم [١٧٥٧٧] ج٤ صـ ١٦٩، وحديث عمرو بن العاص عن النبى ﷺ – حديث رقم [١٧٨٥٣] ج٤ صـ ٢٠٤.
والإمام أبو يعلى فى مسنده– مسند أبى هريرة ﷺ – حديث رقم [٦٠١٦] ج١٠ صـ ٤١٠.

وفى رواية الإمامين أحمد والطيالسى زاد فى أوله "لقيت جبريل عند أحجار المراء" [٣٥٥].

٧-ما رواه الإمام ابن حبان أيضاً عن أبى بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، وفى رواية أخرى له وللإمام أبى يعلى زاد فيه "لكل أية فيها ظهر وبطن" وفى أخرى عن أبى هريرة رضي الله عنه وزاد فيه حكيماً عليماً غفوراً رحيماً قول محمد بن عمرو أدرجه فى الخبر والخبر إلى سبعة أحرف، وإن كانت رواية الإمام أحمد بن حنبل بها بدون ذكر إدراجها من عدمه، وفى رواية الإمامين ابن أبى شيبة والحميدى عن أم ايوب" وفيها زيادة أيها قرأت أصبت وفى رواية الإمام اسحاق بن راهوية عن أم أيواب -رضى الله عنها- زيادة "كلها شاف كاف"، قال اسحاق: كسابقه وله شواهد كثيرة وعد هذا الحديث من الأحاديث المتواترة[٣٥٦].

٨-ما رواه الإمام ابن حبان عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم

---

(٣٥٥) صحيح ابن حبان - كتاب الرقائق - باب قراءة القرآن - حديث رقم [٧٣٩] ج٣ صـ ١٤.

والحديث أخرجه الإمام الترمذى فى سننه - كتاب القراءات عن رسول الله ﷺ -باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف - حديث رقم [٢٩٤٤] ج٥ صـ ١٩٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح وقد روى من عير وجه عن أبى بن كعب.

والإمام أحمد فى مسنده- مسند البصريين - رضى الله عنهم - حديث أبى المنذر أبى بن كعب رضي الله عنه -حديث زربن جبيش عن أبى بن كعب رضي الله عنه -حديث رقم [٢١٢٤٢] ج٥ صـ ١٣٢.

والإمام الطيالسى فى مسنده - أحاديث أبى بن كعب رضي الله عنه حديث رقم [٥٤٣] ج١ صـ ٧٣.

(٣٥٦) صحيح ابن حبان-كتاب الرقائق - باب قراءة القرآن- حديث رقم [٧٤٢] ج٣ صـ ١٧.

والحديث أخرجه الإمام ابن حبان أيضاً فى صحيحه-كتاب العلم- حديث رقم [٧٥] ج١ صـ ٢٧٦، وكتاب الرقائق - عن أبى هريرة رضي الله عنه - باب قراءة القرآن-حديث رقم [٧٤٣] ج٣ صـ ١٨.

والإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة رضي الله عنه -مسند أبى هريرة رضي الله عنه -حديث رقم [٩٦٧٦] ج٢ صـ ٤٤٠ ، وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه -ومن حديث سمرة بن جندب عن النبى ﷺ -حديث رقم [٢٠١٩١] ج٥ صـ ٢١٦، ومسند البصريين -حديث أبى المنذر أبى بن كعب رضي الله عنه -حديث سليمان بن صرد عن ابى بن كعب رضي الله عنه -حديث رقم [٢١١٩١] ج٥ صـ ١٢٥ ، وعن حذيفة رضي الله عنه -حديث حذيفة بن اليمان عن النبى ﷺ -حديث رقم [٢٣٣٧٤] ج٥ صـ ٣٩١، وعن أم أيوب - رضى الله عنها - حديث أم أيوب - رضى الله عنها - حديث رقم [٢٧٤٨٣] ج٦ صـ ٤٣٣، وحديث رقم [٢٧٦٦٤] ج٦ صـ ٤٦٢.

والإمام ابن أبى شيبة فى مصنفة عن أم أيوب ـ رضى الله عنها كتاب فضائل القرآن - القرآن على كم حرف نزل - حديث رقم [٣٠١١٧] ج٦ صـ ١٣٧.

والإمام أبو يعلى فى مسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه -مسند عبد الله بن مسعود -حديث رقم [٥٤٠٣] ج٩ صـ ٢٧٨.

والإمام الحميدى فى مسنده عن أم أيوب ـ رضى الله عنهاـ أحاديث أم أيوب - رضى الله عنها - حديث رقم [٣٤٠] ج١ صـ ١٦٣.

والإمام اسحاق راهوية فى مسنده عن أم أيوب ـ رضى الله عنها ـ ما يروى عن أم أيوب ـ حديث رقم [٢٣٢١] ج٥ صـ ١٩٣.

به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا"، ورواية الإمام النسائى إلى قوله "سبعة أحرف" [٣٥٧].

٩-ما رواه الإمام النسائى عن أبى بن كعب ﷺ قال: "أقرأنى رسول الله ﷺ سورة فبينا أنا فى المسجد جالس إذ سمعت رجلاً يقرؤها يخالف قراءتى فقلت له: من علمك هذه السورة؟ فقال: رسول الله ﷺ فقلت: لا تفارقنى حتى نأتى رسول الله ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله إن هذا خالف قراءتى فى السورة التى علمتنى فقال رسول الله ﷺ: أقرأ يا أبى فقرأتها فقال لى رسول الله ﷺ: أحسنت ثم قال للرجل: اقرأ فخالف قراءتى فقال له رسول الله ﷺ: أحسنت ثم قال لى رسول الله ﷺ: يا أبى إنه أنزل القرآن على سبعة أحرف كلهن شاف كاف" قال أبو عبد الرحمن: معقل بن عبيد الله ليس بذلك القوى [٣٥٨].

١٠-ما رواه الإمام النسائى عن أبى بن كعب ﷺ قال: "ما حاك فى صدرى منذ أسلمت إلا أنى قرأت أية فقرأها رجل على غير قراءتى فقال: أقرانيها رسول الله ﷺ هكذا فقلت: أقرأنى

---

[٣٥٧] صحيح ابن حبان – كتاب الرقائق – باب قراءة القرآن – حديث رقم [٧٤٥] ج٣ صـ ٢٠.

والحديث أخرجه الإمام النسائى فى السنن الكبرى– كتاب فضائل القرآن– باب من كم أبواب نزل القرآن – حديث رقم [٨٩٨٤] ج٥ صـ ٤.

والحاكم فى المستدرك – كتاب فضائل القرآن – أخبار فى فضائل القرآن جملة– حديث رقم [٢٠٣١] ج١ صـ ٧٣٩ ، وكتاب التفسير – تفسير سورة آل عمران – حديث رقم [٣١٤٤] ج٢ صـ ٣١٧، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

والإمام الطبرانى فى المعجم الكبير– حديث رقم [٨٢٩٦] ج٩ صـ ٢٦.

[٣٥٨] سنن النسائى (المجتبى) – كتاب الافتتاح – جامع ما جاء فى القرآن – حديث رقم [٩٤٠] ج٢ صـ ١٥٣ والحديث أخرجه الإمام النسائى أيضاً فى سننه (المجتبى) نفس الكتاب الباب – حديث رقم [٩٤١] ج٢ صـ١٥٤٣ .

وفى السنن الكبرى – كتاب افتتاح الصلاة – جامع ما جاء فى القرآن حديث رقم [٢٠١٢] ج١ صـ ٣٢٦.
والإمام الطبرانى فى المعجم الاوسط – حديث رقم [١٠٤٤] ج٢ صـ ٦.

ورجاله ثقات ماعدا معقل بن عبيد الله، عن الإمام أحمد بن حنبل: صالح ، وعنه أيضاً: ثقة ، وعن الإمام ابن معين: ليس به بأس، وعنه أيضاً: ثقة ، وعنه أيضاً: ضعيف ، وذكره الإمام ابن حبان فى الثقات وقال: كان يخطئ ولم يفحش خطؤه فيستحق الترك ، وقال الإمام ابن عدى: حسن الحديث لم أجد فى حديثه منكراً ، وقال الإمام النسائى، فى الكنى: صالح، روى له الأئمة: مسلم، وأبو داود، والنسائى ، انظر تهذيب الكمال فى أسماء الرجال للحافظ المزى –ترجمة رقم [٦٠٩٢] ج٢٨ صـ ٢٧٤ ، وتهذيب التهذيب للحافظ بن حجر –ترجمة رقم [٤٢٩] ج١٠ صـ ٢١٠ ، وتقريب التهذيب للحافظ بن حجر أيضاً –ترجمة رقم [٦٧٩٧] ج١ صـ ٥٤٠ ، والجرح والتعديل للإمام ابن أبى حاتم –ترجمة رقم [١٣١٣] ج٨ صـ٢٨٦، والثقات للإمام ابن حبان –ترجمة رقم [١١١١٩] ج٧ صـ٤٩١، والكامل فى ضعفاء الرجال للإمام ابن عدى –ترجمة رقم [١٩٣٤] ج٦ صـ٤٥٢، وعليه فيكون الإسناد حسناً

النبى ﷺ هكذا فأتينا رسول الله ﷺ فقلت: أقرأتنى آية كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: نعم فقال الرجل: أقرأتنى آية كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: نعـم فقـال رسـول الله ﷺ: إن جبريـل وميكائيل عليهما السلام أتيانى فعمد جبريل فقعد عن يمينى وقعد ميكائيل عن شمالى فقـال جبريل: أقرأ على حرف فقال ميكائيل: استزده فقلت: زدنى فزادنى فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين فقال ميكائيل: استزده فقلت: زدنى فقال جبريل اقرأ القرآن على ثلاثة أحـرف حتى بلغ سبعة أحرف فقال ميكائيل: استزده فقال: اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف"(٣٥٩).

١١-ما رواه الإمام الهيثمى عن عوف قال: "بلغنى أن عثمان قال على المنبر: أذكر الله رجلاً سمع النبى ﷺ يقول: أنزل القرآن على سبعة أحرف كلهن شاف كاف إلا قام فقاموا حتى لم يحصوا فشهدوا بذلك ثم قال عثمان: وأنا أشهد معكم لأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك"(٣٦٠).

التحليل:

يتضح مما سبق من الأحاديث والروايات لحديث الأحرف السبعة عدة أمور:

(١)أن هذا الحديث صحيح بلغ أقصى درجات الصحة، وهو المتفق عليه، حيث أخرجه الإمامان البخارى ومسلم فى صحيحيهما، بل إنه بلغ حد التواتر، يقول الإمام السـيوطى: "المسـألة الثالثة فى الأحرف السبعة التى نزل القرآن عليها. قلت: ورد حديث نـزول القـرآن علـى سبعة أحرف من رواية جمع من الصحابة أبى بن كعب وأنس وحذيفة بن اليمان وزيد بـن

---

(٣٥٩) السنن الكبرى- كتاب فضائل القرآن - على كم نزل القرآن - حديث رقم [٨٩٨٦] ج٥ صـ ٥.
والحديث أخرجه الإمام النسائى أيضاً فى السنن الكبرى - كتاب افتتاح الصلاة - جامع ما جاء فى القرآن- حديث رقم [١٠١٣] ج١ صـ ٣٢٧ .
والإمام أحمد فى مسنده - مسند البصريين - رضى الله عنهم- حديث أبى المنذر أبى بن كعب ﷺ -حديث أنس بن مالك عن أبى بن كعب - رضى الله تعالى عنه - حديث رقم [٢١١٧٠] ج٥ صـ ١٢٢.
والإمام ابن حبان فى صحيحه - كتاب الرقائق - باب قراءة القرآن- حديث رقم [٧٣٧] ج٣ صـ١٢،١١.
والإمام البيهقى فى سننه الكبرى- كتاب الحيض - باب وجوب القراءة على ما نزل من الأحرف السـبعة دون غيرهن من اللغات - حديث رقم [٣٨٠٢] ج٢ صـ ٢٨٤.
والإمام عبد بن حميد فى مسنده - حديث أبى بن كعب ﷺ -حديث رقم [١٦٤] ج١ صـ ٨٥.
(٣٦٠) زوائد الهيثمى على مسند الحارث- كتاب التفسير - باب أنزل القرآن على سبعة أحرف - حـديث رقـم [٧٢٧] ج٢ صـ ٧٣٤، وقد عزاه الشيخ الزرقانى إلى أبى يعلى فى مسنده، ولم أقف عليه فيـه ، انظـر مناهل العرفان فى علوم القرآن ج١ صـ ١٣٩.
والحديث إسناده منقطع ؛ لأن عوفاً لم يسمع من عثمان ﷺ شيئاً.

أرقم وسمرة بن جندب وسليمان بن صرد وابن عباس وابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وعمر بن الخطاب وعمرو بن أبى سلمة وعمرو بن العاص ومعـاذ بـن جبل وهشام بن حكيم وأبى بكرة وأبى جهم وأبى سعيد الخدرى وأبى طلحة الأنصارى وأبى هريرة وأبى أيوب فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً وقد نص أبو عبيد على تواترة" [٣٦١].

ويقول الشيخ الزرقانى: "لا سبيل إلى الاستدلال على هذا إلا مما صح عن رسـول اللهﷺ ولقد جاء هذا النقل الصحيح من طرق مختلفة كثيرة، وروى حديث نزول القرآن على سـبعة أحرف عن جمع من الصحابة منهم عمر، وعثمان، وابن مسعود، وابن عباس، وأبو هريـرة، وأبو بكر، وأبو جهم، وأبو سعيد الخدرى، وأبو طلحة الأنصارى، وأبى بن كعب، وزيـد بـن أرقم، وسمرة بن جندب، وسليمان بن صرد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن أبى سـلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأنس، وحذيفة، وأم أيوب امـرأة أبـى أيوب الأنصارى رضى اله عنهم أجمعين. فهؤلاء أحد وعشرون صحابياً، مـا مـنهم إلا رواه وحكاه. وروى الحافظ أبو يعلى فى مسنده الكبير أن عثمان ﷺ قال يوماً وهو علـى المنبـر: أذكر الله رجلاً سمع النبى ﷺ قال: أن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لما قـام فقاموا حتى لم يحصوا، فشهدوا أن رسول اللهﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحـرف كلهـا شاف كاف فقال عثمان ﷺ: وأنا أشهد معهم" [٣٦٢].

ثم يقول: "وكأن هذه الجموع التى يؤمن تواطؤها على الكذب هى التى جعلت الإمام أبـا عبيد (بن سلام) يقول بتواتر هذا الحديث" [٣٦٣].

ويقول الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل: "الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع (يريد نزول القرآن على سبعة أحرف) كثيرة وصحيحة، بلغت حد التواتر اللفظى، كما يقول العلماء" [٣٦٤].

أضف إلى ذلك ما سبق من نص الإمام إسحاق بن راهويه على تواتره.

---

(٣٦١) الإتقان فى علوم القرآن ج١ صـ١٢٩.

(٣٦٢) مناهل العرفان فى علوم القرآن ج١ صـ١٣٩.

(٣٦٣) السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣٦٤) الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من الشبهات صـ١١.

ويتضح مما سبق أن أبا عبيد القاسم بن سلام قد صرح بتواتر هذا الحديث أيضاً، ولـم يدمغه بأنه شاذ غير مسند- كما زعم جولدتسيهر سابقاً-، وهو زعم واضح البطلان، والحديث متواتر، أو على الأقل صحيح مشهور.

(٢)أن النزول على سبعة أحرف خاص بالقرآن دون غيره من الكتب السابقة، وهذا بخلاف ما زعمه جولدتسهير سابقاً من أنه شبيه برأى التلمود فى نزول التوراة بلغات كثيرة فى وقت واحد،والسبب فى ذلك – كما توضحه الروايات السابقة – هـو عالميـة رسـالة الإسـلام الخاتمة، حيث جاء كتابها لكل الأمم، كما يقول الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ﴾ (المائدة: ٤٨)، و ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام :٩٠)، و ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (يوسف : ١٠٤)، و ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (القلم :٥٢)، و ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (التكوير :٢٧).

لكنه مع ذلك فقد أنزل بلسان عربى مبين، لأن من نزل عليهم عرب قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف : ٢)، و ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً﴾(الرعد:٣٧)، و ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ (طـه :١١٣)، و ﴿ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمـر : ٢٨)، و ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (فصلت:٣)، و ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ (الشورى : ٧)، و ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الزخرف : ٣)، و ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ (الأحقاف:١٢)، وقد حكى الله -تعالى- عن المعاندين قولهم ﴿لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾، ثم رد عليهم ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (فصلت :٤٤).

ومن المسلم به أن العرب كانوا قبل الإسلام قبائل شتى وبطوناً مختلفة، ولكل قبيلة لغتها ولهجتها التى لا تخرج عن اللغة العربية، ولكنها فى ذات الوقت مختلفة فى جزء منهـا عـن اللغات واللهجات الأخرى، كما هو مشاهد فى هذا العصر، فلكل دولة من الدول العربية لهجتها ولغتها، التى تختلف عن نظيرتها فى كل قطر من أقطار البلاد العربية الأخرى، ومع ذلك فـلا تخرج لغات هذه البلدان عن اللغة العربية.

فكان نزول القرآن على سبعة أحرف تخفيفاً على هذه الأمة، وتيسيراً عليها، ويدل ذلـك ما سبق من أحاديث، ففى الحديث الثانى أنه ﷺ راجع جبريل-عليه السلام- فى ذلك الأمر، ولم

يوضح السبب كما وضحه الحديث الثالث، حين قال النبى ﷺ لأبى ﷺ "فردت إليه أن هون على أمتى"، وفى الحديث الرابع قال ﷺ لجبريل -عليه السلام-: "أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك"، وعلى حين اكتفت هذه الأحاديث بذلك، فقد وضح الحديث السادس العلة فى طلب التخفيف، وعدم القدرة عللى ذلك بقوله ﷺ: "إنى بعثت إلى أمة أميين فيهم: الغلام، والجارية، والعجوز، والشيخ الفانى، والرجل الذى لم يقرأ كتاباً قط".

أما الحديث العاشر فيبين أن ميكائيل -عليه السلام- هو الذى أشار على النبى ﷺبطلب الزيادة، فطلبها ﷺ حتى انتهى إلى سبعة أحرف.

(٣)أن الأحرف السبعة نازلة من الله -تعالى-، وصواب كلها، ويدل على ذلك ما سبق من أحاديث، ففى الحديث الرابع: "إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا، وفى الحديث السابع عن أم أيوب - رضى الله عنها-: "أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أصبت"، و"أيها قرأت أجزأك"، وفى الحديثين التاسع والحادى عشر: "على سبعة أحرف كلهن شاف كاف"، وفى الحديث العاشر: "كلها شاف كاف".

ويستنبط أيضاً مما سبق أنه لا يجب الإحاطة بجميع هذه الأحرف السبعة، بل يجزئ بعضها فقط، بدليل قوله ﷺ فى الحديث الرابع: "فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"، وفى الحديث السابع: "أيها قرأت أصبت"، و "أيها قرأت أجزأك"، ويزيد الأمر وضوحاً الحديث الأول وفيه: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقروا ما تيسر منه"، والحديث الخامس وفيه: "ما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عامله".

ويفيد أيضاً أنه فى حال ما إذا سمع المسلم من يقرأ بحرف لا يعلمه وجب عليه عدم الإنكار عليه، بل رده إلى عالمه بدليل قوله ﷺ فى الحديث الخامس: "وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"، ويفهم منه بطريق المخالفة -كما يقول الإمام أبو حاتم- النهى عن سؤال من لا يعلم، والسبب فى ذلك مذكور فى أول الحديث: "أنزل القرآن على سبعة أحرف والمراء فى القرآن كفر"، فالمراء يؤدى إلى وقوع الفتن والاضطرابات بين المسلمين.

وقد فعل الصحابة - رضوان الله عليهم- ذلك، كما يدل على ذلك ما سبق من أحاديث، ففى الحديث الأول احتكم عمر بن الخطاب، وأبى بن كعب -رضى الله عنهما - للنبىﷺ، وفى الحديث الثالث احتكم أبى والرجلين -رضى الله عنهم - للنبىﷺ، وربما كان أحدهما ابن مسعودﷺ، كما صرح به فى الحديث التاسع، وفى الحديث العاشر أنه اختلف مع رجل فى القراءة، ولعلها قصص متشابهة حدثت ثم عرضت عليه ﷺ.

(٤)أن رخصة الأحرف السبعة جاءت أولاً ثم ظهرت الاختلافات بعد ذلك، وليس العكس من أن الرخصة جاءت لتقرير أمر واقع، وللعلماء فى تاريخها قولان:

الأول: أنها كانت بمكة.

الثانى: أنها كانت بالمدينة.

وقد رجح بعض الباحثين الأول، حيث مكث النبى ﷺ فى مكة ثلاث عشرة سنة تقريباً، وليس بمعقول أن تظل الأمة الإسلامية هذه المدة الطويلة بدون تخفيف(٣٦٥).

قلت: والذى أرجحه –والله أعلم– أنها كانت بالمدينة ويدل على ذلك:

١–أن غالب رواه أحاديث الأحرف السبعة من صغار الصحابة كابن عباس ، أو من الأنصار كأبى بن كعب ، أو ممن تأخر إسلامه كأبى هريرة –رى الله عنهم أجمعين–.

٢–أنه وقع فى بعض الأحاديث السابقة ما يؤيد ذلك، ففى الحديث الثالث يقول أبى ﷺ: "كنت فى المسجد"، والمسجد لم يكن إلا بالمدينة، وكذلك فى الحديث التاسع يقول فى أوله: "أقرأنى رسول الله ﷺ سورة فينا أنا فى المسجد جالس"، وفى الحديث الرابع يقول أبى ﷺ فى أوله: "أن النبى ﷺ كان عند أضاة بنى غفار" ، وهى بالمدينة ، وفى رواية الإمامين أحمد والطيالسى فى الحديث الثالث يقول النبى ﷺ فى أوله: "لقيت جبريل عند أحجار المراء"، وهى بالمدينة.

ويدل على ما سبق من أن الرخصة جاءت أولاً ما يلى:

١–أنه لو كانت الاختلافات سابقة على الرخصة لكان مدار ذلك على الاجتهاد دون التلقى عن رسول الله ﷺ فكيف يستقيم ذلك، وقد ثبت فيما سبق من أحاديث أن كل من قرأ بخلاف صاحبه أجاب حين سئل عن ذلك بأنه ﷺ هو من أقرأه كذلك، وقد ثبت أيضاً أنه ﷺ بعد أن سمع قراءة كل فرد على حدة، علق بقوله: "كذلك أنزلت"، ففى الحديث الأول يقول عمر لهشام بن حكيم –رضى الله عنهما –: "من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ"؟، فيرد قائلاً: "أقرأنيها رسول الله ﷺ"، فيرد عليه عمر ﷺ بقوله "كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت"، فكل منهما يستدل على صحة قراءته بالتلقى من رسول اللهﷺ،

---

(٣٦٥)انظر الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات للدكتور/شعبان محمد إسماعيل صـ٤١، ٤٢، ومقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد أحمد مفلح القضاة، والدكتور/ أحمد خالد شكرى، والدكتور/محمد خالد منصور صـ٥٢، ٥٣، ٥٤.

ولو كان الأمر راجعاً إلى الاجتهاد لما قالا ذلك، ثم بعد أن ذهبا إلى رسول الله ﷺ طلب من كل منهما أن يقرأ على حدة قراءته المخالفة لقراءة صاحبه، ثم قرر بعد سماع كل قـراءة بأنها كذلك أنزلت، ولو كان الأمر راجعاً إلى الاجتهاد لما استقام ذلك، وكـذلك الأمـر فـى الأحاديث، الثالث وإن كان فيه اختلاف اللفظ فقط حين قـال أبـى ﷺ "فحسـن النبـى ﷺ شأنهما"، والتاسع وفيه أن أبياً سأله فقال: "من علمك هذه السورة؟ فأجابه بأن رسول الله ﷺ هو الذى علمه هذه السورة، وبعد أن سمع ﷺ قراءتيهما قال لكل منهما: "أحسنت"، والعاشر وفيه أن كلاهما سأل رسول الله ﷺ "أقرأتنى آية كذا وكذا؟" فأجاب ﷺ بالإيجاب.

٢-أنه ورد فى بعض ما سبق من أحاديث أنه ﷺ قرر أن القرآن أنزل على سبعة أحرف بدون ذكر سبب لذلك من اختلاف بعض الصحابة، وفى الباقى بعد أن عرض عليه اختلافهم، مما يؤيد أنه ﷺ قرر ذلك أولاً ثم أقرأهم على مقتضى ذلك فوقع اختلاف بين من لم يسمع ذلك، ويحتمل أنه ﷺ أوحى إليه بهذه الرخصة أولاً، ثم بعد ذلك تلقى هذه الأحرف مـن جبريـل -عليه السلام-، فبلغها مباشرة إلى أصحابه فوقع بينهم هذه الاختلافات، وجاءوا إليه فبين لهم هذه الرخصة، ولشدة خوفه ﷺ من تكرار هذا الأمر الذى ربما أدى إلى وقوع الفـتن، حذرهم من المراء والمجادلة فى القرآن واصفاً إياه بالكفر، ونهاهم عن الإنكار على بعضهم البعض، فكل صواب مادام متلقى عنه عن الله -تعالى-، كما أذاع بينهم هذه الرخصة حتى دون أن يحصل بينهم اختلافات.

وبذلك يتضح خطأ من زعم أن الرخصة أتت لتقرير الحرية الفردية التى وجدت تبعاً لأن كل صحابى كان يقرأ بلغته واجتهاده.

(٥)أن العدد سبعة المذكور فى الأحاديث السابقة مقصود بذاته وليس المراد به بيـان الكثـرة (أنه نزل على حروف كثيرة) ويدل على ذلك ما يلى:

١-أنه لا دليل على ذلك، ولم يرد فى أى رواية صحيحة ذكر الأحرف إلا مرتبطة بلفـظ السبعة، والأصل إجراء الألفاظ على ظاهرها إلا لقرينة، وهى معدومة، فثبت أن العدد مقصود بذاته.

٢-أنه ﷺ حين قيل له: أقرأ القرآن على حرف راجع جبريل -عليه السلام – فقال لـه: أقرأ على حرفين فراجعه فقال له على ثلاثة فراجعه حتى بلغ سبعة أحـرف، ففـى الحديث الثانى: "أقرأنى جبريل على حرف فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى أنتهى إلـى سبعة أحرف"، وفى الحديث الثالث: "أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتى فرد إلى الثانية أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتى

فرد إلى الثالثة اقرأه على سبعة أحرف"، وفى الحديث الرابع: "فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة حروف فقال: أسأل الله معافاته مغفرته وإن أمتى لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، وفى الحديث العاشر: "إن جبريل وميكائيل عليهما السلام أتيانى فعمد جبريل فقعد عن يمينى وقعد ميكائيل عن شمالى فقال جبريل: اقرأ على حرف فقال ميكائيل: استزده فقلت: زدنى فقال جبريل: اقرأ القرآن على حرفين فقال ميكائيل: استزده فقلت: زدنى فقال جبريل: أقرأ القرآن على ثلاثة أحرف حتى بلغ سبعة أحرف.

فهذه الزيادة من واحد إلى سبعة تؤيد أن عدد سبعة مقصود بذاته وإلا لقال له اقرأه على حروف بصيغة الجمع.

٣-أنه ورد فى الحديث الثامن ربط هذا العدد بعدد قبله، حيث قال ﷺ: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف" فكما أن العدد مقصود فى الكتب السابقة فكذلك هنا، ولو لم يكن مقصوداً لم يذكره.

٤-أنه ورد فى الحديث العاشر ما يفيد أنه ﷺ ، حاول مع جبريل -عليه السلام- أن يزيد على السبعة، فبين له- عليه السلام- أنه أنزل على سبعة أحرف، وفيه: "حتى بلغ سبعة أحرف فقال ميكائيل: استزده فقال: أقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، فلو كانت السبعة مراداً بها الكثرة لما طلب ﷺ الزيادة عليها.

(٦) أن النبى ﷺ لم يبين صراحة هذه الأحرف السبعة، ولذلك فقد اختلف العلماء فى تحديدها حتى بلغت الأقوال فى ذلك اربعين قولاً كما ذكر الإمام السيوطى [٣٦٦].

ثم قال بعد أن ذكر خمسة وثلاثون قولاً: " قال ابن حبان: فهذه خمسة وثلاثون قولاً لأهل

---

[٣٦٦] انظر الإتقان فى علوم القرآن للإمام السيوطى ج١ صـ١٣٠ وما بعدها، والبرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى ج١ صـ٢١١ وما بعدها، ومناهل العرفان فى علوم القرآن للشيخ الزرقانى ج١ صـ١٣٧ وما بعدها، والأحرف السبعة والقرءات وما أثير حولها من شبهات للدكتور/ شعبان محمد اسماعيل صـ١٧ وما بعدها، ومقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد أحمد مفلح القضاة، والدكتور / أحمد خالد شكرى، والدكتور/ محمد خالد منصور صـ١٣ وما بعدها، والاختلاف بين القراءات للدكتور/ أحمد البيلى صـ٣٩ وما بعدها، ومباحث فى علوم القرآن للدكتور/ القصبى محمود زلط صـ١٥٧ وما بعدها.

العلم واللغة فى معنى إنزال القرآن على سبعة أحرف وهى أقاويل يشبه بعضها بعض وكلهـا محتملة وتحتمل غيرها. وقال المرسى: هذه الوجوه أكثرها متداخلـة ولا أدرى مسـتندها ولا عمن نقلت ولا أدرى لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف السبعة بما ذكر مع أن كلها موجودة فى القرآن فلا أدرى معنى التخصيص وفيها أشياء لا أفهم معناها علـى الحقيقـة وأكثرهـا يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذى فى الصحيح فإنهما لم يختلفا فـى تفسـيره ولا أحكامه إنما اختلفا فى قراءة حروفه وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القـراءات السـبع وهو جهل قبيح" [٣٦٧].

والذى أود أن أقرره فى هذا المقام أمور:

الأمر الأول: أن هناك رأى راجح فى هذه الأراء وليس الأمر كما زعم جولدتسيهر من أن علماء المسلمين لم يقفوا على تحديد المراد منها، وهذا الرأى هو:

أن المراد بالحرف الوجه ومعنى الحديث أن القرآن أنزل على سبعة أوجه، وليس المراد أن كل كلمة منه أنزلت على سبعة أوجه، وإنما المراد أنه أنزل علـى هـذا الشـرط، وهـذه التوسعة فالأحرف السبعة موجودة فى مجموعة، وليس جمعية، وهذا مذهب الأكثرين.

أما المراد بهذه الأوجه فقد اختلف فيها العلماء والباحثون، فرجح صاحب المناهل مذهب الإمام الرازى فى أن المراد بها:

١-اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع، وتذكير وتأنيث، مثل ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ قرئ جمعا وإفراداً.
٢-اختلاف تصريف الأفعال: من ماضى ومضارع وأمر، مثل ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قـرئ بنصب ربنا (منادى) وباعد (فعل أمر للدعاء) وقرئ برفع ربنا (فاعل) وبَّعد (فعل ماضى).
٣-اختلاف وجوه الإعراب، مثل ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ قرئ بفتح الراء علـى أن لا ناهيـة جازمة للفعل بعدها والفتحة على الراء لإضغام المثلين، وقرئ بضم الراء على أن لا نافية رافعة ما بعدها.
٤-الاختلاف بالنقص والزيادة، مثل ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ قرئ كذا وقرئ بحذف كلمة "ما خلق".
٥-الاختلاف بالتقديم والتأخير، مثل ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ قرئ كذا وقرئ أيضاً (وجـاءت سكرة الحق بالموت).
٦-الاختلاف بالإبدال، مثل ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ قرئ كذا بالزاى وأيضاً بالراء (ننشرها).

---

(٣٦٧) الاتقان فى علوم القرآن ج١ صـ١٣٩.

٧-اختلاف اللغات (اللهجات) كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام ونحو ذلك، مثل ﴿هَلۡ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ تقرأ بالفتح والإمالة فى (أتى) ولفظ (موسى)[٣٦٨].

وهذا الرأى هو الذى رجحه أيضاً الدكتور/ شعبان محمد إسماعيل [٣٦٩].

وذهب إليه أيضا أستاذى الدكتور/ القصبى محمود زلط [٣٧٠].

كما أنه يستوعب جميع الآراء المتفقة على أن المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه .

الأمر الثانى : أن قول النبى ﷺ فى الحديث الثامن: "على سبعة أحرف زاجر وآمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فأحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ما أمرتم به ونتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمة وآمنوا بمتشابهة وقولوا آمنا به كل من عند ربنا". ليس المراد به ان هذه الأحرف السبعة هى ذلك، وإنما المراد وصف القرآن بذلك، فيكون المراد ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف وهو زاجر وآمر ... الخ، وعلى فرض أن المراد به الأحرف السبعة، فذلك للتقريب وليس المراد به بيانها، ويدل على ذلك ما ورد فى الحديث السابع من روايات، كرواية أُبىؓ عند الإمامين ابن حبان وأبى يعلى: "أنزل القرآن على سبعة أحرف لكل آيه فيها ظهر وبطن"، وكرواية أبى هريرةؓ عند الإمام ابن حبان: "أنزل القرآن على سبعة احرف حكيماً عليماً غفوراً رحيماً".

الأمر الثالث: أن المذهب الذى يرى أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع ضعيف جداً خلافاً لجولدتسيهر، وهو أمر ظاهر بديهى لا يحتاج إلى دليل؛ لأن القراء السبعة لم يكونوا موجودين وقت تقرير ذلك الأمر، بل جاءوا بعد ذلك، كما أن إجماع أهل العلم على خلاف أن الأحرف السبعة المراد بها القراءات السبع، وقد صرح جولدتسيهر نفسه بذلك، حين نقل عن أبى شامة إجماع أهل العلم على ما سبق، لكن البون شاسع بين ما ذهب إليه العلماء وما ذهب هو إليه.

فالأئمة على أن المراد بالأحرف السبعة الأوجه -كما سبق بيانه-، ولذلك فقد رفضوا ما ذهب إليه العوام من أن المراد بها القراءات السبع، وهذا سليم.

أما جولدتسيهر فإنه يقرر أولاً: أنه كانت هناك حرية فى قراءة النص القرآنى، ثم قيدت هذه الحرية بالاعتماد على حديث الأحرف السبعة التى فسرها بالقراءات ، ثم رجح أن العدد

---

[٣٦٨] انظر مناهل العرفان فى علوم القرآن ج١ من صـ١٥٣ إلى صـ١٥٧.

[٣٦٩] انظر الأحرف السبعة والقراءات وما اثير حولها من شبهات من صـ١٨ إلى صـ٢٣.

[٣٧٠] انظر مباحث فى علوم القرآن من صـ١٦٤ إلى صـ١٧١.

سبعة غير مراد وبذا فقد رجعت الحرية فى القراءة مرة أخرى، ويستدل بـــأقوال العلمـــاء أن الأحرف السبعة ليست القراءات السبع، على الحرية فى القراءة، فيصفهم بأنهم مناضلون عن مبدأ الحرية المطردة، وليس الأمر كما زعم، فإن أقوالهم لا تدل على ما ذهب إليه بل تنقضـــه -كما سبق بيانه-، ويتضح بذلك تدليس جولدتسيهر وخلطه الأمور بعضها ببعض.

الأمـر الرابـع: أن القراءات السبع بعض الأحرف السبعة؛ فالأحاديث السابقة تدل على أن تعـــدد القراءات سببه نزول القرآن على سبعة أحرف، فهو سبب وتعدد القراءات مسبب عنه، وقد تكون القراءات السبع أو العشر المتواترة راجعة إلى حرف أو حرفين أو ثلاثـــة او ســـبعة لكنها لا تتجاوزها.

(٧) أن الصحابة -رضوان الله عليهم- قد اختلفوا فى القراءة؛ تبعاً لنزول القرآن على ســـبعة أحرف، حتى كاد أن يحصل بينهم فتنة، فاحتكموا إليهﷺ، فأزال الخلاف بتقرير ما سبق أن أوحى إليه من أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، وبذا يتضح هول الاختلافات التى رآهـــا حذيفةﷺ حينما اجتمع أهل الشام والعراق فى غزوة معاً، فإذا كان الصحابة اختلفوا ورسول اللهﷺ موجود معهم، فكيف بمن أتى بعدهم ممن هو أقل منهم مع عدم وجود النبى ﷺ بـــين ظهرانيهم، وقد كان يكفى لدرء الفتنة تقرير ما سبق من أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ولكن الخليفة عثمان ﷺ رأى بثاقب نظرة أن ينسخ المصحف الرسمى الذى جمع فى عهـــد أبى بكر ﷺ بإجماع الصحابة واستحسانهم ـــرضى الله عنهم ـــ، ثم يرسل إلى كـــل قطـــر بمصحف حتى يكون مرجعاً عند الاختلاف.

ثانياً: المراحل التى مرت بها القراءات بعد موت النبى ﷺ:

(١)اشتهار جماعة من الصحابة بالإقراء:

بينت فيما سبق أن النبى ﷺ قد بلغ ما أنزل إليه من القرآن بجميع قراءاته للصحابةﷺ، وأن جبريل -عليه السلام- كان يعارضه بالقرآن فى كل عام مرة، وأنه عارضه فى العام الذى قبض فيه مرتين، وبين له ما نسخ، وأن النبىﷺ قد بلغ ذلك أصحابه، وأمرهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

وقد كان نتيجة لذلك أن اشتهر جماعة من الصحابة ـــ رضوان الله عليهم ـــ ، بـــالقرآن وصاروا أئمة لمن بعدهم من التابعين، ذكر منهم الإمام ابن الجـــزرى: "أبـــا بكـــر، وعمـــر، وعثمان، وعلى، وطلحة، وسعداً، وابن مسعود، وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة، وعبد الله بـــن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين وذكر من الأنصـــار أبـــى

بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس بن مالك- رضى الله عنهم أجمعين" [٣٧١].

ولا يعنى ذلك أن من سواهم من الصحابة لم يتلق من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن والقراءات، ولا يعنى ذلك أيضاً أن لكل واحد منهم قراءة تخالف قراءة صاحبه، بل قد يشترك اثنان منهم أو أكثر فى تلقى قراءة واحدة عن رسول الله ﷺ.

(٢)**اشتهار جماعة من التابعين بالإقراء**:

بينت فيما سبق أنه بعد وفاة النبى ﷺ قام أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن فى الصحف؛ خشية ضياعه بموت قرائه، ثم قام عثمان رضي الله عنه بنسخ هذه الصحف فى المصاحف، وقام بتوزيعها على الأمصار الإسلامية؛ حتى تكون مرجعاً عند الاختلاف، وبعث مع كل مصحف قارئاً توافق قراءته قراءة أهل هذا المصر فى الأعم الأغلب؛ وكان نتيجة لذلك أن اشتهر جماعة من التابعين بالقرآن فى كل مصر، وأخذوا قراءاتهم عن الصحابة.

يقول الإمام ابن الجزرى: "(فممن كان منهم بالمدينة) ابن المسيب، وعروة، وسالم، وعمر بن عبد العزيز، وسليمان وعطاء ابنا يسار، ومعاذ بن الحارث المعروف بمعاذ القارئ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وابن شهاب الزهرى، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم. (وبمكة) عبيد بن عمير، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وابن أبى مليكة. (وبالكوفة) علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيده، وعمرو بن شرحبيل ، والحارث بن قيس، والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون، وأبو عبد الرحمن السلمى، وزر بن حبيش، وعبيد بن نضلة، وأبو زرعة ابن عمرو بن جرير، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعى، والشعبى. (وبالبصرة) عامر بن قيس، وأبو العالية، وأبو رجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، ومعاذ، وجابر بن زيد، والحسن، وابن سيرين ، وقتادة. (وبالشام) المغيره بن أبى شهاب المخزومى صاحب عثمان بن عفان فى القراءة، وخليد بن سعد صاحب أبى الدرداء" [٣٧٢].

ولا يعنى ذلك أن من سواهم من التابعين لم يتلق من الصحابة -رضوان الله عليهم- شيئاً من القرآن والقراءات، ولا يعنى ذلك أيضاً أن لكل واحد منهم قراءة تخالف قراءة الآخرين، بل قد يشترك اثنان منهم أو أكثر فى قراءة عن أحد من الصحابة أو أكثر.

---

(٣٧١) النشر فى القراءات العشر ج١ صـ٦.

(٣٧٢) السابق ج١ صـ٨.

(٣) تجرد قوم للقراءة والآخذ والاعتناء بضبط القراءة حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم:

يقول الإمام ابن الجزرى: "ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة، أتم عناية حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءاتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان ولتصديهم للقراءة نسبت إليه (فكان بالمدينة) أبو جعفر يزيد بن القعقاع ثم شيبة بن نصاح ثم نافع بن أبى نعيم (وكان بمكة) عبد الله بن كثير وحميد بن قيس الأعرج ومحمد بن محيصن (وكان بالكوفة) يحيى بن وثاب وعاصم بن أبى النجود وسليمان الأعمش ثم حمزة الكسائى (وكان بالبصرة) عبد الله بن أبى إسحاق وعيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء ثم عاصم الجحدرى ثم يعقوب الحضرمى (وكان بالشام) عبد الله بن عامر وعطية بن قيس الكلابى وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر ثم يحيى بن الحارث الذمارى ثم شريح بن يزيد الحضرمى" [٣٧٣].

ويلاحظ من ذلك ظهور مصطلح تسمية القراءة باسم من يقرأ بها، ولا يعنى ما سبق أن لكل واحد منهم قراءة تخالف قراءة الآخرين، بل قد يشترك اثنان منهم أو أكثر فى قراءة.

(٤)انتشار القراء فى الأمصار وتنوعهم بين المتقن وغير المتقن:

يقول الإمام بن الجزرى: "ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا فى البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم، عرفت طبقاتهم، واختلفت صفاتهم، فكان منهم المتقن للتلاوة المشهور بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف،وكثر بينهم لذلك الاختلاف ، وقل الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق؛ فقام جهابذة الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا فى الاجتهاد، وبينوا الحق المراد وجمعوا الحروف والقراءات، وعزوا الوجوه والروايات، وميزوا بين المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصول أصلوها، وأركان فصلوها" [٣٧٤].

ويلاحظ من ذلك كثرة الاختلاف بين القراءات، وقلة الضبط حتى كاد الحق أن يلتبس بالباطل؛ ولذلك فقد قام العلماء بوضع شروط لقبول القراءة.

(٥) بداية التدوين فى هذا العلم:

يقول الإمام ابن الجزرى: "فلما كانت المائة الثالثة واتسع الخرق وقل الضبط وكان علم الكتاب والسنة أوفر ما كان فى ذلك العصر تصدى بعض الأئمة لضبط ما رواه من القراءات فكان أول إمام معتبر جمع القراءات فى كتاب أبو عبيد القاسم بن سلام وجعلهم فيما أحسب

([٣٧٣])السابق ج١ صـ٨،٩.

([٣٧٤]) السابق ج١ صـ٩.

خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة وتوفى سنة أربع وعشرين ومائتين وكان بعده أحمد بن جبير بن محمد الكوفى نزيل إنطاكية جمع كتاباً فى قراءات الخمسة من كل مصر واحد وتوفى سنة ثمان وخمسين ومائتين وكان بعده القاضى إسماعيل بن إسحاق المالكى صاحب قالون ألف كتاباً فى القراءات جمع فيه قراءة عشرين إمام منهم هؤلاء السبعة توفى سنة اثنين وثمانين ومائتين، وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى جمع كتاباً حافلاً سماه الجامع فيه نيف وعشرون قراءة توفى سنة عشر وثلاثمائة، وكان بعده أبو بكر محمد بن أحمد بن عمر الداجونى جمع كتاباً فى القراءات وأدخل معهم أبا جعفر أحد العشرة وتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة" [٣٧٥].

ويلاحظ من ذلك عدة أمور:

١-أن بداية التدوين فى علم القراءات كان بعد أن اتسع الخرق وقل الضبط.

٢-أنه لم يرد عن أحد من العلماء الذين ألفوا فى القراءات وجمعوا قراءات أكثر من العشرة أن جميع هذه القراءات متواتر، أى أن التدوين شمل المتواتر وغيره.

٣-أنه من الجائز أن تكون القراءات التى جمعها بعض العلماء وزادت عن العشرين ترجع إلى عدد أقل، كأن يكون هناك قارئان أو أكثر مشتركون فى قراءة واحدة.

٤-أن هناك من العلماء من أراد الاقتصار على عدد قليل من القراءات، كالإمام أحمد بن جبير الذى جمع قراءات خمسة من القراء من كل مصر قارئ، ولعل هؤلاء أرادوا الاقتصار على المتواتر من وجهة نظرهم، أو على بعضه.

(٦)مرحلة تسبيع القراءات:

يقول الإمام ابن الجزرى: "وكان فى أثره أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد أول من اقتصر على قراءات هؤلاء السبعة فقط وروى فيه عن هذا الداجوانى وعن ابن جرير أيضاً وتوفى سنة أربع وعشرين وثلاثمائة" [٣٧٦].

أما الإمام ابن مجاهد فيقول: "القراءة التى عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هى القراءة التى تلقوها عن أوليهم تلقياً وقام بها فى كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقة وتمسكوا بمذهبه على ما روى عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعروة بن الزبير ومحمد بن المنكدر

---

(٣٧٥) السابق ج١ صـ٣٣، ٣٤.

(٣٧٦) السابق ج١ صـ ٣٤.

وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبى" [٣٧٧].

وهؤلاء السبعة هم:

١- بالمدينة: أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم.

٢- بمكة: عبد الله بن كثير.

٣- بالكوفة: أبو بكر عاصم بن أبى النجود، وحمزة بن حبيب الزيـــات، وعلـــى بـــن حمـــزة الكسائى.

٤-بالبصرة: أبو عمرو بن العلاء.

٥-بالشام: عبد الله بن عامر اليحصبى[٣٧٨].

ويقول: "فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام خلفوا فى القراءة التـــابعين وأجمعت على قراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التى سميت وغيرهـــا مـــن البلدان التى تقرب من هذه الأمصار إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفاً شاذاً فيقـــرأ بـــه مـــن الحروف التى رويت عن بعض الأوائل منفردة فذلك غير داخل فى قراءة العوام. ولا ينبغى لذى لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزاً فى العربية أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه" [٣٧٩].

ويلاحظ من ذلك عدة أمور:

١-أن الإمام ابن مجاهد هو أول من اقتصر على قراءات القراء السبعة وجمعهم فى كتاب .

٢-أنه جمع القراءات المنتشرة فى الأقطار الإسلامية، والتى أجمـــع عليهـــا الخاصـــة والعامة، بدون التقيد بعدد معين من كل مصر، بدليل أنه جميع من الكوفة قـــراءات ثلاثة قراء.

٣-أنه قرر أن قراءات هؤلاء السبعة هى القراءات المقبولة التى تلقوها عن التـــابعين عن الصحابة عن رسول الله ﷺ، وأن ما سواها ليس كذلك.

٤-أنه لم يقصد المطابقة بين جمعه القراءات السبع وحديث الأحرف السبعة، بل جـــاء هذا العدد اتفاقاً.

(٧) مرحلة ضم القراءات الثلاث إلى السبع:

---

(٣٧٧) السبعة فى القراءات صـــ٤٩.

(٣٧٨) انظر السابق من صـــ ٥٣ إلى صـــ ٨٧.

(٣٧٩) السابق صـــ٨٧.

يقول الدكتور/ شعبان إسماعيل: "تم جاء الإمام المحقق: شمس الدين محمد بن محمد الجزرى المتوفى سنة ٨٣٣هـ فأضاف إلى كتاب "التيسير فى القراءات السبع" للإمام أبى عمرو الدانى، قراءة الأئمة الثلاثة : أبا جعفر، ويعقوب وخلف، فى كتاب سماه "تجبير التيسير"، كما نظم قراءة هؤلاء الأئمة الثلاث فى كتاب سماه: "الدرة المضية فى القراءات الثلاث المرضية"، وكأنه -رحمه الله تعالى- يريد أن يرد على من يطعن فى قراءة هؤلاء الأئمة، ولذلك سمى هذا النظم بهذه التسمية "...فى القراءات الثلاث المرضية" ومعناه: ان قراءتهم صحيحة السند، ويقرأ بها كما يقرأ بقراءات الأئمة السبعة ومما تجدر الإشارة إليه هنا: أن هؤلاء الأئمة الثلاثة شيوخ لبعض الأئمة السبعة، فالإمام أبو جعفر، من شيوخ الإمام نافع، ويعقوب من تلاميذ الإمام أبى عمرو، وحامل مدرسته، وخلف فى اختياره، هو الراوى الأول عن حمزة، فكيف تهمل قراءاتهم، وهى كالأصل للأئمة المتفق على تواتر قراءاتهم ، ولا تخرج عنها إلا فى القليل النادر" [٣٨٠].

فأصبح متفقاً عليه أن القراءات العشر متواترة، وما سواها شاذ، كما سبق بيانه فى المدخل، ولم يرد عن أحد من العلماء أنه زاد على العشر شيئاً، حتى الذين ألفوا فى القراءات الأربع عشرة صرحوا بأن ما سوى العشر فهو شاذ.

يقول الشيخ الدمياطى: "والحاصل أن السبع متواترة اتفاقاً وكذا الثلاثة أبو جعفر ويعقوب وخلف على الأصح بل الصحيح المختار وهو الذى تلقيناه من عامة شيوخنا وأخذنا به عنهم وبه نأخذ بأن الأربعة بعدها ابن محيصن واليزيدى والحسن والأعمش شاذة اتفاقاً" [٣٨١].

ويقول -عن سبب ضمة القراءات الأربع إلى العشر فى كتابه-: "ثم جنح الخاطر لتتميم الفائدة بذكر قراءة الأربعة وهم ابن محيصن واليزيدى والحسن والأعمش وإن اتفقوا على شذوذها لما يأتى إن شاء الله تعالى من جواز تدوينها والتكلم على ما فيها وسميت مجموع ما ذكر من التلخيص وما ضم إليه بإتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر" [٣٨٢].

(٨) **انتشار قراءة حفص عن عاصم**:

"كانت قراءات الأئمة العشرة منتشرة فى الأمصار الإسلامية، يقرأ أهل كل مصر وما حوله بقراءة إمامهم، واستمر الحال على ذلك قروناً، وذكر الدانى أن إمام الجامع الكبير فى البصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب، وكان أهل كل مصر يقرءون برواية ورش حتى القرن

---

(٣٨٠) الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات صـ٥٣، ٥٤.

(٣٨١) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر صـ٩.

(٣٨٢) السابق صـ٦.

الخامس الهجرى، ثم انتشرت بينهم قراءة أبى عمرو البصرى. ويبدوا أن الأمر استمر على هذا الحال زمناً بعد ذلك، حتى امتد حكم الدولة العثمانية للبلاد العربية فى القرن العاشر الهجرى فانتشرت رواية حفص عن عاصم فى معظم العالم الإسلامى منذ ذلك الوقت بسبب اعتماد الدولة العثمانية لها، ثم طباعة المصحف بها، وازدادت انتشاراً فى زماننا بسبب كثرة المصاحف المطبوعة بها، وانتشار التسجيلات بها وعبر الإذاعات ووسائل الإعلام المتعددة. فرواية حفص عن عاصم يقرأ بها معظم المسلمين فى الدول الإسلامية وغيرها ويُقرأ برواية قالون عن نافع، فى ليبيا وأجزاء من تونس والجزائر. وبرواية ورش عن نافع فى غرب مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا وتشاد والكاميرون ونيجيريا وأغلب البلاد الأفريقية، وفى شمال وغرب السودان. ويقرأ برواية الدورى عن أبى عمرو فى السودان والصومال، وحضرموت فى اليمن" [٣٨٣].

ولا يعنى ذلك أن باقى القراءات المتواترة قد اندثر، أولم يعد هناك من يقرأ بها، بل هذه القراءات مازالت موجودة ولم تندثر، ويدل على ذلك:

أولاً:أنه قامت فى وقتنا الحاضر مؤسسات وكليات تعنى بعلم القراءات وتدريس القراءات المتواترة، منها:

١-كلية القرآن الكريم بالمدينة المنورة.

٢-جامعة القرآن الكريم باليمن.

٣- قسم القراءات القرآنية بجامعة البلقاء التطبيقية بالأردن.

٤-الكلية العليا للقرآن الكريم باليمن [٣٨٤].

٥-معاهد القراءات المنتشرة فى جميع أنحاء جمهورية مصر العربية.

٦-كلية القرآن الكريم فرع جامعة الأزهر بطنطا.

ثانياً:تسجيل بعض القراءات المتواترة سوى قراءة حفص عن عاصم على اشرطة واسطوانات.

ثالثاً:إنشاء إذاعات وقنوات فضائية فى بعض الدول الإسلامية خاصة بالقرآن الكريم، تعنى بإذاعة بعض هذه القراءات المسجلة، منها :

١-إذاعة القرآن الكريم بجمهورية مصر العربية .

٢-إذاعة القرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية.

---

(٣٨٣) مقدمات فى علم القراءات للدكتور/ محمد أحمد مفلح القضاة، والدكتور/ أحمد خالد شكرى، والدكتور/ محمد خالد منصور صـ٦٣.

(٣٨٤) انظر السابق صـ٦٦، ٦٧، ٦٨.

٣-إذاعة القرآن الكريم بمملكة الإمارات العربية المتحدة.

٤-قناة المجد للقرآن الكريم بالمملكة العربية السعودية.

وبعد فقد اتضح أنه لم تكن هناك محاولات لتوحيد النص المقروء، وإنما هى مراحل حفظ النص المقروء ، ولم تكن هناك حواجز وضعها العلماء للحد من الحرية فى القراءة؛ حيث لم تكن هناك أصلاً حرية فى القراءة .

إشارة إلى بعض القضايا المهمة:

القضية الأولى : ما ذكره جولدتسيهر من أن المتكلمين على وجه الخصوص هم الذين لم يرتضوا الحد من حريتهم فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف ، ونسب ذلك إلى الإمام السيوطى فى الإتقان.

وقد رجعت إلى كتاب الإتقان للإمام السيوطى فوجدته يقول : "وقال قوم من المتكلمين إنه يسوغ إعمال الرأى والاجتهاد فى إثبات قراءة وأوجه وأحرف إذا كانت تلك الأوجه صواباً فى العربية وإن لم يثبت أن النبى ﷺ قرأ بها وأبى ذلك أهل الحق وخطئوا من قال به" (٣٨٥).

وبذا يتضح تدليس جولدتسيهر ؛ حيث عم المتكلمين ، مع أن القائل بعضهم وليس جميعهم .

القضية الثانية : حادثة ابن شنبوذ :

بالنسبة لما حدث لابن شنبوذ فسأنقل أقوال العلماء فى ذلك ثم أعقبها بالتحليل، يقول الإمام ابن خلكان : " هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن أيوب بن الصلت بن شنبوذ المقرئ البغدادى ، كان من مشاهير القراء وأعيانهم ، وكان ديناً وفيه سلامة صدر ، وفيه حمق ، وقيل: إنه كان كثير اللحن قليل العلم وتفرد بقراءات من الشواذ كان يقرأ بها فى المحراب فأنكرت عليه وبلغ ذلك الوزير أبا على محمد بن مقلة الكاتب المشهور وقيل له: إنه يغير حروفاً من القرآن ويقرأ بخلاف ما أنزل فاستحضره فى أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة واعتقله فى داره أياماً فلما كان يوم الأحد لسبع خلون من الشهر المذكور استحضر الوزير المذكور القاضى أبا الحسن عمر بن محمد وأبا بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد المقرئ وجماعة من أهل القرآن وأحضر ابن شنبوذ المذكور ونوظر بحضرة الوزير فأغلط فى الخطاب للوزير والقاضى وأبى بكر بن مجاهد ونسبهم إلى قلة

(٣٨٥) الإتقان فى علوم القرآن ج ١ صـ ٢١٠ .

المعرفة وعيرهم بأنهم ما سافروا فى طلب العلم كما سافر واستصبى القاضى أبا الحسين المذكور فأمر الوزير أبو على بضربه ، فأقيم وضرب سبع درر ، فدعا وهو يضرب على الوزير ابن مقلة بأن يقطع الله يده ويشتت شمله" [٣٨٦].

ويقول الإمام يا قوت الحموى : " حدث إسماعيل بن على الخطيبى فى كتاب التاريخ قال: واشتهر ببغداد أمر رجل يعرف بابن شنبوذ يقرئ الناس ويقرأ فى المحراب بحروف يخالف فيها المصحف فيما يروى عن عبد الله بن مسعود وأبى كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل المصحف الذى جمعه عثمان ويتتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس فوجه إليه السلطان وقبض عليه فى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحمل إلى دار الوزير محمد بن مقلة وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظره الوزير بحضرته فأقام على ما ذكر عنه ونصره ، واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه أو يرجع عما يقرأ به من الشواذ المنكرة التى تزيد على المصحف العثمانى فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره إلى الرجوع فأمر بتجريده وإقامته بين الهبارين وأمر بضربه بالدرة على قفاه فضرب نحو العشرة ضرباً شديداً فلم يصبر واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخلى عنه وأعيدت عليه ثيابه واستتيب وكتب عليه كتاب توبته وأخذ فيه خطه بالتوبة فتقول أصحابه أنه دعا على ابن مقلة بقطع اليد فاستجيب له قال المؤلف: وهذا من عجيب الاتفاق إن صح" [٣٨٧].

وهذه الحروف التى كان يقرأ بها :

١ – " إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الجمعة:٩).

٢ – "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً" بإضافة كلمة صالحة (الكهف :٧٩).

٣ – " وتكون الجبال كالصوف المنفوش "بدل ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ (القارعة: ٥).

٤ – " تبت يدا أبى لهب وقد تب " بإضافة كلمة وقد . (المسد :١) .

٥ – " فاليوم ننجيك ببديك لتكون لمن خلفك آية " بدل ﴿ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ (يونس :٩).

٦ – " وتجعلون شكركم أنكم تكذبون " بدل ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ (الواقعة :٨٢).

٧ – "والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى"بدل ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ (الليل:٣).

٨ – " فقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاما " بدل ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ (الفرقان :٧٧).

---

(٣٨٦) وفيات الأعيان ج ٤ صـ ٢٩٩.

(٣٨٧) معجم الأدباء ج ٥ صـ ١١٦ ، ١١٧، وانظر تاريخ بغداد للإمام الخطيب البغدادى ج١ صـ ٢٨١،٢٨٠.

٩ – "فلما خر تيقنت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً فى العذاب المهين" بدل ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سبأ: ١٤).

١٠ – " إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد عريض " بـدل ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ﴾ (الأنفـال :٧٣) [٣٨٨].

ويقول الإمام ياقوت الحموى: " ونسخة المحضر المعمول على ابن سنبوذ بخـط ابـن ميمون يقول محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ: قد كنت أقرأ حروفاً تخالف ما فى مصحف عثمان بن عفان ﷺ المجمع عليه والذى اتفق أصحاب رسول الله- ﷺ ورضى عنهم- على تلاوته، ثم بان لى أن ذلك خطأ فأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله ـ عز وجل ـ برئ إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذى لا يجوز خلافه ولا أن يقرأ بغير ما فيه نسخة خـط ابـن شنبوذ فى هذا المحضر: يقول محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ: ما فى هذه الرقعة صـحيح وهو قولى واعتقادى وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر على نفسى بذلك – وكتبه بخطه – فمتى خالفت ذلك أو بان منى غيره فأمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ فى حل وسـعة مـن دمى ، وذلك يوم الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فى مجلس الـوزير أبى على محمد بن على أدام الله توفيقه ، وحسبى الله وحده وصلاته على سيدنا محمد وآله" [٣٨٩] .

ويقول الإمام ابن خلكان : " وكلم أبوأيوب السمسار الوزير أبا على فى أمره وسأله فى إطلاقه وعرفه أنه إن صار إلى منزله قتلته العامة وسأله أن ينفذه فى الليل سراً إلى المـدائن ليقيم بها أياما ، ثم يدخل إلى منزله ببغداد مستخفيا ، ولا يظهر بها أياما ، فأجابه الوزير إلى ذلك وأنفذه إلى المدائن" [٣٩٠].

التحليل : **يتضح مما سبق عدة أمور** :

١ – أن ابن شنبوذ كان يقرأ بما يخالف خط المصحف العثمانى الذى أجمع عليـه الصـحابة –رضوان الله عليهم– ومن بعدهم ، والذى كان مطابقاً للعرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ كما سبق بيانه.

---

[٣٨٨] انظر الجمع الصوتى الأول للقرآن أو المصحف المرتل ، عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاتـه للدكتور/ لبيب السعيد صـ ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ووفيات الأعيان للإمام ابن خلكان ج ٤ صـ ٣٠٠ ، ومعجـم الأدباء للإمام ياقوت الحموى ج ٥ صـ ١١٥ ، ١١٦ ، ومعرفة القـراء الكبـار للحـافظ الـذهبى ج ١ صـ ٢٧٨، وغاية النهاية فى طبقات القرار للإمام أبن الجذرى ج٢ صـ ٥٤ ، ٥٥، والفهرسـت للإمـام ابن النديم ج١ صـ ٤٨. .

[٣٨٩] معجم الأدباء ج ٥ صـ ١١٦ ، ١١٧.

[٣٩٠] وفيات الأعيان ج ٤ صـ ٣٠١.

٢ – أنه أذاع ذلك بين العامة حتى اشتهر أمره بينهم ، ووصل إلى الوزير ابن مقلة .
٣ – أن عامة المسلمين وخاصتهم أنكروا ذلك عليه .
٤ – أن الوزير ابن مقلة أحضره ، وعقد له مجلسا حضره القضاة والفقهاء والقراء .
٥ – أنه أصر على رأيه فى القراءة بذلك ، وأساء الأدب مع الوزير ، والإمام ابن مجاهد ، وبعض من حضر هذا المجلس .
٦ – أن جميع من حضر المجلس أنكر ذلك عليه ، وأشاروا بعقوبته ، ومعاملته بما يضطره للرجوع عن ذلك .
٧ – أنه جرد من ثيابه ، وأمر بضربه بالدرة على قفاه ، حتى أعلن الرجوع والتوبة .
٨ – أنه أقر بتوبته رسمياً فى محضر كتب فى هذا المجلس ، وأقر بأن المصحف العثمانى هو الحق الذى لا تجوز مخالفته .
٩ – أنه كتب بخطه أنه إن رجع مرة ثانية إلى ذلك الأمر فلأمير المؤمنين الحق فى قتله .
١٠– أنه بعد توبته قد خشى عليه من العامة فأبعد بضعة أيام ، ثم رجع إلى بغداد مرة ثانية؛ ولعل السبب فى ذلك، هو إبعاده حتى تشتهر توبته ورجوعه إلى الحق بين العامة فلا يؤذونه.

يتضح بذلك أن هذا كان موقفاً فردياً خاطئاً من ابن شنبوذ ، وأن العامة والخاصة قد أنكرت ذلك عليه ، كما أن قوله أو فعله ليس حجة .

بقى هنا أن أناقش ما قد سبق من أن ابن شنوذ دعا على الوزير بقطع اليد وشت الشمل فاستجاب الله دعاءه فأقول :

١ – أنه إن صح ذلك فإنه قد وقع اتفاقاً ومصادفة ، ولا يعنى أن ابن شنبوذ كان مظلوماً فيما حدث له ، وأنه كان على صواب .
٢ – أنه ــ كما سبق بيانه ــ قد حضر هذا المجلس جماعة من الفقهاء والقضاة والقراء ، وهم الذين أشاروا بتأديبه ، ولم يرد أن أحداً منهم حصل له مكروه بسبب ذلك .
٣ – أن الوزير ابن مقلة قد تقلد الوزارة للخليفة المقتدر فى سنة ٣١٦هـ ، أى قبل محاكمة ابن شنبوذ بسبع سنين ، وفوضت إليه أمور الخليفة ، فما لبث ابن مقلة أن عزل وحبس فى داره بعد شهرين اثنين ، ثم أصابته مصيبة مالية كبيرة فى سنة ٣١٨هـ ، حيث حرقت داره التى كان بناها بالزاهر ، على شاطئ دجلة ، وكان أنفق فيها مائتى ألف دينار، واحترقت معها دور قديمة كان يسكنها قبل الوزارة ، وانتهب الناس ما بقى من الخشب والحديد والرصاص[٣٩١] .

---

(٣٩١) انظر الجمع الصوتى الأول للقرآن أو المصحف المرتل عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته للدكتور/ لبيب السعيد صـ ٢٣٢،٢٣٣

إذن فلا علاقة بين ما حدث لابن مقلة ودعاء ابن شنبوذ عليه.

القضية الثالثة: حادثة أبو بكر بن العطار:

بالنسبة لما حدث لأبى بكر بن العطار فكسابقه ، سأنقل أقوال العلماء، ثم أعقبها بالتحليل، يقول: ابن خلكان : " هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن الحسين محمد بن سليمان ابن داود بن عبد الله بن مقسم أبو بكر العطار المقرئ ، ولد سنة خمس وستين ومائتين ، ومات لثمان خلون من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة" [٣٩٢].

ويقول : " ولم يكن له عيب إلا أنه قرأ بحروف تخالف الإجماع واستخرج لها وجوها من اللغة والمعنى مثل ما ذكر فى كتاب الاحتجاج للقراء فى قوله تعالى " فلما استيئسوا منه خلصوا نجبا " بالباء أنه جائز هذا مع كونها لم يقرأ بها أحد" [٣٩٣].

ويقول: " وحدث أبو بكر الخطيب قال: ومما طعن به على أبى بكر بن مقسم أنه عمد إلى حروف من القرآن فخالف الإجماع فيها وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز فى اللغة العربية وشاع ذلك عنه عن أهل العلم فأنكروه وارتفع الأمر إلى السلطان فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة وكتب محضراً بتوبته وأثبت جماعة ممن حضر ذلك المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه وقيل إنه لم ينزع عن تلك الحروف وكان يقرأ بها إلى حين وفاته" [٣٩٤].

ويقول: " قال الخطيب: وقد ذكر حاله أبو طاهر بن أبى هاشم المقرئ صاحب ابن مجاهد فى كتابه الذى سماه كتاب البيان فقال: وقد نبغ نابغ فى عصرنا هذا فزعم أن كل ما صح عنده وجه فى العربية كحرف من القرآن يوافق خط المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها فابتدع بقيله ذلك بدعة ضل بها قصد السبيل وأورط نفسه فى مذلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه إذ جعل لأهل الإلحاد فى دين الله بسيئ رأيه طريقاً من بين يدى أهل الحق بتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر المفترض وقد كان أبو بكر شيخنا نضر الله وجهه ، يسأله عن بدعته المضلة باستتابته منها وأشهد عليه الحكام والشهود

([٣٩٢]) وفيات الأعيان ج ٥ صـ ٣١٠ .

([٣٩٣]) السابق ج٥ صـ ٣١٠ ، ٣١١.

([٣٩٤]) السابق ج ٥ صـ ٣١ ، وانظر معرفة القراء الكبار للحافظ الذهبى ج١ صـ ٣٠٨، وتاريخ بغداد للإمام الخطيب البغدادى ج٢ صـ ٢٠٦، ٢٠٧.

المقبولين عند الحكام بترك ما أوقع نفسه فيه من الضلالة بعد أن سئل البرهان على صحة ما ذهب إليه فلم يأت بطائل ولم يكن له حجة قوية ولا ضعيفة فاستوهب أبو بكر ﷺ تأديبه من السلطان عند توبته وإظهاره الإقلاع عن بدعته ثم عاود فى وقتنا هذا إلى ما كان ابتدعه واستغوى به أصاغر المسلمين ممن هم فى الغفلة والغباوة دونه ظناً منه أن ذلك يكون للناس ديناً وأن يجعلوه فيما ابتدعه إماماً ولن يعدو ما ضل به مجلسه لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه حافظ لكتابه من لفظ الزائغين وشبهات الملحدين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾"[395].

ويقول الإمام ابن الجزرى : " وبقى قسم مردود أيضاً وهو ما وافق العربية والرسم ، ولم ينقل البتة فهذا رده أحق ومنعه أشد ومرتكبه مرتكب لعظيم من الكبائر وقد ذكر جواز ذلك عن أبى بكر محمد بن الحسن بن مقسم البغدادى المقرئ النحوى وكان بعد الثلثمائة قال الإمام أبو طاهر بن أبى هاشم فى كتابه البيان: وقد نبغ نابغ فى عصرنا فزعم أن كل ما صح عنده وجه فى العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة فى الصلاة وغيرها ، فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل (قلت) وقد عقد له بسبب ذلك مجلس حضرة الفقهاء والقراء وأجمعوا على منعه وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه بذلك محضر كما ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب فى تاريخ بغداد" [396].

التحليل : يتضح مما سبق عدة أمور :

١ – أن أبا بكر بن العطار كان يرى جواز القراءة بحروف ، مادامت جائزة فى العربية ويحتملها خط المصحف ، وإن لم يكن لها سند ، أو بمعنى أدق كان يرى جواز الاجتهاد فى قراءة القرآن دون الاتباع .

٢– أن أمره اشتهر بين أهل العلم وأنكروا ذلك عليه ، ووصل أمره إلى السلطان .

٣ – أن السلطان عقد له مجلساً حضره الفقهاء والقراء .

٤ – أنه نوقش فى ما ذهب إليه ، وسئل البرهان على صحته ، فلم يأت بأى حجة قوية كانت أو ضعيفة .

٥ – أن السلطان استتابه فى ذلك المجلس فأذعن بالتوبة ، والرجوع عن بدعته هذه ، وكُتب

([395]) وفيات الأعيان ج٥ صـ٣١١، ٣١٢ ، وانظر معرفة القراء الكبار للحافظ الذهبى ج١ صـ٣٠٨ ، ٣٠٩، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج١ صـ٢٠٨،٢٠٧، وغاية النهاية فى طبقات القرار للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ١٢٤، ١٢٥.

([396]) النشر فى القراءات العشر ج١ صـ ١٧.

بذلك محضر ، شهد عليه جماعة ممن حضر المجلس .

٦ – روى أنه رجع مرة أخرى إلى بدعته هذه ظناً منه أن تروج بين المسلمين ، لكنها لم تعدو مجلسه ، والسبب فى ذلك أن الله ــ تعالى ــ قد تكفل بحفظ كتابه عن زيغ الزائغين والملحدين .

يتضح بذلك أن هذا كان موقفاً خاطئاً من أبى بكر بن العطار ، وأن أهل العلم أنكروا ذلك عليه ، وأنه لم يكن له عليه حجة ، كما أن قوله أو فعله ليس بحجة.

القضية الرابعة: بالنسبة لما زعمه جولدتسيهر من أن التصحيح النحوى لم يكن له نكير قديماً بدليل قراءة ابن أبى عبلة " وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلتا " وقراءة عبيد بن عمير " اقتتلا "

فأقول :

١ – أن الآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى" اقتتلوا "

٢ – أن الجمع هنا جاء على المعنى لا على اللفظ ، ولا خطأ فى الآية كى يحتاج إلى التصويب، فهى كقولك تقابل جيش مصر وإسرائيل فاقتتلوا فالمراد أن الأفراد اقتتلوا . يقول الإمام الزمخشرى: " فإن قلت ما وجه قوله (اقتتلوا) والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبى علبة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بين عمير على تأويل الرهطين أو النفرين ؟ قلت : هو مما حمل على المعنى دون اللفظ ؛ لأن الطائفتين فى معنى القوم والناس" (٣٩٧).

٣ – أن من قرأ اقتتلتا أو اقتتلا لم يصرح بأن ذلك لتصحيح الآية ، ومن ثم لم ينكر عليه.

القضية الخامسة: بالنسبة لقول الإمام المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البرَّ بفتح الباء، وعن قوله يقول الإمام ابن المنير: " هذا منقول عن المبرد ، مصمى بسهام الرد ، فإن فيه إيهاماً بأن اختلاف وجوه القراءة موكول إلى الاجتهاد ، وأنه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمن يعد أهلاً للاجتهاد فى العربية واللغة ، وهذا خطأ محض، فالقراءات سنة متبعة لا مجال فيها للدراية ، على أن ما قاله وقدر أنه الأوجه ليس ببالغ ذروة فصاحة الآية إلا على القراءات المستفيضة ؛ لأن الكلام مصدر بذكر البر الذى هو المصدر قولاً واحداً، فلو عدل إلى ذكر البر الذى هو الوصف لا يفك المطابقة ومعنى النظام ، ولذلك كان تأويل الآية بحذف المضاف من الثانى على تأويل بر من آمن ، أوجه وأحسن وأبقى على السياق ، ومن ظن أنه يشق غباراً أو يتعلق بأذيال فصاحة المعجز

---

(٣٩٧) الكشاف ج ٤ صـ ٣٦٤.

للفصحاء ، فقد سولت له نفسه محالاً ومنته ضلالاً" [398].

ويقول الإمام الرازى –فى تفسيره للآية- :" المسألة السادسة قوله ولكن البر من آمن بالله فيه حذف وفى كيفيته وجوه أحدها : لكن البر بر من آمن بالله فحذف المضاف وهو كثير فى الكلام كقوله ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ (البقرة٩٣) أى حب العجل ، ويقولون الجود حاتم والشعر زهير والشجاعة عنترة ، وهذا اختيار الفراء والزجاج وقطرب قال أبو على ومثل هذه الآية قوله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ (التوبة: ١٩) ثم قال ﴿كَمَنْ آمَنَ﴾ (التوبة ١٩) وتقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كإيمان من آمن ليقع التمثيل بين مصدرين أو بين فاعلين إذ لا يقع التمثيل بين مصدر وفاعل وثانيها : قال أبو عبيدة البر ههنا بمعنى البار كقوله ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢) أى للمتقين ، ومنه قوله ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾ (الملك: ٣٠) وقالت الخنساء (فإنما هى إقبال وإدبار) أى مقبلة ومدبرة معاً وثالثها : أن معناه ولكن ذا البر فحذف كقوله ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى ذو درجات عن الزجاج ورابعها : التقدير ولكن البر يحصل بالإيمان وكذا وكذا عن المفصل. وأعلم أن الوجه الأول أقرب إلى مقصود الكلام فيكون معناه ولكن البر الذى هو كل البر الذى يؤدى إلى الثواب العظيم بر من آمن بالله" [399].

يتضح مما سبق عدة أمور :

١ – أن الآية ليس فيها إلا قراءة واحدة متواترة، وهى " ولكن البرَّ " بكسر الباء .

٢ – أن صدر الآية يؤيد هذه القراءة ، ففى أولها ﴿لَيْسَ الْبِرَّ﴾، فجاء العجز موافقاً للصدر .

٣ – أن ما ذكره الإمام المبرد ليس سليماً من الناحية البلاغية بل الأفضل القراءة المتواترة .

٤ – أن القراءات لا تثبت بالرأى أو الاجتهاد وإنما بالنقل .

القضية السادسة: بالنسبة لما ذكره من اعتراض الإمام الزمخشرى على قراءة ابن عامر (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادَهم شركائهم) . بنصب أولادهم وجر شركائهم .

([398]) الانتصاف بذيل الكشاف ج ١ صـ ٢١٧.

([399]) التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (تفسير الرازى) ج ٥ صـ ٣٣ ، ٣٤.

وقول الإمام الزمخشرى: " وأما قراءة ابن عامر : قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء . والفصل بينهما بغير الظرف ، فشئ لو كان فى مكان الضرورات وهو الشعر . لكان سمجا مردودا كما سمج ورد:

زج القلوص أبى مزادة

فكيف به فى الكلام المنثور ، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته . والذى حمله على ذلك أن رأى فى بعض المصاحف وشركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم فى أموالهم . لوجد فى ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب"[٤٠٠]

والذى أود أن أقرره فى هذا المقام عدة أمور :

١ – أن القراءة التى يعترض عليها الإمام الزمخشرى قراءة متواترة ثابتة، لا يجوز القدح فيها .

٢ – أن الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول جائز فى اللغة .

يقول الإمام ابن مالك :

فصل مضاف شبه فعل ما نصب ... مفعولاً أو ظرفاً أجز ، ولم يعب

فصل يمين ، واضطراراً وجدا ... بأجنبى ، أو بنعت ، أو ندا[٤٠١]

ويقول الإمام ابن عقيل: " فمثال ما فصل فيه بينهما بمفعول المضاف قوله تعالى " وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم " فى قراءة ابن عامر ، بنصب أولاد وجر الشركاء" [٤٠٢] .

٣ – أن هناك شواهد من الشعر على ذلك ذكر بعضها الإمام ابن المنير ، والشيخ الدمياطى ولله در الإمام ابن مالك حين قال .

وحجتى قراءة ابن عامر ... فكم لها من عاضد وناصر[٤٠٣]

ومن هذه الشواهد:

فدا سهم دوس الحصاد الدائس

يفركن حب السنبل الكنافح ... بالقاع فرك القطن المحالج[٤٠٤]

ففى الأول فصل بين المصدر المضاف (دوس) ، وفاعله المضاف إليه (الدائس)

---

(٤٠٠) الكشاف ج ٢ صـ ٧٠.

(٤٠١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ج ٢صـ ٧٧.

(٤٠٢) السابق ج ٢ صـ ٧٨.

(٤٠٣) النشر فى القراءات العشر للإمام ابن الجزرى ج٢ صـ ٢٦٤.

(٤٠٤)الانتصاف بذيل الكشاف للإمام ابن المنير ج٢ صـ ٦٩

بالمفعول (الحصاد)، وفى الثانى فصل بين المصدر المضاف (فرك) ، وفاعله المضاف إليه (المحالج) بالمفعول (القطن)،

ومنها:

فسقناهم سوق البغال الأداجل
سقاها الحجى سقى الرياض السحائب
فزججتها بمزجة زج القلوص أبى مزادة[405]

ففى الأول فصل بين المصدر المضاف (سوق) ، وفاعله المضاف إليه (الأداجل) بالمفعول (البغال)، وفى الثانى فصل بين المصدر المضاف (سقى) ، وفاعله المضاف إليه (السحائب) بالمفعول (الرياض)، وفى الثالث فصل بين المصدر المضاف (زج) وفاعله المضاف إليه (أبى مزادة) بالمفعول (القلوص) .

٤ – أنه على فرض عدم وجود شواهد من الشعر على جواز الفصل بين المصدر المضاف وفاعله المضاف إليه بالمفعول ، فكفى بقراءة ابن عامر دليلاً على جواز ذلك ؛ لتواترها.

يتضح بذلك أن الإمام الزمخشرى أخطأ فى قوله السابق ؛ حيث أن فى كلامه إشارة إلى أن القراءة تثبت بالرأى والنظر فى المصحف ، ولكن الصواب أن الأصل فيها النقل والتلقى .

(٤٠٥) إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر للشيخ الدمياطى صـ ٢٧٥.

الخـــاتمـــة

وتحتوي على :

أهم نتائج البحث

أهم نتائج البحث :

أولاً : أن الخط العربى الذى كتب به المصحف ، لم يكن سبباً فى تعدد القــراءات القرآنيـــة ؛ نظراً لخلوه من الإعجام والشكل ــ كما زعم المستشرقون ــ ، بل إن إخــلاء المصــحف منهما ــ سواء كان مقصوداً أو لا ــ كان سبباً فى استيعاب القراءات القرآنية الثابتة عن رسول الله ﷺ ، والتى لم تنسخ فى العرضة الأخيرة .

ثانياً : أن الزيادات التفسيرية قسمان :

١- عبارة عن توضيحات وتعليقات على النص ، كان الصحابة يكتبونها فى مصاحفهم ، فجاء من بعدهم وحسبها قرآناً .

٢- عبارة عن قراءات قرآنية كانت موجودة ثم نسخت .

وكلاهما شاذ ؛ نظراً لمخالفته شرطاً من شروط القراءات المتواترة ، وهــو : موافقــة رسم أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً ، ومع ذلك يستفاد بهــا فــى التفســير واســتنباط الأحكام وخلافه .

ثالثاً : أن الله ــ تعالى ــ هو الأعلم بما يليق به ، وبرسله – عليهم السلام- ، وبالصالحين ، من أى شخص آخر ، فلم ينزل على رسوله ﷺ قراءات فيها نسبة شئ من ذلك له أو لرسله أو للصالحين ، اعتماداً على أنه سيوجد بعد ذلك من يعدل هذه القراءات .

ولو كان الأمر كذلك من وجود قراءات تنزيهية ، الغرض منها تصحيح النص القرآنــى لمحيت الأولى وأثبتت الثانية .

رابعاً : أنه لم تكن هناك حرية فى قراءة النص القرآنى ؛ حيث لم يرد عن النبى ﷺ ، أو عن أحد من أصحابه – رضى الله عنهم – ما يفيد إباحة هذه الحرية ، بل ورد عــنهم مــا يفيد عكس ذلك ، وأن الأصل فى القراءات التلقى لا الاجتهاد .

خامساً : أن النبى ﷺ هو الذى طلب من الله – تعالى- إنزال القرآن علــى ســبعة أحــرف ؛ للتخفيف عن هذه الأمة .

سادساً : أنه لم تكن هناك محاولات لتوحيد النص القرآنى المكتوب ، بل هى مراحــل حفــظ النص القرآنى ، وفقاً لوعد الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:٩) .

وهذه المراحل هى :

١- حرص النبى ﷺ على كتابة القرآن فور نزوله، فلم يمت ﷺ إلا والقرآن كله مكتوب .

٢- جمع أبى بكر ﷺ القرآن فى الصحف ؛ خشية ضياع شئ منه بموت قرائه ، فكان هذا أول مصحف رسمى اشترك المسلمون جميعاً فى جمعه .

٣- نسخ عثمان ﷺ الصحف التى جمعت فى عهد أبى بكر ﷺ فى المصاحف ، وتوزيعها على الأمصار الإسلامية ؛ حتى تكون مرجعاً عند الاختلاف .

٤- إدخال بعض التحسينات (الإعجام والشكل) على الخط الذى كتبت به (المصحف) فى خلافة عبد الملك بن مروان ؛ نظراً لحاجة الناس لذلك ؛ لاختلاط العرب بالعجم ، وظهور اللحن فى الكلام ، حتى وصل إلى كتاب الله تعالى .

سابعاً : أنه لم تكن هناك محاولات لتوحيد النص المقروء ، أو إقامة حاجز فى وجه الحرية فى القراءة ؛ حيث لم تكن هناك حرية فى القراءة أصلاً ، بل قد مر النص المقروء بعدة مراحل :

١- حرص النبى ﷺ عند تلقى الوحى على حفظه ، حتى كان مما يحرك به لسانه وشفتيه ؛ خشية نسيانه فتكفل الله – تعالى- بحفظه فى صدره : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (القيامة :١٦-١٩) .

٢- حرص الصحابة – رضى الله عنهم- على حفظ كتاب الله – تعالى- وتلقيه عن رسول الله ﷺ بقراءاته المختلفة ، وتعليم بعضهم بعضاً ؛ حتى اشتهر جماعة منهم بالقرآن .

٣- اشتهار جماعة من التابعين بالقرآن ممن أخذوا عن الصحابة .

٤- تجرد قوم للقراءة والأخذ ، حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ، ويرحل إليهم ، أجمع أهل مصرهم على تلقى القراءة عنهم ، ولأجل ذلك نسبت إليهم .

٥- تدوين القراءات القرآنية فى كتب ؛ لحفظها ، وكان أولاً بجمع قراءات كثيرة فى كتاب واحد ، حتى جاء الإمام ابن مجاهد فاقتصر على سبعة أئمة ، وتبعه العلماء فى ذلك ، حتى جاء الإمام ابن الجزرى فأضاف إليهم ثلاثة آخرين ، وقرر العلماء قديماً وحديثاً أنه لم يتواتر غيرها .

ثامناً : أن تواتر القراءات العشر مازال موجوداً حتى وقتنا هذا ، ولم يندثر منها شئ ؛ بدليل وجود مؤسسات علمية فى بعض الدول العربية تعنى بتدريسها ، وتسجيل بعض هذه الروايات إلكترونياً على أشرطة واسطوانات ، وإنشاء إذاعات وقنوات فضائية خاصة بالقرآن الكريم فى بعض الدول الإسلامية ، تعنى بإذاعة بعض هذه الروايات .

المصادر والمراجع

١ـ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر :

للشيخ / شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغنى الدمياطي ، تحقيق / أنس مهـره ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .

٢ـ الإتقان فى علوم القرآن :

للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق / سعيد المندوب ، دار الفكر ، لبنان ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م .

٣ـ الاختلاف بين القراءات :

للدكتور/ أحمد البيلي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٤ـ الإصابة فى تمييز الصحابة :

للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق / على محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢هـ .

٥ـ الانتصاف :

للإمام أحمد بن المنير السكندري ، منشور مع كتاب الكشاف للإمام الزمخشري ، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٦ـ الأحرف السبعة :

للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ، تحقيق/ أوتـو تريزل ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٤ هـ-١٩٨٤م .

٧ـ الأحرف السبعة والقراءات وما أثير حولها من شبهات :

للدكتور/ شعبان محمد إسماعيل ، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي ، الطبعة الأولـى ، سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

٨ـ البداية والنهاية :

للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيـق د / أحمـد أبـو ملـح وآخرون ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

٩ـ البرهان فى علوم القرآن :

للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق د / محمد أبو الفضـل إبـراهيم ، مكتبة التراث ، القاهرة .

١٠ـتاريخ الأدب العربى أو حياة اللغة العربية :

لحفني ناصف ، مطبعة جامعة القاهرة ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٣٧٩هـ-١٩٧٣م .

١١ـ تاريخ بغداد :

للإمام أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٢ـ التاريخ الكبير :

للإمام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري ، تحقيق / السيد هاشم الندوي ، دار الفكر.

١٣ـ تاريخ القرآن :

للشيخ / أبى عبد الله الزنجاني ، عضو المجمع العلمي العربي في دمشق سابقاً ، تحقيق/ طه عبد الرؤف سعد ، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع ، القاهرة .

١٤ـ تاريخ القرآن :

للدكتور/ عبد الصبور شاهين ، دار الشباب للطباعة ، القاهرة ، سنة١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٥ـ تأويل مشكل القرآن :

للإمام أبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، شرحه ونشره / السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية .

١٦ـ تذكرة الحفاظ :

للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقي الذهبي ، تحقيق / بشار عواد معروف- شعيب الأرناؤوط ـ صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة١٤٠٤هـ .

١٧ـ التعديل والتجريح :

للإمام أبى الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي ، تحقيق د/ أبو لبابة حسين ، دار اللواء ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

١٨ـ تفسير القرآن الجليل المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفى) :

للإمام أبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٩ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) :

للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، دار الفكر، بيروت ، سنة ١٤٠١هـ .

٢٠ـ التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب (تفسير الرازى) :
للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢١هـ .

٢١ـ تقريب التهذيب :
للحافظ أحمد على بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق / محمد عوامة ، دار الرشيد ، سوريا ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٢٢ـ تلخيص المستدرك للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى الدمشقى :
منشور مع كتاب المستدرك على الصحيحين للحاكم ، دار الفكر، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

٢٣ـ تهذيب التهذيب :
للحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني الشافعي ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٢٤ـ تهذيب الكمال فى أسماء الرجال :
للحافظ يوسف بن الزكي بن عبد الرحمن المزي ، تحقيق د / بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

٢٥ـ التيسر فى القراءات السبع :
للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ، تحقيق/ أوتو تريزل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٢٦ـ الثقات :
للإمام محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تحقيق / السيد شرف الدين أحمد ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

٢٧ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) :
للإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، القاهرة .

٢٨ـ جامع البيان فى تفسير القرآن (تفسير الطبرى) :
للإمام محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠٥هـ .

٢٩ـ الجرح والتعديل :
للإمام عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن إدريس الرازي التميمي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٧١هـ-١٩٥٢م .

٣٠ـ **الجمع الصوتى الأول للقرآن أو المصحف المرتل عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته** :
للدكتور/ لبيب السعيد ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

٣١ـ **الحجة فى القراءات السبع** :
المنسوب للإمام الحسين بن أحمد بن خالويه ، تحقيق د / عبد العال سالم مكرم ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠١هـ .

٣٢ـ **حجة القراءات** :
للإمام أبى زرعه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، تحقيق/ سعيد الأفغانى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٣ـ **الدر المنثور فى التفسير بالمأثور** :
للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ، دار الفكر، بيروت ، سنة ١٩٩٣م .

٣٤ـ **رسم المصحف ـ دراسة لغوية تاريخية** :
للدكتور/غانم قدوري الحمد ، نشر اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، الجمهورية العراقية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م .

٣٥ـ **زوائد الهيثمى على مسند الحارث** :
للحافظ نور الدين الهيثمي ، تحقيق د / حسين أحمد صالح الباكوري ، مركز خدمة السنة، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٣هـ-١٩٩٢م .

٣٦ـ **السبعة فى القراءات** :
للإمام أبى بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ، تحقيق د / شوقى ضيف ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٠هـ .

٣٧ـ **سنن أبى داود** :
للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، تحقيق / محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر .

٣٨ـ **سنن البيهقى الكبرى** :
للإمام أحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقي ، تحقيق / محمد عبد القادر عطا ، دار ابن باز، مكة المكرمة ، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٩٤م .

٣٩ـ **سنن الترمذى** :
للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق الشيخ / أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث ، بيروت.

٤٠ـ **السنن الكبرى** :
للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق د / عبد الغفار سليمان البنداري ـ سيد كسروي حسن .

٤١ـ **سنن ابن ماجه** :
للإمام محمد بن يزيد بن ماجة القزويني ، تحقيق / محمد فـؤاد عبـد البـاقى ، دار الفكـر ، بيروت .

٤٢ـ **سنن النسائى** (**المجتبى**) :
للإمام أبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق / عبد الفتاح أبـو غـدة ، مكتـب المطبوعات ، حلب ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٤٣ـ **السيرة النبوية** (**سيرة ابن هشام**) :
للإمام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافري ، تحقيق الشيخ / محمد بيومى ، مكتبـة الإيمان ، المنصورة ، مصر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م .

٤٤ـ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** :
للإمام بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمذاني المصـري ، المكتبـة العصـرية ، بيروت ، طبعة جديدة ومنقحة ، سنة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م .

٤٥ـ **شرح معانى الآثار**:
للإمام أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك الطحاوي ، تحقيق / محمد زهري النجار، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٩هـ .

٤٦ـ **صحيح البخارى** :
للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، تحقيق د / مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٤٧ـ **صحيح ابن حبان** :
للإمام محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، تحقيق / شعيب الأرناؤوط ، مؤسسـة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م .

٤٨ـ **صحيح ابن خزيمة** :
للإمام محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ، تحقيـق د / محمـد مصـطفى الأعظمى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، سنة ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م .

٤٩ـ **صحيح مسلم** :
للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت .

٥٠ـ **الضعفاء الصغير** :
للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، تحقيق / محمود إبراهيم زايد ، دار الوعي ، حلب ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٦هـ .

٥١ـ **ضعفاء العقيلى** :
للإمام أبى جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي ، تحقيق / عبد المعطى أمين قلعجي ، دار المكتبة العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٤هـ .

٥٢ـ **الضعفاء والمتروكين** :
للإمام أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق / محمود إبراهيم زايد ، دار الوعى ، حلب ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٦٩هـ .

٥٣ـ **الطبقات الكبرى** :
للإمام محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ، دار صادر ، بيروت .

٥٤ـ **علم القراءات نشأته ـ أطواره ـ أثره فى العلوم الشرعية** :
للدكتور/ نبيل محمد إبراهيم آل إسماعيل ، مكتبة التوبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٥٥ـ **العواصم من القواصم** :
للإمام أبى بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي ، تصحيح / عبد الحميد بن باديس ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٤٥هـ-١٩٢٦ .

٥٦ـ **غاية النهاية فى طبقات القراء** :
للإمام أبى الخير محمد بن محمد الدمشقي ، عنى بنشره / ج. برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م .

٥٧ـ **فتح البارى فى شرح صحيح البخارى** :
للحافظ أحمد بن على بن العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة ، بيروت ، سنة ١٣٧٩هـ .

٥٨ـ **فضائل الصحابة** :
للإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق د / وحى الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

٥٩ـ فضائل القرآن :
للحافظ أبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ، تحقيق الشيخ / أبى إسحاق الحويني ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٦هـ .

٦٠ـ الفهرست :
للإمام محمد بن إسحاق بن النديم ، دار المعرفة ، بيروت ، سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

٦١ـ فى علم الكتابة العربية :
للدكتور/ عبد الله ربيع محمود ، نشر المؤلف ، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٦٢ـ القاموس المحيط :
للإمام محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٦٣ـ القراءات وأثرها فى علوم العربية :
للدكتور/ محمد سالم محيسن ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٦٤ـ القرآن نزوله تدوينه ترجمته وتأثيره :
لبلاشير ، ترجمة / رضا سعادة ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٧٤م .

٦٥ـ الكامل فى ضعفاء الرجال :
للإمام عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد الجرجاني ، تحقيق / يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م .

٦٦ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل (تفسير الزمخشري) :
للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، دار الريان للتراثي، القاهرةي، الطبعة الثالثة ، سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٦٧ـ كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال :
للإمام علاء الدين على المتقى بن حسام الدين ، طبعه وفسر غريبه الشيخ / بكر حياتى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م .

٦٨ـ لسان العرب :
للإمام محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى.

٦٩- **لسان الميزان** :
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي ، تحقيق / على محمد البجــاوي ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢هـ .

٧٠- **لطائف الإشارات لفنون القراءات** :
للإمام شهاب الدين القسطلاني المصري الشافعي ، تحقيــق / عــامر الســيد عثمــان ــ د/عبدالصبور شاهين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، سنة ١٣٩٢هـ .

٧١- **مباحث فى علوم القرآن** :
لأستاذي الدكتور/ القصبي محمود زلط ، دار القلــم ، دبــى ، الطبعــة الثانيــة ، ســنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٧٢- **المجروحين** :
للإمام محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي ، تحقيق / محمود إبــراهيم زايــد ، دار الوعي ، حلب .

٧٣- **المجموع شرح المهذب** :
للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٩٩٧م .

٧٤- **المحلى** :
للإمام أبى محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ، تحقيق / لجنة إحياء التراث العربي ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت .

٧٥- **مختار الصحاح** :
للإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازي ، تحقيق / محمود خاطر ، مكتبــة لبنــان ناشرون ، بيروت ، طبعة جديدة ، سنة ١٤١٥هـ-١٩٩٥م .

٧٦- **مذاهب التفسير الإسلامى** :
لأجنتس جولدتسيهر ، ترجمة د/ عبد الحليم النجار ، دار اقرأ ، الطبعة الثالثــة ، ســنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٧٧- **المستدرك على الصحيحين** :
للحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري ، تحقيق / مصطفى عبد القادر عطــا ، دار الكتــب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١١هـ-١٩٩٠م .

٧٨- **المسند** :
للإمام أبى عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .

٧٩ـ مسند إسحاق بن راهويه :
للإمام إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلى ، تحقيق د / عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي ، مكتبة الإيمان ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢هـ-١٩٩١م .

٨٠ـ مسند الحميدى :
للإمام أبى بكر عبد الله بن الزبير الحميدي ، تحقيق/ حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨١ـ مسند ابن الجعد :
للإمام على بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي ، تحقيق / عمار أحمد حيدر ، مؤسسة نادر، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

٨٢ـ مسند الشاميين :
للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م .

٨٣ـ مسند الطيالسى :
للإمام سليمان بن داود الفارسي البصري ، دار المعرفة ، بيروت .

٨٤ـ مسند عبد بن حميد :
للإمام أبى محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي ، تحقيق/ صبحي البدري السامرائي ـ محمود محمد خليل الصعيدي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .

٨٥ـ مسند أبى يعلى :
للإمام أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلي التميمي ، تحقيق / حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٨٦ـ المصاحف :
للإمام أبى بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق د / محب الدين عبد السبحان واعظ ، دار البشائر الإسلامية .

٨٧ـ مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية :
للدكتور/ ناصر الدين الأسد ، دار الجيل ، بيروت .

٨٨- المصنف :
للإمام أبى بكر عبد الله بن محمد الكوفي أبى شيبة ، تحقيق / كمـــال يوســـف الحـــوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٩هـــ .

٨٩- مصنف عبد الرازق :
للإمام أبى بكر عبد الرازق بن همام الشيباني ، تحقيق / حبيـــب الـــرحمن الأعظمـــي ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٣هـــ .

٩٠- معجم الأدباء :
للإمام أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار الكتب العلميـــة ، بيـــروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١١هـــ .

٩١- المعجم الأوسط :
للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق / طارق بن عوض الله بن محمـــد ــ عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة، سنة ١٤١٥هـــ .

٩٢- المعجم الصغير :
للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق / محمد شكور محمود الحاج أمرير ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م .

٩٣- المعجم الكبير :
للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني ، تحقيق / حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٤هـــ-١٩٨٣م .

٩٤- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :
لمحمد فؤاد عبد الباقى ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولـــى ، ســـنة ١٤١٧هـــــ-١٩٩٦م .

٩٥- معرفة الثقات :
للإمام أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي ، تحقيق / عبد العلـــيم عبـــد العظـــيم البستوي ، مكتبة الدار ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـــ-١٩٨٥م .

٩٦- معرفة القراء الكبار :
للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي ، تحقيق / بشـــار عـــواد معـــروف ــ شعيب الأرناؤوط ــ صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ســـنة ١٤٠٤هـــ.

٩٧ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** :
للإمام أحمد بن مصطفى طاش كبرى زادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥هـ .

٩٨ـ **المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام** :
للدكتور / جواد العلى ، دار العلم للملايين بلبنان ـ مكتبة النهضة ببغداد ، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧١م .

٩٩ـ **مقدمات فى علم القراءات** :
للدكتور/ محمد أحمد مفلح القضاه الدكتور/أحمد خالد شكري ـ الدكتور/ محمد خالد منصور ، دار عمار ، عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .

١٠٠ـ **مقدمة التفسير والتفسير** :
لشيخ الإسلام الإمام تقي الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، منشور ضمن المجلد السابع من مجموعة الفتاوى ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١٠١ـ **مقدمة كتاب المصاحف** :
لآرثر جفري ، منشور مع كتاب المصاحف للإمام ابن أبى داود ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٥٥هـ١٩٣٦م .

١٠٢ـ **المقنع فى رسم مصاحف أهل الأمصار** :
للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ، تحقيق / محمد الصادق قمحاوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة .

١٠٣ـ **مناهل العرفان فى علوم القرآن** :
للشيخ/ محمد بن عبد العظيم الزرقاني ، دار إحياء الكتب العربية .

١٠٤ـ **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** :
للإمام أبى الخير محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي ، راجعه / محمد حبيب الله الشنقيطى ـ الشيخ /أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت، سنة ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م .

١٠٥ـ **المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووى على صحيح مسلم)** :
للإمام أبى زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٢هـ .

١٠٦ـ النشر فى القراءات العشر :

للإمام أبى الخير محمد بن محمد الدمشقي ، تصحيح ومراجعة / على محمد الضباع .

١٠٧ـ نقط المصاحف (**المحكم في نقط المصاحف**) :

للإمام أبى عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو الداني ، تحقيق د/عـزة حسن ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٧هـ .

١٠٨ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان :

للإمام شمس الدين أبى العباس أحمد بن محمد بن أبـى بكـر بـن خلكـان ، تحقيـق د / إحسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان .

ثبت (فهرس) الموضوعات

الفهرس